جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

ظاهرة التقليد والتبعية في القرآن الكريم

إعداد
جمال سعد أحمد إبراهيم

إشراف
د. عودة عبدالله

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، فلسطين
2010 م

ظاهرة التقليد والتبعية في القرآن الكريم

إعداد

جمال سعد أحمد إبراهيم

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ : 26 / 10 / 2010 م ، وأجيزت .

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
د. عودة عبد الله (مشرفا)	.....
د.محسن الخالدي (ممتحنا داخليا)	.....
د.إسماعيل نواهضة (ممتحنا خارجيا)	.....

الإهداء

إلى من بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، إلى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين.

وإلى الذي أحب العلم، وحث عليه وإن لم يتلق العلم، إلا أنه بذل ماله لطالب العلم، ولم يضنّ به عليه، إلى الذي رأيته مختلفاً عن أنداده عطفاً ورأفة وعطاءً، إلى صاحب القلب الكبير، والدي العزيز.

وإلى التي أرضعتني لبن العزة والكرامة، فكانت رافعة للهمة وقت الملمات، ودافعة لليأس وقت الاستيئاس، إلى نبع الحنان أمي الحبيبة.

وإلى التي كان لكلماتها الدافع الأول للالتحاق بالدراسة، إلى التي تجشمت عناء السكن بعيداً عن الأهل والأقارب، إلى الزوجة الفاضلة.

وإلى قرة العين، وثمرات الفؤاد، وفلذات الأكباد، الذين دوّنوا مسودة الأطروحة على الحاسوب، إلى أبنائي الأحباب.

وإلى اللّذيْن وقفا أيام الملمات، ليقلعا الشوك من الطريق، لمواصلة المسير في الدراسة، وإلى اللتين ما فتئتا عن الدعاء، ولا كَلَّتا من المناجاة، إلى شقيقاي وشقيقتاي، حفظهم الله.

وإلى العاملين لدين الله تعالى، الصادعين بالحق أيام المحن، الرافعين للواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلى الغيورين على حرمات الله تعالى.

إلى هؤلاء جميعاً، أقدم هذا الجهد المتواضع حباً ووفاءً.

شكر وتقدير

اليوم، ونحن نخطو خطوات أخيرة من الحياة الجامعية، التي قضيناها مع أساتذة أحباب كرام، كانوا لمنار العلم رافعين، وللخير ناشرين، وقبل أن نمضي مودّعين كان لزاماً علينا أن نعترف بالفضل لأهله، وأن نقدم لهم الجزيل من الشكر والعرفان، والتقدير والامتنان.

فالشكر أولاً لأساتذة كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية، الذين كان لهم الفضل بعد الله تعالى، في تعلّم آفاق جديدة وواسعة من العلم الشرعي. كما وأتوجه بجزيل الشكر إلى كل من قدم يد العون والمساعدة، ولو بكلمة أو شطر كلمة، ليرى هذا البحث النور، فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

وبعد العموم، لا بد من التخصيص، فأخص بالشكر والتقدير أستاذنا الفاضل: **الدكتور عودة عبد الله**، أستاذ التفسير ورئيس قسم أصول الدين في كلية الشريعة، الذي تفضل- مشكوراً- بالإشراف على هذه الأطروحة، ولم يدخر جهداً في تقديم النصح والتوجيه، فجزاه الله كل خير.

كما وأتقدم بخالص الشكر ووافر التقدير والامتنان إلى عضوي لجنة المناقشة: فضيلة **الدكتور إسماعيل نواهضة**، أستاذ التفسير في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة القدس، وفضيلة **الدكتور محسن الخالدي** أستاذ التفسير في كلية الشريعة بجامعة النجاح الوطنية، على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الأطروحة، وعلى ما بذلاه من جهد في قراءتها وتدقيقها، وتقديم كل إرشاد وتوجيه من شأنه أن يزيد الدراسة ثراءً وجمالاً وغناءً.

والشكر موصول كذلك إلى كل من أسهم في إخراج هذه الرسالة على هذا النحو، وأخص بالذكر الأستاذ تمام الشاعر الذي كان رافعاً للهمة إذ غارت، ومعيداً للمعنويات إذ انهارت، فكانت على يديه همة جديدة، وتصميم من جديد على الكتابة في عنوان الأطروحة.

كما وأذكر بالخير والشكر الأخ الفاضل محمود عودة الله أمين مكتبة كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة القدس، والذي وفر لي المراجع التي أحتاجها. ولا ننسى من الشكر والتقدير أستاذنا القدير الأستاذ جمعة عيسى القرنة والمعلمة الفاضلة خديجة أبو عامرية اللذين قاما مشكوريْن بتدقيق هذه الأطروحة لغوياً، والشكر موصول كذلك للدكتور الفاضل ضيف الله عثمان وللأستاذ يحيى التنح اللذيْن عملا مشكوريْن على ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية.

والفضل الأول والأخير لله وحده سبحانه.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدّم الرسالة التي تحمل العنوان:

ظاهرة التقليد والتبعية في القرآن الكريم

أقرّ بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنّما هو نتاج جهدي الخاصّ، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة ككل، أو أيّ جزء منها لم يقدّم من قبل لنيل أيّة درجة علميّــة، أو بحث علميّ، أو بحثي لدى أيّة مؤسسة تعليميّة، أو بحثيّة أخرى.

Declaration

The work provided in this, unless otherwise referenced, is the researcher`s own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

اسم الطالب: Student`s name :

التوقيع: Signature:

التاريخ: 26 / 10 / 2010م Date:

فهرس المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
1.	الإهداء	ت
2.	شكر وتقدير	ث
3.	إقرار	ج
4.	فهرس المحتويات	ح
5.	الملخص	ذ
6.	مقدمة	1
7.	**الفصل التمهيدي: مفهوم التقليد ودلالاته في السياق القرآني**	7
8.	**المبحث الأول: التقليد في اللغة والاصطلاح**	8
9.	**المطلب الأول: التقليد في اللغة**	8
10	**المطلب الثاني: التقليد في الاصطلاح**	9
11	**المبحث الثاني: التقليد في السياق القرآني**	12
12	**المبحث الثالث: الألفاظ ذات الصلة**	14
13	**الفصل الأول: أسباب التقليد**	18
14	**المبحث الأول: الجهل**	19
15	**المطلب الأول: الجهل بحقيقة التوحيد**	19
16	**المطلب الثاني: الجهل بحقيقة النبوة**	24
17	**المطلب الثالث: الجهل بجهة التشريع**	26
18	**المبحث الثاني: اتباع الهوى**	31
19	**المطلب الأول: اتباع الهوى في الشبهات**	32
20	**المطلب الثاني: اتباع الهوى في الشهوات**	37
21	**المبحث الثالث: الخوف والاستضعاف**	43

22	**المطلب الأول: الخوف**	43
23	**المطلب الثاني: الاستضعاف**	47
24	**المبحث الرابع:** تعظيم الأنبياء والأولياء	53
25	**المطلب الأول: تعظيم الأنبياء عليهم السلام**	53
26	**المطلب الثاني: تعظيم الأولياء**	58
27	**الفصل الثاني: مجالات التقليد**	63
28	**المبحث الأول: التقليد في العقيدة**	64
29	**المطلب الأول: التقليد في موقف الأمم من الرسل والدعاة**	64
30	**المطلب الثاني: التقليد في إنكار البعث**	72
31	**المطلب الثالث: التقليد في الاحتجاج بالقدر**	78
32	**المبحث الثاني: التقليد في الأحكام الشرعية**	83
33	**المطلب الأول: التقليد في الشعائر**	83
34	**المطلب الثاني: التقليد في الشرائع**	90
35	**المبحث الثالث: التقليد في الأخلاق**	101
36	**المطلب الأول: تقليد أخلاق أهل الكتاب**	101
37	**المطلب الثاني: تقليد أخلاق المنافقين**	109
38	**المطلب الثالث: تقليد أخلاق المشركين**	113
39	***الفصل الثالث: آثار التقليد والتبعية***	122
40	***المبحث الأول: آثار التقليد في الدنيا***	124
41	***المطلب الأول: التفرق والميل عن سبيل الله تعالى وصراطه المستقيم***	124
42	***المطلب الثاني: الخذلان وفقدان النصير***	127
43	**المطلب الثالث: ضرر موالاة الكافرين**	131
44	**المبحث الثاني: آثار التقليد في الآخرة**	140

45	**المطلب الأول: التلاعن بين الأتباع والمتبوعين**	141
46	**المطلب الثاني: التبرؤ والحسرة**	142
47	***المطلب الثالث: العذاب المهين والاستقبال المشين في جهنم***	146
48	***المطلب الرابع: التخاصم والتلاوم***	147
49	***الفصل الرابع: مواجهة التقليد والتبعية***	151
50	***المبحث الأول: الاعتبار بمصارع القرون الأولى***	153
51	**المبحث الثاني: القدوة الحسنة**	164
52	**المبحث الثالث: الصورة المنفرة للمقلدين**	142
53	**المبحث الرابع: إعلان المسؤولية الفردية**	179
54	**الخاتمة**	188
55	**الفهارس العامة للبحث**	190
56	**فهرس الآيات القرآنية**	191
57	**فهرس الأحاديث النبوية**	214
58	**فهرس الأعلام**	216
59	**فهرس المصادر والمراجع**	217
60	**الملخص باللغة الإنجليزية**	**B**

" ظاهرة التقليد والتبعية في القرآن الكريم "

إعداد

جمال سعد أحمد إبراهيم

إشراف

د. عودة عبدالله

الملخّص

المحاكاة والاتباع والاقتداء والاهتداء والإلزام والسبق والتناوب كلها ألفاظ تحوم حول التقليد، وتدور في فلكه، ولعل ألصقها به المحاكاة والاتباع، وهو مادة هذه الدراسة ومحورها الرئيس.

ولأن الكون لا يسير عبثاً، والأشياء لا تولد مجازفة، والسلوكات لا تنبعث من فراغ، فلكل حادث محدِث، ولكل نتيجة سبب يفضي إليها.

لأن الأمر كذلك، ما كان للتقليد أن يشيع في الأزمنة كلها، وما كان له أن يتربع على عروش الأفئدة، ويحتل سويداءها، لولا عوامل أفرزته وأسباب غذته، يقف على رأسها الجهل بحقيقة الألوهية ورسالة الأنبياء. ثم ينازع الجهلَ في القبح اتباعُ الهوى؛ اتباعُه في شبهات تتعلق بالعقائد وأخرى بالتشريع، واتباعه فيما تشتهيه النفس وما يزينه لها الشيطان والسلطان. وليس أقل من الجهل واتباع الهوى قبحا الخوف والاستضعاف؛ فمن خاف أحداً رآه إماماً وعدّه أنموذجاً وصفق راضياً مرضياً، وممن يفقد القدرة على المواجهة والتحدي يميل إلى الطاعة والانقياد. وأخيراً، إذا أحببت قلدت من تحب حياً كان أو ميتاً، وهكذا فُعل مع الأنبياء والصالحين.

ويقع التقليد والتبعية في مجالات عدة، أبرزها العقيدة؛ فتكررت الرغبة في إرسال الملائكة دون البشر، وأحاديث الاستهزاء بالرسل وطردهم والتنكيل بهم، وما رافق ذلك من إنكار للبعث، ونسبة الخطأ والمعصية دوما إلى القدر. كما يكون التقليد في الأحكام الشرعية؛ شعائر وشرائع، ثم يبلغ التقليد مبلغه في الأخلاق؛ أخلاق أهل الكتاب والمنافقين والمشركين من قبل، وهذا مما ساد وانتشر فغدا من سمات العصر.

وللتقليد والتبعية آثار تنعكس سلباً على الأمة والأفراد، لعل ما يدمي القلب منها فنستشعره في الحياة قبل الممات الانقسام والتشرذم، وفقدان النصير، وانتشار الفساد بأوجهه القبيحة المتعددة، وموالاة الكافرين وما ينجم عن ذلك من إفساد للعقول ومسخ للثقافة وربما ارتداد وكفر بعد الإيمان، ثم بعد الموت تكون الحسرة، ويعم الخصام، ويشتعل فتيل اللوم والعتاب، وما يصاحب ذلك كله من استقبال مهين بين الأتباع والمتبوعين.

وما دام للتقليد هذا الوجه البشع، وما دامت له هذه التبعيات الخطيرة والآثار المؤلمة فلا بد من مواجهته والحد منه، وذلك بالنظر للأمم السابقة، وما حلّ بها من عقاب لنربأ بأنفسنا عما

دنسوا أنفسهم به، ولا يستقيم الأمر على هذا النحو، ولا يجدي الكلام نفعا دون قدوة حسنة يقتدى بها ويسار على نهجها.

وقد خلصت الدراسة إلى أن القرآن الكريم أَوْلى مسألة التقليد والتبعية عناية كبيرة، لما لها من آثار جسيمة في الدنيا والآخرة. وخلصت كذلك إلى أن أخطر الأمراض التي تتهدد المجتمعات هو الجهل، فبسببه تضعف الشخصية فتقلد الآخرين وتسير في ركبهم.

مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتدي، ومن يضلل الله فما له من سبيل. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الأمانة ونصح الأمة وتركها على بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتنكر لها إلا ضال، فالصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد.

فإن مسألة تقليد المسلم غيره في أخلاقه وعاداته وأفكاره، باتت تؤرق مضاجع الغيورين من أبناء الإسلام، خاصة عند رؤية نتائج التقليد اللامحدود للثقافات الأجنبية بغثها وسمينها في شتى مناحي الحياة. في حين كان المسلمون الأوائل يحرصون على استقلال شخصيتهم الإسلامية وعدم ذوبانها في غيرها.

إن ظاهرة التقليد لغير المسلم دون بصيرة، ظاهرة حذر منها إسلامنا العظيم، وذلك لتبقى للدين هيبته، وللإسلام قيادته، فوجدنا القرآن ينعى على الذين يقلدون الآباء دون وعي وإدراك وتفكير، فقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: 170]. وبهذا عطلوا حواسهم وقلوبهم التي أمروا باستخدامها الاستخدام السليم، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: 36].

ولقد جاء إسلامنا العظيم بكل ما من شأنه أن يحقق السعادة للمسلم في الدارين فقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ [الأنفال: 24].

فالحياة الحقيقية إنما تكون بالاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، والشقاء الحقيقي إنما يكون بطاعة الكافرين، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:149].

أهمية الدراسة:

الناظر إلى واقع المسلمين اليوم- بشكل عام- يجد انفصاماً في الشخصية الإسلامية، وذلك أنها تأخذ من الدين ما يوافق هواها، وتترك ما يخالف هذا الهوى، ذاهبة إلى الغير لملء هذا الهوى والفراغ. وهذا أدى إلى وجود مسلمين انسلخت أخلاقهم ومعاملاتهم عن دينهم.

وهذا الواقع لأجيال المسلمين في تقليد غيرهم يثير الحمية والغيرة في النفس- ونفس كل غيور- بأن تبحث عن كيفية الخروج من هذا الواقع الأليم، لتعود الشخصية الإسلامية إلى استقلاليتها بمنهاج ربها، تستلهم منه ما يغنيها عن مبادئ وأفكار الغير. وقرآننا العظيم تكفل بهذا كله فلا بد من الرجوع إليه لسبر غوره والبحث في آياته عن كيفية التخلص من هذا الفصام النكد، والعيش في ظلاله لتعود لنا عافيتنا- كأمة إسلامية- وتعود لنا القيادة- كما كانت- ونصبح متبوعين لا تابعين، ومقلَّدين لا مقلِّدين.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأمور الآتية:

1- إبراز مفهوم التقليد.
2- معرفة الألفاظ القرآنية الدالة على معنى التقليد والتبعية.
3- التعرف على مجالات التقليد في القرآن الكريم.
4- التعرف على كيفية تعامل القرآن الكريم مع ظاهرة التقليد.
5- إبراز الآثار السلبية للتقليد المذموم.
6- إظهار الاستقلالية للشخصية الإسلامية.

مشكلة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة لتجيب عن الأسئلة الآتية:

1- ما المقصود بظاهرة التقليد؟

2- ما مجالات التقليد في القرآن الكريم؟

3- كيف تعامل القرآن الكريم مع ظاهرة التقليد؟

4- ما هي الثمار والفوائد لمعالجة القرآن الكريم لهذه الظاهرة؟

فرضيات الدراسة:

الأمور التي يتوقع الباحث الوصول إليها من خلال الدراسة:

1- أن القرآن الكريم تناول ظاهرة التقليد والتبعية بشقيها الإيجابي والسلبي، فأحكامه شاملة لجميع مناحي الحياة.

2- أن القرآن الكريم رسم للمسلم منهجاً فيه شخصيته، فلا يكون جزءاً من الآخر.

3- أن القرآن الكريم تعامل مع تقليد الغير بوسطية واعتدال، فيقبل من الغير ما يوافقه ويرفض ما يخالفه.

4- أن القرآن الكريم حدد منهجاً واضحاً في معالجة ظاهرة التقليد، يمكن الإفادة منه في وقتنا الحاضر.

الدراسات السابقة:

مسألة الوقوف على الدراسات السابقة، مسألة تأخذ وقتاً لا بأس به، وذلك ليعرف الباحث جهود السابقين حول الموضوع الذي ينوي الكتابة فيه ليكون في بحثه إما مكملاً، أو مبيناً أو مجدداً. ولقد بذل الباحث جهده وطاقته للوقوف على دراسات سابقة حول الموضوع الذي هو بصدد الكتابة فيه، فكان غاية ما وجده:

1- **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.** ابن تيمية.

وهذا السفر لا يستغني عنه مسلم يريد الكتابة في موضوع التقليد والتبعية. جمع صاحبه الآيات والأحاديث التي تتحدث عن التشبه بأهل الكتاب والكفار، وقام بالتأصيل للموضوع. وكان له عليها من الفوائد الشيء العظيم. وجمع فيه أقوال العلماء في هذا الموضوع.

2- **مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين.** أشرف بارقعان.

وتضمنت دراسته بابين، الأول تحدث فيه عن تعريف التشبه وحكمه وأثره من ناحية العقيدة. أما الباب الثاني فكان عن مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث في جانب الاعتقاد والعبادات، وفي الجانب العملي.

3- **الإيضاح والتبيين فيما وقع فيه المسلمون من التشبه بالكافرين.** حمود التويجري.

بدأ كتابه بالتأصيل لموضوع التشبه من الناحية الشرعية، ثم ذكر أمثلة على التشبه في العصر الحديث، وتحدث عن أبواب التشبه العلمية والعملية.

4- **التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية.** ناصر العقل

تقدم بها صاحبها لنيل الشهادة العالية بكلية الشريعة- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 1394هـ- 1973م. وهي عبارة عن دراسة تحليلية لأسباب تبعية الأمة الإسلامية وتقليدها غيرها وبيان نتائج ذلك، ومواقف الناس منه. وعرض في الباب الثاني منها لمعاني التقليد، وللتقليد في الكتاب والسنة حيث تحدث عن النهي العام عن التقليد وعن أمور ورد النهي عنها بخصوصها وكان عرضه دون تحليل أو تفصيل.

5- **التدابير الواقية من التشبه بالكفار.** عثمان دوكلي.

وهي عبارة عن رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الدعوة والاحتساب، مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- قسم الدعوة والاحتساب. ابتدأها بالحديث عن مفهوم التشبه بالكفار وحكمه. ثم أسباب تشبه المسلمين بالكفار وآثاره. وتحدث عن التدابير الإسلامية لتكوين شخصية المسلم وصيانتها، وعلاقة المسلمين بالكفار. وختمها بالدعوة إلى مواجهة آفة التشبه بالكفار.

وبالنظر في الدراسات السابقة، يتبين أنه لم يكن أي منها دراسة قرآنية. أما موضوع الدراسة التي نحن بصددها فتتناول ظاهرة التقليد من خلال الآيات القرآنية، وفق منهج التفسير الموضوعي.

منهجية البحث:

يتمثل منهج الباحث في هذه الدراسة باتباع المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي، معتمداً في ذلك على جمع الآيات القرآنية التي تناولت موضوع التقليد والتعرف عليها وربطها بالواقع، وذلك من خلال الرجوع إلى أمهات كتب التفسير محاولاً استخراج العظات والعبر.

حدود الدراسة:

تبين من خلال البحث والتنقيب عما يتصل بموضوع التقليد والتبعية في القرآن الكريم، أنه موضوع واسع جداً؛ لذا فإن الباحث قد اقتصر على بعض القضايا المتعلقة به، مبرزاً هذه القضايا بأمثلة من القرآن الكريم، وذلك بما تسمح به الدراسة دون توسع كبير.

ولأن الدراسة موضوعية؛ فقد اقتصرت على الآيات القرآنية كأساس، إلا أن ذلك لم يمنع من الاستشهاد بالأحاديث النبوية المعززة للفكرة، دون أن تنفرد هذه الأحاديث بعناوين مستقلة.

خطة الدراسة:

مقدمة

الفصل التمهيدي: مفهوم التقليد ودلالاته في السياق القرآني

المبحث الأول: التقليد في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: التقليد في السياق القرآني

المبحث الثالث: الألفاظ ذات الصلة

الفصل الأول: أسباب التقليد والتبعية

المبحث الأول: الجهل

المبحث الثاني: اتباع الهوى

المبحث الثالث: الخوف والاستضعاف

المبحث الرابع: تعظيم الأنبياء والأولياء

الفصل الثاني: مجالات التقليد والتبعية

المبحث الأول: التقليد في العقيدة

المبحث الثاني: التقليد في الأحكام الشرعية

المبحث الثالث: التقليد في الأخلاق

الفصل الثالث: آثار التقليد والتبعية

المبحث الأول: آثار التقليد في الدنيا

المبحث الثاني: آثار التقليد في الآخرة

الفصل الرابع: مواجهة التقليد والتبعية

المبحث الأول: الاعتبار بمصارع القرون الأولى

المبحث الثاني: القدوة الحسنة

المبحث الثالث: إظهار الصورة المنفرة للمقلدين

المبحث الرابع: إعلان المسؤولية الفردية

خاتمة

الفصل التمهيدي: مفهوم التقليد ودلالاته في السياق القرآني

المبحث الأول: التقليد في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: التقليد في السياق القرآني

المبحث الثالث: الألفاظ ذات الصلة

المبحث الأول

التقليد في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: التقليد في اللغة

التقليد مصدر للفعل الرباعي" قلّد" بتضعيف اللام المفتوحة، ويأتي في اللغة على معان كثيرة، منها:

1. الإحاطة: أي ما يحيط بالشيء. ومنه القلادة، وهي "اسم لما يشتمل على الشيء ويحيط به كاللفافة والعمامة"[1]. قال ابن منظور: "تقليد البُدن: أن يُجعل في عنقها شعار يُعلم به أنها هدي"[2].

فكأن المُقَلِّدَ يجعل ما اكتسبه ممن قلده، قلادة في عنقه، تحيط به، كما تحيط القلادة بالعنق.

2. الإلزام. يقال: "قلده الأمر ألزمه إياه"[3].

فالمقلَّد ألزم المقلِّد فكرته وحمَّله إياها.

3. التناوب. قال الزمخشري: "وهم يتقالدون الماء: يتناوبونه"[4].

فالعادات والأفكار التي هي محل التقليد، يتم تناوبها بين الأجيال، وتنتقل من جيل إلى جيل.

4. المحاكاة والاتباع من غير تفكير[5].

فالمقلد يحاكي من يقلده، ويفعل مثل فعله من غير تفكير ولا نظر ولا تأمل.

---

[1] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (ت: 1205هـ). **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية. ج9- ص67.

[2] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري،(ت: 711هـ). **لسان العرب**. ط3. بيروت: دار صادر. 1414هـ- 1994م. ج 3- ص367.

[33] المرجع السابق. ج 3- ص367.

[4] الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، (ت: 538هـ). **أساس البلاغة**. تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم محمود. بيروت – لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر. 1979م. ص375.

[5] انظر: مصطفى، إبراهيم. **المعجم الوسيط**. دار الفكر. ج2- ص754. المصري، عبد الرءوف. **معجم القرآن الكريم**. ط1. القدس: مطبعة بيت المقدس. 1364هـ- 1945م. ص526.

5. السبق. ف "المقلَّد من الخيل السابق يُقَلَّد شيئاً ليعرف أنه قد سبق"[1].

فيكون المُقَلَّدُ قَد سبق بفكرته وعمله من يقلده، فالمُقَلَّدُ سابِقٌ، والمُقَلِّدُ مسبوق.

يتبين مما سبق أن التقليد له أركان ثلاثة :

1-المقلَّد: اسم مفعول، وهو صاحب الفكرة والأمر.

2-المقلِّد: اسم فاعل، وهو الذي يقوم بتنفيذ ما جاء بهِ المُقَلَّدُ.

3-موضوع التقليد: وهو الأمر المادي أو المعنوي الذي يَكْتَسِبُهُ المُقَلِّدُ مِنَ المُقَلَّدُ.

ونفهم من المعاني اللغوية، أن هناك علاقة بين المُقَلَّد والمُقَلِّد، تقوم على أن يجعل المقلَّد شيئاً في عنق المقلِّد يقوده به، وهذا الشيء هو مادة التقليد وموضوعه. والتقليد نوع اكتساب، يمكن للإنسان أن يكتسبه من غيره.

ولعل من أبرز المعاني التي مرت معنا، والتي تخص موضوع البحث، هو معنى المحاكاة والاتباع من غير تفكير.

المطلب الثاني: التقليد في الاصطلاح

موضوع التقليد يتناوله أكثر من تخصص علمي، فقد وجدنا أهل الفقه تناولوه من الزاوية التي تخصهم، وأهل الاجتماع تناولوه من الزاوية التي تخصهم. وكلاهما تناوله من زاوية مختلفة عن الآخر. فالتقليد من الناحية الفقهية ليس موضوع الدراسة، ومن أراده فله الرجوع إلى مظانّه في كتب أصول الفقه. أما الذي يهمّ الدراسة، فهو ما تناوله أهل الاجتماع فيما يختص بعادات وقيم وسلوكيات يتوارثها جيل عن جيل أو أمة عن أمة.

وقد ورد لكلمة التقليد في الاصطلاح عدة تعريفات، منها:

[1] ابن منظور. **لسان العرب**. ج3- ص367 .

عرفه الجرجاني بقوله: "التقليد عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل، معتقداً للحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل، كأن هذا المتّبِع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه، وعبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل "[1].

وعرفه الدكتور وهبة الزحيلي بقوله: "أخذ قول الغير من غير معرفة دليله، أي محاكاة الغير في العمل والترك"[2].

وقال الشيخ صالح الكرباسي: "هو قبول قول الغير من ذوي الاختصاص والاعتماد على ما توصل إليه في رأيه العلمي، من غير سؤال عن الأدلة والبراهين التي اعتمد عليها"[3].

ويدل التعريف الأخيرعلى أن:

1- المقلِّد أقل علماً من المقلَّد في المسألة التي تم اعتماد المقلِّد فيها على رأي من قلَّده.

2- الواجب أن يكون القبول لقول من هو صاحب اختصاص، فخرج من ذلك القبول بقول من ليس من أهل الاختصاص.

"والمقصود بالتقليد الأعمى بالنسبة للمسلم: ما سلكه المسلمون – من غير إدراك ولا وعي ولا تمحيص – من اتباع الكفار، والأخذ منهم، والتشبه بهم، في شتى ألوان الحياة وأنماط السلوك والأخلاق، وأشكال الإنتاج، في الاعتقاد والتصور والفكر والفلسفة والسياسة والاقتصاد والأدب والفن والثقافة والنظم والتشريع، من غير اعتبار للعقيدة والشريعة الإسلامية والأخلاق الفاضلة، ومن غير إلزام للمنهج الإسلامي الأصيل"[4].

---

[1] الجرجاني، علي بن محمد بن علي. (ت: 816هـ). **التعريفات**. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1405هـ. ص90.

[2] الزحيلي، وهبة. **الوسيط في أصول الفقه الإسلامي**. ط2. بيروت: دار الفكر. 1388هـ . ص 666.

[3] الكرباسي، صالح. مقال على النت بعنوان. **ما معنى التقليد في المصطلح الديني؟ . موقع مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث** الإسلامية. على الموقع الإلكتروني:

http://www.islam4u.com\a\mojib-show.php?rid 503 تاريخ النشر 4-1-2000م .

[4] العقل، ناصر عبد الكريم. **التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية**. السعودية: الرياض. 1393هـ-1394هـ ص56 .

ومن التعريفات السابقة، يمكن بيان الآتي:

1- إن التقليد هو الأخذ بقول الغير، أما الأخذ بالكتاب والسنة والإجماع وأصحاب العلم والمذاهب فلا يسمى تقليداً وإنما هو اتباع، فيكون المراد من قول الغير رأيه واجتهاده.

2- إن التقليد لا يكون إلا مع عدم معرفة الدليل، وهذا إنما يتأتى من العامي المقلِّد الجاهل الذي لا قدرة له، ولا نظر له في الأدلة .

3- التقليد يجب أن يكون لمن يتصف بالعلم والعدالة، فتقليد من لا يوصف بعلم ولا عدالة، فيه تضييع للشخصية وإذابة لها في شخص من يقلده من الناحية السلبية.

"ومن المعاني اللغوية والاصطلاحية للتقليد نفهم بعض الضوابط له، منها :

أولاً: أن التقليد صفة سلبية لا تقع إلا من الجانب الضعيف وأنها صفة نقص.

ثانياً: أن التقليد فيه معاني الانقياد والانهزام والاتباع والتعويض والاستسلام والتلبس والتحمل والتخريف والطاعة العمياء من غير نظر"[1].

فالمقلِّد يتصف بصفات النقص والهزيمة أمام من يقلده، وهو مستسلم له، ولا يقوى على مجادلته.

[1] العقل، ناصر عبد الكريم. **التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية**. السعودية: الرياض. 1393هـ-1394هـ ص56 .

المبحث الثاني

التقليد في السياق القرآني

قبل البدء في هذا المبحث، لا بد من التنبيه على أن لفظة التقليد لم ترد في القرآن الكريم، ولكن وردت لفظتان تجتمعان مع لفظة التقليد في الأصل اللغوي وهما القلائد ومقاليد. وكل منهما ورد في القرآن مرتين على النحو الآتي :

1- كلمة قلائد وردت مرتين في سورة واحدة هي المائدة:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ ﴾ [المائدة: 2].

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: 97].

2- كلمة مقاليد وردت مرتين في سورتي الزمر والشورى:

﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ [الزمر: 63].

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الشورى: 12].

وسيذكر الباحث ما تدل عليه اللفظتان من معنى، كما ورد عند أهل التفسير. وسيبدأ بالقلائد قبل المقاليد حسب ترتيبهما في المصحف.

أولاً: القلائد

دلت هذه الكلمة على ما يعلق في عنق القاصد مكة أو الخارج منها طلباً للأمن، أو ما كان يعلق على أسنمة الهدايا وأعناقها ليعلم أنها هدي فلا يتعرض لها[1].

فالغاية من القلائد هو طلب الأمن، وهذا يدل على شيء من الضعف والخوف، والمقلِّد يقوم بفعل التقليد إما لضعفه في الحجة والعلم، وإما خوفاً ممن يقلده.

ثانياً: المقاليد

وأما المقاليد فتأتي بمعان، كلها متقاربة ومنها:

1- المفاتيح: يقول القرطبي عند قول الله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [الزمر: 63]. "والمقاليد: المفاتيح عن ابن عباس وغيره"[2]. قال الجوهري: "والإقليد: المفتاح. والمِقْلَدُ: مفتاح كالمنجل"[3].

2- الخزائن: "عن السدي، قوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ قال: خزائن السموات والأرض"[4].

وذكر صاحب المفردات في غريب القرآن الكريم هذه المعاني وأضاف إليها فقال: "وقوله ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي ما يحيط بها، وقيل: خزائنها، وقيل: مفاتحها، والإشارة بكلها إلى معنى واحد، وهو قدرته تعالى عليها وحفظه لها"[5].

1الطبري (ت: 310هـ). **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. ط1. مؤسسة الرسالة. 1420هـ - 2000م. ج9 - ص468. الآلوسي، محمود شكري. (ت:1291هـ) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج6ـ ص53.

[2] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت: 671هـ). **الجامع لأحكام القرآن**. ط5. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية. 1417هـ-1996م. ج15- ص179.

[3] الجوهري، إسماعيل بن حماد. (ت: 393هـ). **الصحاح**. ط4. بيروت: دار العلم للملايين.1990م. ج3- ص90.

[4] الطبري. **جامع البيان**. ج21 - ص321.

[5] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت: 502هـ). **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة. ص411-412.

المبحث الثالث

الألفاظ ذات الصلة

من الألفاظ ذات الصلة التي وردت في القرآن الكريم، ما يأتي:

1- **الاتباع** : وردت هذه الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم مئة وأربعاً وسبعين مرة[1].

قال الراغب الأصفهاني: "يقال تبعه واتبعه: قفا أثره، وذلك تارة بالارتسام والائتمار. وعلى ذلك قوله : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: 38][2].

وعند قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ [البقرة: 170] بين الشوكاني ذمه للتقليد والمقلدين فقال: "وفي هذه الآية من الذم للمقلدين، والنداء بجهلهم الفاحش، واعتقادهم الفاسد ما لا يُقادَر قدره"[3].

2- **الأسوة:** ورد ذكر هذه الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم سبع مرات[4].

وتأتي هذه الكلمة بمعنى القدوة. قال الراغب الأصفهاني: "الأُسوَةُ وَالإسوَةُ كالقُدوَةِ والقِدوَةِ وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً، وإن ساراً وإن ضاراً، ولهذا قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:21] فوصفها بالحسنة"[5].

ومما ذكره الزمخشري رحمه الله عند الآية السابقة: "(أسوة حسنة): أي قدوة، وهو المؤتسى أي المقتدى به"[6].

---

[1] عبد الباقي. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. ص183- 186.

[2] الراغب الأصفهاني. **المفردات في غريب القرآن**. ص72 .

[3] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت: 1250هـ). **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. ط2. بيروت- لبنان: دار الكتاب العربي. 1422هـ-2001م. ج1- ص164.

[4] عبد الباقي، محمد فؤاد، (ت: 1388هـ). **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. القاهرة: دار الحديث. 1422هـ-2001م. ص42.

[5] الراغب الأصفهاني. **المفردات في غريب القرآن**. ص18.

[6] والزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي. **الكشاف عن الحقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج3- ص539.

3- **الطاعة:** ورد ذكر هذه الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم مئة وتسعاً وعشرين مرة[1].

وتأتي بمعنى الانقياد. قال الراغب الأصفهاني: "الطوع الانقياد ويضاده الكره. قال: ﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا ﴾ [فصلت: 11].﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعًا وَكَرۡهًا [آل عمران: 83]. والطاعة مثله لكن أكثر ما تقال في الائتمار لما أمر والارتسام فيما رسم، قال: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾ [النساء: 81]، ﴿ طَاعَةٌ وَقَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌ ﴾ [محمد: 21] أي أطيعوا"[2].

وترد كلمة الطاعة بمعنى الإذعان وقبول الأمر. قال الثعالبي رحمه الله: "والطاعة قبول الأوامر"[3].

4- **الاقتفاء:** ورد ذكر مشتقات هذه الكلمة في القرآن الكريم خمس مرات[4].

وتأتي هذه الكلمة بمعنى اتباع الشيء. قفوت أثره واقتفيته تبعت قفاه، والاقتفاء اتباع القفا، ويكنى بذلك عن الاغتياب وتتبع المعايب، وقوله: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾ [الإسراء: 36] أي لا تحكم بالقيافة، والظن. وقفيته جعلته خلفه، قال: ﴿ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾ [البقرة: 87][5]. قال الألوسي: "ولا تقف ولا تتبع، وأصل معنى قفا اتبع قفاه، ثم استعمل استعمل في مطلق الاتباع وصار حقيقة فيه"[6].

وقَفاه قَفْواً وقُفُوّاً واقْتَفاه وتَقَفَّاه: تبعه. القَفْوُ مصدر قولك قَفا يَقْفُو قَفْواً وقُفُواً، وهو أن يتبع الشيء. وقال الأَخفش في قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) أَي لا تَتَّبِع ما لا تعلم.

---

[1] عبد الباقي. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.** ص528 -530.

[2] الراغب الأصفهاني. **المفردات في غريب القرآن.** ص310.

[3] الثعالبي، الشيخ سيدي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، (ت: 876هـ). **الجواهر الحسان في تفسير القرآن.** تحقيق: أبي محمد الغماري الإدريسي الحسني. ط1. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية. 1416هـ-1996م. ج1- ص227.

[4] عبد الباقي. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.** ص657.

[5] انظر: الراغب الأصفهاني. **المفردات في غريب القرآن.** ص410.

[6] الآلوسي. **روح المعاني.** ج15- ص72.

ويقفو: يتبع الأثر. وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا ﴾ [الحديد: 27] أي أتبعنا نوحاً وإبراهيم رسلاً بعدهم[1].

ويفهم من قوله تعالى: (ولا تقف) النهي عن اتباع التقليد، لأنه اتباع بما لا يعلم صحته[2].

5- **الاهتداء:** ورد ذكر مشتقات هذه الكلمة في القرآن الكريم ثلاثمئة وست عشرة مرة[3].

وترد كلمة الاهتداء بمعنى اتباع المنهج والسير على الطريقة. قال الطبري: "وقوله: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف: 22] يقول: وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه من دينهم مهتدون، يعني: لهم متبعون على منهاجهم"[4].

وقال ابن عاشور رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف: 22] ما نصه: "مهتدون معنى (سائرون)، أي أنهم لا حجة لهم في عبادتهم الأصنام إلا تقليد آبائهم، وذلك ما يقولونه عند المحاجة إذ لا حجة لهم غير ذلك"[5].

وقال الراغب الأصفهاني: "وقوله: ﴿ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا ﴾ [يونس: 108] فإن الاهتداء ههنا يتناول وجوه الاهتداء من طلب الهداية ومن الاقتداء ومن تحريها"[6].

---

[1] انظر: ابن منظور. **لسان العرب**. ج15- ص194.

[2] انظر: أبا حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، (ت: 754هـ). **البحر المحيط**. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين. ط1. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية. 1422هـ - 2001م. ج6- ص32.

[3] عبد الباقي. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. ص823- 827.

[4] الطبري. **جامع البيان**. ج21 – ص585.

[5] ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت: 1973م). **التحرير والتنوير**. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع. ج25- ص187.

[6] الراغب الأصفهاني. **المفردات في غريب القرآن**. ص541.

6- **الاقتداء:** ورد ذكر مشتقات هذه الكلمة في القرآن الكريم مرتين[1].

وتأتي بمعنى اتباع الأثر والعمل بالمثل. ذكر البقاعي عند الآية: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: 23] قوله: "(مقتدون) أي مستنون، أي راكبون سنن طريقهم لازمون له"[2].

وقال الطبري: "ومعنى (الاقتداء) - في كلام العرب - بالرجل: اتباع أثره، والأخذ بهديه"[3]. وقال ابن عاشور: "والقدوة هو الذي يعمل غيرُه مثل عمله"[4].

7- **التُّلُو:** ورد ذكر مشتقات هذه الكلمة في القرآن الكريم ثلاث وخمسون مرة[5].

تأتي بمعنى الاتباع. قال الأصفهاني: "تلى: تبعه متابعة ... وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء في الحكم ومصدره تُلُوٌّ وتِلْوٌ، وتارة بالقراءة أو تدبر المعنى ومصدره تلاوة ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ [الشمس: 2] أراد به ها هنا الاتباع على سبيل الاقتداء والمرتبة. ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ [هود: 17] أي يقتدي به ويعمل بموجب قوله. ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: 113]. والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب"[6]

---

[1] عبد الباقي. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. ص648.

[2] البقاعي، برهان الدين أبو حسن إبراهيم بن عمر، (ت: 809هـ). **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي. ط1. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية. 1415هـ -1995م. ج7- ص20.

[3] الطبري. **جامع البيان**. ج11- ص520.

[4] ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. ج6- ص356.

[5] عبد الباقي. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. ص156-157.

[6] الراغب الأصفهاني. **المفردات في غريب القرآن**. ص75.

الفصل الأول: أسباب التقليد والتبعية

المبحث الأول: الجهل

المبحث الثاني: اتباع الهوى

المبحث الثالث: الخوف والاستضعاف

المبحث الرابع: تعظيم الأنبياء والأولياء

المبحث الأول

الجهل

عندما ينتشر الجهل، ينتشر التقليد، لأن الجاهل بالمسألة كالإناء الفارغ، يستقبل ما يلقى إليه، فيتبع ويقلد كي يملأ فراغه. ولقد وجد في التاريخ البشري من جهل حقيقة التوحيد، فعبد غير الله، ووجد من جهل حقيقة النبوة وما بعثت به، فراح يجادلها، ووجد من المسلمين من جهل دينه فراح يخلط بينه وبين الأديان الأخرى، ومن المسلمين من جهل حضارة الغرب المفسدة، وجهل عظمة دينه وحقيقته، فترك مبادئ إسلامه، ليقلد ما تم استيراده من الغرب وخاصة في مجال الغث دون السمين. وسيكون هذا المبحث في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجهل بحقيقة التوحيد

المطلب الثاني: الجهل بحقيقة النبوة

المطلب الثالث: الجهل بجهة التشريع

المطلب الأول: الجهل بحقيقة التوحيد

تحدث القرآن الكريم عن أناس جهلوا حقيقة الألوهية والربوبية، وحقيقة المنعم عليهم، فعبدوا غيره. فهاهم بنو إسرائيل يطلبون من موسى عليه السلام – وهم حديثو عهد بالمعجزة– أن يجعل لهم إلهاً صنماً، تقليداً لعبدة الأصنام. يقول الله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ [الأعراف: 138]. يقول الألوسي: "تعجب عليه السلام من قولهم هذا بعدما شاهدوه من الآية الكبرى والبينة العظمى، فوصفهم بالجهل على أتم وجه، حيث لم يذكر له متعلقاً ومفعولاً لتنزيله منزلة اللازم، أو لأن حذفه يدل على عمومه؛ أي تجهلون كل شيء، فيدخل فيه الجهل بالربوبية بالطريق الأولى"[1]. فبسبب جهلهم هذا طلبوا أن يكون لهم إله كما للقوم آلهة ليعبدوه كما يعبدونها.

[1] الآلوسي. **روح المعاني**. ج9– ص41.

واعتبر صاحب المنار أن أبرز مظاهر الجهل عند بني إسرائيل، وأنسبه لهذا المقام، هو "جهل التوحيد وما يجب من إفراد الرب تعالى بالعبادة من غير واسطة، ولا التقيد بمظهر من المظاهر يتوجه إليه معه، ولا سيما مظهر الأصنام والتماثيل لبعض المخلوقات التي اغتر الجاهلون من قبل بنفعها أو الخوف من ضررها"[1].

ومنح الله بني إسرائيل نعماً كثيرة: كإهلاك عدوهم، ومجاوزة البحر سالمين، ومشاهدة معجزة فلق البحر. ثم ما لبثوا أن رأوا قوماً يعبدون الأصنام حتى سعوا إلى تقليدهم والتشبه بهم، وهذا دليل على أنهم كانوا في نهاية الجهل بحقيقة المنعم سبحانه، فالعبادة غاية التعظيم، فلا تليق إلا بمن يصدر عنه غاية الإنعام، وصرفها لغير مستحقها تقليداً لمن سبقهم، غاية الجهل[2].

وكما طلب جهلة بني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً كما للوثنيين آلهة، طلب جهال الأعراب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط. فقد روى الإمام أحمد عن أبي واقد الليثي أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين. قال: "وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط. قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة. قال: فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ إنها لسنن لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة "[3].

---

[1] رضا، محمد رشيد، (ت: 1935م). **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار** . بيروت– لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر. ج9– ص110–111.

[2] انظر: الرازي، محمد بن عمر التميمي الفخر الرازي الشافعي، (ت: 606هـ).. **مفاتيح الغيب**. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1421هـ - 2000 م. ج13 – ص349–350.

[3] ابن حنبل، أحمد، (ت: 241هـ). **مسند الإمام أحمد**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط2. مؤسسة الرسالة. 1420هـ – 1999م. رقم الحديث: 21897. ج36– ص225–226. وأخرجه الترمذي بنحوه. انظر: الترمذي، محمد بن عيسى أبا عيسى السلمي، (ت: 209هـ). **الجامع الصحيح سنن الترمذي**. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب الفتن – باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم. رقم الحديث: 2180. ج4 – ص475. قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح". وصححه الألباني. انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، (ت: 1420هـ). **ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم**. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي. 1413هـ – 1993م. رقم الحديث: 76. ج1 – ص31.

كذلك وجدنا كفار مكة يطلبون من نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يعبد آلهتهم،[1] فكان الأمر الرباني للنبي صلى الله عليه وسلم أن يرد على المشركين رداً فيه الشدة والوصف بالجهل، فقال سبحانه: ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴾ [الزمر: 64]. فمن جهلهم طلبوا تقليده لهم في عبادة غير الله تعالى واتباع دين آبائهم.

يقول سيد قطب: "وهو الاستنكار الذي تصرخ به الفطرة في وجه هذا العرض السخيف الذي ينبئ عن الجهل المطلق المطبق المطموس"[2]. فلقد جهلوا صفات الله تعالى، وجهلوا فساد عبادة الأصنام، فعبدوها من دون الله تقليداً لآبائهم.

أما الجهل بحقيقة العبادة ومدلولها ومستحقها، فقد وجد في البشرية من صفته ذلك، فافتتن بالقبور والأضرحة فعبدها تقليداً لآبائه. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد. أما ود كانت لكلب[3] بدومة الجندل[4]، وأما سواع كانت لهذيل[5]، وأما يغوث فكانت لمراد[6] ثم لبني غطيف[7] بالجوف[8] عند سبأ، وأما يعوق فكانت

---

[1] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، (ت: 774هـ). **تفسير القرآن العظيم**. ط1. بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي. 1417هـ - 1997م. ج4 – ص54.

[2] قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي، (ت: 1966م). **في ظلال القرآن**. ط10. القاهرة – بيروت: دار الشروق. 1401هـ- 1981م. ج5- ص3061.

[3] كلب بن وبرة بن قضاعة، وبرة هو بن تغلب بن عمران بن الحاف بن قضاعة، إليه تنسب قبيلة كلب. انظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبا الفضل الشافعي، (ت: 852هـ). **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. بيروت: دار المعرفة. 1379هـ. ج8 – ص669.

[4] دومة الجندل: مدينة من الشام مما يلي العراق، أو بين المدينة والشام والعراق. انظر: العسقلاني. **فتح الباري**. ج8 – ص669. العيني، بدر الدين محمود بن أحمد. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج19- ص262.

[5] هذيل: قبيلة سكنت برهاط ، وهو موضع بقرب مكة جهة ساحل البحر . وهي تنسب إلى هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر. انظر: العسقلاني. **فتح الباري**. ج8 – ص669. العيني. **عمدة القاري**. ج19- ص262.

[6] مراد بن مذحج بن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وهو أب لقبيلة من قبائل اليمن. انظر: ابن عبد البر، أبا عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي، (ت: 463هـ). **الإنباه على قبائل الرواة**. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط1. تأليف: بيروت – لبنان: دار الكتاب العربي. 1405هـ - 1985م. ص109، 128.

[7] بنو غطيف، هو بطن من مراد ينتسبون إلى غطيف بن عبد الله بن ناجية بن مراد. انظر: العسقلاني. **فتح الباري**. ج8 – ص670. العيني. **عمدة القاري**. ج19- ص262.

[8] الجوف: المطمئن من الأرض، وهو واد باليمن. انظر: العيني. **عمدة القاري**. ج19- ص263.

لهمدان[1]، وأما نسر فكانت لحمير[2] لآل ذي الكلاع[3]، أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم ففعلوا. فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت"[4]. فابن عباس رضي الله عنهما عنهما يبين أنها لم تعبد إلا بعد هلاك الصالحين ونسخ العلم وانتشار الجهل.

يقول صاحب عمدة القاري: "قوله وتنسخ بلفظ الماضي من التفعيل، أي تغير علمهم بصورة الحال وزالت معرفتهم بذلك ... فحينئذ عبدت على صيغة المجهول. وحاصل المعنى أنهم لما ماتوا وتغيرت صورة الحال وزالت معرفتهم جعلوها معابيد بعد ذلك"[5].

وذكر القرطبي أن الخلق جهلوا أغراض سلفهم في تلك الصور فعبدوها، يقول: "قال علماؤنا: ففعل ذلك أوائلهم ليتأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عز وجل عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم أنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم، ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها"[6].

ويذكر الدكتور البوطي أن الأمم إذا غشيها الجهل فإنها تخلط الحق بالباطل، وتبتعد عن ضياء التوحيد، مقلدة غيرها في الضلالة، فيقول عن العرب: "فلما امتدت بهم القرون وطال

---

[1] همدان : حي أو اسم قبيلة من قبائل العرب. انظر: العيني. **عمدة القاري**. ج19- ص263.

[2]حمير: هم من أهل اليمن، وكان منهم التبابعة وملوك حمير، ومن الحميريين يزيد بن مفرغ الحميري الشاعر. ومن قبائل حمير : الأوزاع ومن التتابعة ذو نواس الذي تهود وقتل أهل نجران النصارى، ومنهم بلقيس بنت أيلى. وفي أنسابهم اختلاف وتخليط ، وتقديم وتأخير ، ونقصان وزيادة . ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم إلا طرف يسير ، لاضطراب رواتهم وبعد العهد . انظر: ابن حزم، أبا محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت: 456هـ). **جمهرة أنساب العرب**. ط3. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية. 1424 هـ - 2003 م. ج2. - ص436-439

[3] آل ذي الكلاع: بطن يعرف بذي الكلاع، من حمير، من القحطانية، وهم: بنو شرحبيل بن حمير. انظر: كحالة، عمر رضا. **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**. ط2. بيروت: دار العلم للملايين. 1388 هـ - 1968م. ج3- ص990

[4] البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي، (ت: 256هـ). **صحيح البخاري**. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. 1401هـ- 1981م. كتاب تفسير القرآن - باب وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق. ج6- ص73.

[5] العيني. **عمدة القاري**. ج19- ص263.

[6] القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**. ج2- ص40-41.

عليهم الأمد، أخذوا يخلطون الحق الذي توارثوه بكثير من الباطل الذي تسلل إليهم. شأن سائر الأمم والشعوب عندما يغشاها الجهل ويبعد بها العهد ويندسّ بين صفوفها المشعوذون والمبطلون. فدخل فيهم الشرك واعتادوا عبادة الأصنام وتسللت إليهم التقاليد الباطلة والأخلاق الفاحشة. فابتعدوا بذلك عن ضياء التوحيد وعن منهج الحنيفية وعمت بينهم الجاهلية التي رانت عليهم أمداً من الدهر، ثم انقشعت عنهم ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام ... وهكذا انتشرت عبادة الأوثان في الجزيرة العربية وشاع في أهلها الشرك. فانسلخوا بذلك عما كانوا عليه من عقيدة التوحيد، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره. وانتهوا إلى مثل ما انتهت إليه الأمم الأخرى من الضلالات والقبائح في المعتقدات والأفعال. وكان من أهم ما دفعهم إلى ذلك كله الجهل والأمية والتأثر بمن كان حولهم من أشتات القبائل والأمم"[1].

وبلغ من جهل الكفار أن اختلقوا لله تعالى بنين وبنات بغير علم منهم، فنسبوا إليه الولد، فكان من جهلهم أن نسبت اليهود عزيراً إلى الله، وكان مثلهم النصارى في قولهم المسيح ابن الله، ويشبههم الكفار في قولهم الملائكة بنات الله – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – فقال الله فيهم وفي أمثالهم: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام: 100].

قال الطبري: "فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلاً بالله وبعظمته، وأنه لا ينبغي لمن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة، ولا أن يشركه في خلقه شريك"[2].

ولقد وُجد في البشرية قديماً وحديثاً من علية القوم من يستخف بعقول الدهماء، طالباً منهم عبادته من دون الله، وهذا من جهله بحقيقة ربه عز وجل، بل ومن جهله بحقيقة نفسه. فقد قال الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف:54].

---

[1] البوطي، محمد سعيد رمضان. **فقه السيرة**. ط8. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. 1399هـ–1979م. ص47–48.

[2] الطبري. **جامع البيان**. ج11– ص10.

يقول البغوي: "استخف فرعون قومه القبط؛ أي وجدهم جهالاً ... (فأطاعوه) على تكذيب موسى"[1].

ويقول سيد قطب حول استخفاف الطغاة للجماهير وعزلهم عن سبل العلم والمعرفة، تقليداً وتشبيهاً لما فعله فرعون فيقودونهم ذات اليمين وذات الشمال: "واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه؛ فهم يعزلون الجماهير أولاً عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، ولا يعودوا يبحثون عنها؛ ويلقون في رُوعهم ما يشاءون من المؤثرات حتى تنطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة. ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك، ويلين قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين! ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق، ولا يمسكون بحبل الله، ولا يزِنون بميزان الإيمان"[2].

والذي لا يستقيم على طريق، ولا يمسك بحبل الله، ولا يزِن بميزان الله، هو الجاهل بهذا الطريق، فجهله كان سبباً في سهولة انقياده لمن استجهله. والناظر في زماننا اليوم، يرى الأمر جلياً في سلوك الكثيرين. فلقد جهلت الأمة حقائق كثيرة عن الله عز وجل، منها حقيقة أن الرزق بيد الله وحده، فصاروا طوعاً في يد المستكبرين، ظناً منهم أنه من خلالهم يكون الرزق، وأنهم لو تركوا طاعتهم لما طعموا ولا شربوا!!.

المطلب الثاني: الجهل بحقيقة النبوة

لقد جهلت الأقوام الكافرة رسالة النبي المبعوث بها، وأنه مكلف بالبلاغ وليس الإتيان بعذاب أو بمعجزات مقترحة. فأخذت الأقوام تطلب من أنبيائها ما ليس بمقدورها، ولا هو من خصائص نبوتها.

فوجدنا القرآن الكريم ينفي العلم عمن طلب الآيات من أنبيائهم عليهم السلام، لا من أجل الاهتداء بل عناداً منهم ومكابرة، وشابهوا في ذلك من قبلهم من اليهود والنصارى في الجهل

---

[1] البغوي، الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد، (ت: 516هـ). **معالم التنزيل**. ط1. مصر: مطبعة المنار. 1347هـ. ج7- ص404.

[2] قطب. **في ظلال القرآن**. ج5- ص3194.

بحقيقة الرسالة والنبوة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: 118]. وهنا يطلب الكفار من محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل العناد أن يكلمهم الله مباشرة، ليخبرهم أن محمداً رسول، أو تأتيهم معجزة من الله تدل على صدقه، ومثل هذا القول قالته الأمم من قبل لرسلها عناداً ومكابرة وعنتاً؛ بسبب تشابه قلوب السابقين واللاحقين في الكفر والضلال[1].

ومن جهل الأقوام بحقيقة رسلها، وحقيقة ما أرسلت به، أن طلبت منهم رؤية الله تعالى. فبنو إسرائيل طلبوا من موسى عليه السلام أن يروا الله بلا حجاب، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: 55]. ومثل ذلك طلب مشركو مكة من النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾ [الفرقان: 21].

ومما طلبه علية الأقوام كذلك من أنبيائهم جهلاً، طرد الذين آمنوا مع الأنبياء، متذرعين بأنهم من أراذل الناس، ولا يجلسون معهم أنفة واستكباراً. ولقد كان هذا الطلب من قوم نوح عليه السلام، وقلدهم فيه قوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم. يقول الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ [هود: 29].

[1] انظر: القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**. ج2– ص64. وابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج1–ص154.

وطلب الطرد هذا، جاء نتيجة طبيعية للجهل بالقيم الحقيقية التي يوزن بها الناس، ظناً منهم أن التفاضل بين الناس يكون بالمال والجاه والسلطان[1].

وهذا الطلب الجاهل من قوم نوح، تبعهم فيه أهل مكة، عندما أبت نفوسهم الجلوس مع ضعفاء المؤمنين، كبلال الحبشي وسلمان الفارسي وغيرهما. فقال سبحانه مخاطباً نبيه الكريم: ﴿ وَلا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: 52].

فمن جهل قوم نوح عليه السلام، وجهل قريش بحقيقة وظيفة النبوة، طلبوا طرد الضعفاء، ولو علموا حقاً ويقيناً أن النبي صلى الله عليه وسلم ما هو إلا مبلغ، لما طلبوا منه طرد من آمن معه. ولو علموا أن حسابهم على رب العالمين، وأن الأنبياء ليسوا بمحاسِبين، ولو علموا حقيقة ميزان التفاضل بين البشر، لما طلبوا مثل هذا. ولكن قوم نوح جهلوا ذلك فنادوا بطرد الذين آمنوا، وقلدهم في ذلك أهل مكة.

المطلب الثالث: الجهل بجهة التشريع

لم يقتصر الوصف القرآني بالجهل على المقلِّد أو التابع، بل شمل المتبوع أيضاً، لأنه أخذ يشرع لنفسه ولمن يتبعه شرعاً من عنده، ما أنزل الله به من سلطان. يقول الله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[البقرة: 170] ويقول سبحانه:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج15- ص301. وقطب. **في ظلال القرآن**. ج4 – ص1874. والطنطاوي، محمد سيد، (ت: 1431هـ). **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**. ط1. القاهرة: دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. 1997م. ج7- ص195.

تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [المائدة: 104].

والآيتان لهما ارتباط بما قبلهما، فالآيات السابقة تتحدث عن حق الله في التشريع والتحليل والتحريم[1]. فالله سبحانه هو الخالق المالك، ومن حقه وحده أن يشرع، فهو العالم بمن خلق وما يصلحه وما يفسده، فيُحلَّ ما يصلحه، ويحرم ما يفسده، ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك: 14]. وليس لأحد مهما علت مكانته علماً أو جاهاً أو سلطاناً أن يشرع من عند نفسه؛ لأنه يبقى جاهلاً بحقيقة النفس البشرية، وحقيقة الكون، وحقيقة ما يصلحهما. ويخبرنا القرآن بأن الجاهل الذي لا يهتدي إلى هذه الحقيقة، حينما يُطالب باتباع شرع الله تعالى في التحليل والتحريم، يكون رده:﴿ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ و﴿ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾، فيقلد آباءه ويتبعهم في ذلك.

ولما جهِل الكفار أن حق التشريع لله وحده، نازعوه في ذلك، وجادلوا أنبياءه في هذا الحق الإلهي. فالنزاع بين الرسل والدعاة من جهة، وأقوامهم من جهة أخرى، لم يكن – في الأغلب الأعم– حول قضية الربوبية، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: 9]، وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف: 87] ولكنه كان حول من تكون له السلطة والحاكمية. فوجدنا حكم الطاغوت وتشريعاته، ينازع دائماً حكم الله تعالى.

وضرب الله للمقلدين الذين كفروا مثلاً غاية في الزراية والإهانة، إذ شبههم بالبهائم في الجهل، فقال سبحانه بعد آية البقرة السابقة: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة: 171].

[1] انظر: سورة البقرة: 168–169، وسورة المائدة: 87–103.

قال الطبري: "ومثل الذين كفروا في قلة فهمهم عن الله وعن رسوله، كمثل المنعوق به من البهائم، الذي لا يفقه من الأمر والنهي غير الصوت"[1].

قال سيد قطب: "ومن ثم يرسم لهم صورة زرية تليق بهذا التقليد وهذا الجمود، صورة البهيمة السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا صاح بها راعيها سمعت مجرد صوت لا تفقه ماذا يعني! بل هم أضل من هذه البهيمة، فالبهيمة ترى وتسمع وتصيح وهم صم بكم عمي"[2].

لقد أراد بعض الصحابة أن يحدثوا عملاً في الإسلام، بأن يحرموا على أنفسهم بعض ما أحل الله من نساء وطعام ونوم، تقليداً للنصارى في تحريم ذلك، ظناً منهم أن في ذلك زيادة قربى لله تعالى، وعدم علم منهم بأنه لا تجوز الزيادة في الشرع بما لم يأمر به. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا، لكنى أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[3].

فهؤلاء الصحابة أرادوا الترهب كالنصارى، ظناً منهم أن ذلك أرضى لله عز وجل وأقرب إليه، فلما بيّن لهم النبي صلى الله عليه وسلم وجه الحق وتعلموه، تركوا محاولة اتباع النصارى، واتبعوا الحق.

ولقد حذر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من تقليد الكفار في التشريعات الوضعية وغيرها، فقال سبحانه: ﴿ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: 49-50]

فنسبت الآية الحكم للجاهلية، فكل حكم لم يكن من عند الله تعالى فهو من صنع الجاهلية.

---

[1] الطبري. **جامع البيان**. ج3- ص311.

[2] قطب. **في ظلال القرآن**. ج1- ص155.

[3] مسلم، أبو الحسين بن الحجاج بن القشيري النيسابوري، (ت: 261هـ). **صحيح مسلم**. بيروت: دار الجيل ودار الآفاق الجديدة. كتاب النكاح – باب استحباب النكاح. رقم الحديث: 3469. ج4- ص129.

واليوم جهل كثير من المسلمين دينهم، وجهلوا من له الحق في التشريع، وقصروا فهمهم له على عبادات تقام، ظناً منهم أن هذا هو الإسلام، فهم يستفتونه في لباس أو شراب أو نكاح، أما النُظم العامة، كنظام العقوبات، والنظام السياسي، والنظام الاجتماعي، فلم يعد الاستفتاء فيها للإسلام، بل للنظريات والدساتير الوضعية. فالعلمانية مثلاً ظهرت في الغرب في ظروف مخصوصة، فجاء في الأمة من جهل دينه، فاستوردها لتصبح دستوراً مطبقاً في ديارنا، وبهذا كان التقليد لأفكارهم ودساتيرهم، فتشابهت الفعال والتشريعات.

يقول الدكتور عبد الله علوان معتبراً الجهل من أسباب الارتماء في أحضان الغرب وحضارته: "ومن المؤكد يقيناً أن الذي فسد تصوره عن الإسلام وأحكامه، وأنظمته وتشريعاته، وتاريخه وأمجاده، ومدنيته وحضارته، من المؤكد أنه يتأثر بكل غزو فكري، ويتفاعل مع كل دعوة لا دينية، وينقاد لكل فكرة لا أخلاقية. ذلك لأنه فارغ العقيدة، وفارغ العلم، وفارغ الأخلاق"[1].

وهذا الجهل بجهة التشريع هو الذي جعل الأجيال المسلمة تقلد الغرب في مجالات الحياة المختلفة، الاجتماعية والسياسية والتعليمية والاقتصادية.

ففي جاهلية الحياة الاجتماعية، دخلت المرأة المسلمة معركة التقليد، فحينما سفهت أمر دينها خرجت سافرة تسابق الرجال إلى العمل تحت عناوين مختلفة استقتها من الغرب كتحرير المرأة، ومساواتها بالرجل. ودخلت عالم الأزياء، حتى وصل بنا الأمر إلى الإعلان عن ملكة جمال فلسطين. فصارت تتبرج تبرج الجاهلية الأولى والله عز وجل ينهى المرأة المسلمة عن تقليد الكافرات، فيقول: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: 33]، وذكرت الآية الجاهلية الأولى، وكأن هناك جاهلية ثانية وهو ما نراه اليوم وفي كل جاهلية لا تلتزم فيها المرأة منهاج ربها.

---

[1] علوان، عبد الله ناصح، (ت: 1987م). **الشباب المسلم في مواجهة التحديات**. ط3. دمشق: دار القلم. بيروت: الدار الشامية. 1414هـ- 1994م. ص195. وانظر: العقل. **التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية**. ص111-113.

وفي جاهلية المجال الاقتصادي، وجدنا ابتزاز الأموال عن طريق المصارف الربوية، وإقامة الشركات القائمة على الاستغلال، وجعل البلاد الإسلامية سوقاً استهلاكياً لمنتوجات الغرب الرأسمالي، والله سبحانه أعلن الحرب على الربا: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾ [البقرة: 279]. ولما وجدت مصارف إسلامية تحرص – ما استطاعت– أن تطبق شرع الله في معاملاتها، أخذ بعض المسلمين يقول: لا فرق بين المصارف الإسلامية وبين المصارف الربوية، فكانت قولتهم هذه كقولة أهل مكة عندما قالوا كما أخبر الله تعالى عنهم ﴿ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: 275]. فلما جهل المسلمون الفرق بين الربا والربح، والفرق بين المعاملات الإسلامية والمعاملات الربوية، قالوا: لا فرق بين المصرفين.

وفي مجال الحكم، يقول الله تعالى: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: 50]. فالله عز وجل أنزل حكماً وتشريعاً يناسب البشر جميعاً قديماً وحديثاً ومستقبلاً، وجاءت جاهلية اليوم– كما هي جاهلية الماضي– لتقرر أن التشريع من حقها، فأخذ المسلمون يقلدونها في ذلك التشريع. جهلاً منهم بتشريع ربهم، وأنه تشريع قديم لا يناسب عصر الذرة.

والأخطر من هذا افتخار بعض المسلمين– في مستويات مختلفة– بهذه الثقافات الأجنبية، بل والدفاع عنها، وهذا كله جهل منهم بحقيقة دينهم وإسلامهم، ولو فقهوا دينهم حيث الشمول والعزة والأخلاق، ولو عرفوا حقيقة حضارة الغرب حيث الخواء الروحي والفساد الأخلاقي والاجتماعي، لما انبهروا بحضارة الغرب، وأخذوا يقلدونها، ولما طرحوا دينهم وراءهم ظهرياً.

المبحث الثاني

اتباع الهوى

ذم الله تعالى اتباع الهوى في كتابه العزيز في مواطن كثيرة. واتباع الهوى قد يكون في الشبهات وهي أمور الدين، وقد يكون في الشهوات وهي أمور الدنيا، وقد يكون في أمر مشترك بينهما[1]. ويذكر ابن القيم هذا الأمر عند قول الله تعالى: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلاً وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [التوبة: 69] حيث يقول: "والمقصود أنه سبحانه جمع بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض بالباطل، لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به وهو الخوض، أو يقع في العمل بخلاف الحق والصواب وهو الاستمتاع بالخلاق. فالأول البدع والثاني اتباع الهوى، وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبلاء، وبهما كُذِّبت الرسل وعُصِي الرب ودُخلت النار وحلت العقوبات. فالأول من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات، ولهذا كان السلف يقولون احذروا من الناس صنفين صاحب هوى فتنه هواه، وصاحب دنيا أعجبته دنياه ... فقلَّ من تجده فاسد الاعتقاد إلا وفساد اعتقاده يظهر في عمله. والمقصود أن الله أخبر أن في هذه الأمة من يستمتع بخلاقه كما استمتع الذين من قبله بخلاقهم، ويخوض كخوضهم"[2].

يتبين مما سبق أن اتباع الهوى أساس كل بلوى في الدين والدنيا. والناس يتعاقبون في اتباع أهوائهم، ويتشابهون في اعتقاداتهم وأعمالهم تبعاً لأهوائهم.

---

[1] انظر: الغصن، سليمان بن صالح. **اتباع الهوى مظاهره خطره علاجه**. دار العاصمة. ص9.

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الجوزية، (ت: 751هـ). **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. بيروت: دار الجيل. 1973م. ج1- ص136-137.

وبناء على ما سبق، سيحوي هذا المبحث المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: اتباع الهوى في الشبهات

المطلب الثاني: اتباع الهوى في الشهوات

المطلب الأول: اتباع الهوى في الشبهات

توعد الشيطان بني آدم ليقعدن لهم الصراط المستقيم، وأن يضلهم ضلالاً بعيداً، فزين لهم الإشراك بالله تعالى، والتمرد على شرعه، والحكم بغير ما أنزل، فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين. وفاعل هذا من بني البشر لا يخلو عن اتباع للهوى في فعله هذا. وما دام الأمر كذلك، فإن بني البشر توارثوا هذه الصفات وقلد بعضهم بعضاً فيها.

وسيتناول الباحث في هذا المطلب اتباع الهوى في شبهة الغلو والشرك، والحكم بغير ما أنزل الله، واستبدال التشريع الرباني بالتشريع الوضعي.

أما اتباع الهوى في شبهة الغلو، فقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: 77]. وجاءت الشبهة من أن الذين عبدوا مع الله غيره، "كانوا يرون أن الحق في اتخاذ آلهة مع الله تعالى"[1].

وقريب من عبادة النصارى وغلوهم في عيسى عليه السلام تبعاً لأهواء من ضل قبلهم وأضل، فقد وجدنا كذلك متبعي الأهواء من كفار مكة قلدوا آباءهم في عبادة الأصنام، حتى بأسمائها. قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ

[1] الرازي. **مفاتيح الغيب**. ج23- ص97.

وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ [النجم: 19-23]. فهم يعبدونها كما عبدها آباؤهم، ولا يتبعون في عبادتها إلا الظن وهوى النفس والتقليد الأعمى. ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري: " أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب: يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب. فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله "[1].

وصاحب الهوى متقلب في عبادته، واختيار معبوده، فيتنقل بين معبوداته حسب هواه. يروي الطبري عن سعيد[2]، قال: "كانت قريش تعبد العزى، وهو حجر أبيض، حيناً من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر، فأنزل الله (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه)"[3].

واتباع الظن وهوى النفوس، مسألة يستمر عليها بنو البشر، فيقلد اللاحق السابق في معتقده وفعله اتباعاً لهواه. وهذا ما تدل عليه صيغة المضارع في كلمة (يتبعون) في الآية السابقة[4].

قال ابن عاشور: "وجيء بالمضارع في (يتبعون) للدلالة على أنهم سيستمرون على اتباع الظن وما تهواه نفوسهم، وذلك يدل على أنهم اتبعوا ذلك من قبل"[5].

ولقد كان اتباع الهوى سبباً في الصد عن اتباع الحق، فالله عز وجل قد خاطب موسى عليه السلام[6] بقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ۝١٥ فَلَا

---

[1] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الجنائز – باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله. ج2- ص98.

[2] هو سعيد بن جبير. الجصاص، أحمد بن علي الرازي أبو بكر، (ت: 370هـ). **أحكام القرآن**. تحقيق : محمد الصادق قمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.1405هـ. ج5- ص266.

[3] الطبري. **جامع البيان**. ج22- ص76.

[4] النجم: 23.

[5] ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. ج27- ص109.

[6] انظر: ابن عطية، أبا محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، (ت: 541هـ). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية. 1413هـ ـ 1993م. ج4-ص50.

يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه: 15-16]. وخاطب نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم مبيناً له تشابه كفار مكة مع قوم موسى عليه السلام في ترك الحق بسبب اتباع الهوى[1] فقال سبحانه : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: 50].

يقول صاحب التفسير الوسيط: "ما يتبع هؤلاء الجاهلون في عبادتهم لتلك الآلهة الباطلة، إلا الظنون الكاذبة، وإلا ما تشتهيه أنفسهم الأمارة بالسوء، وتقليد للآباء بدون تفكر أو تدبر"[2].

ووجد في المسلمين فرق غالت في الرجال والعقائد اتباعاً لهواها، كما هو حال اليهود والنصارى، ومنها بعض الشيعة الذين غلوا في آل البيت والحسن والحسين والأئمة، حتى رفعوهم إلى درجة النبوة، بل ومنهم من رفع الأئمة فوق مرتبة النبوة.

وكما كان اتباع الهوى في شبهة العقائد، كان كذلك في شبهة التشريع. يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: 119]. وشبهة الكفار في تحليل الميتة أن ما ذبح الإنسان فحلال، وما قتل الله فحرام، فهل الإنسان أحسن من الله؟! فلا بد من تحليل ما قتل الله (الميتة). يقول سيد قطب: "ولما كانت هذه النصوص تواجه قضية حاضرة إذ ذاك في البيئة، حيث كان المشركون يمتنعون من ذبائح أحلها الله، ويحلون ذبائح حرمها الله –ويزعمون أن هذا هو شرع الله!– فإن السياق يفصل في أمر هؤلاء المشترعين المفترين على الله، فيقرر أنهم إنما يشرعون بأهوائهم بغير علم ولا اتباع، ويضلون الناس بما يشرعونه لهم من عند أنفسهم، ويعتدون على ألوهية الله

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج19– ص592.

[2] الطنطاوي. **التفسير الوسيط**. ج14– ص70.

وحاكميته، بمزاولتهم لخصائص الألوهية وهم عبيد"[1]. وكان من تشريع كفار مكة تلاعبهم في الأشهر الحرم، كما أخبرنا الله عنهم: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [التوبة:37]. الأشهر الحرم التي حرمها الله تعالى أربعة: ثلاثة سرد وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، وواحد فرد وهو رجب. وكانت العرب تمتنع من الغارات في هذه الأشهر. فلما كان ترك القتال يطول هذه المدة – ثلاثة أشهر متتالية – أخذوا يحلون هذه الأشهر ويحرمون مكانها غيرها. وهذا التحليل والتحريم كان تبعاً لأهوائهم. يقول ابن كثير: "هذا مما ذم الله تعالى به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة، وتحليلهم ما حرم الله، وتحريمهم ما أحل الله"[2].

وفعل كفار مكة هذا، وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم، يشابه فعل اليهود من قبل في التبديل والتكذيب.

قال تعالى: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: 48]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: احكم، يا محمد، بين أهل الكتاب والمشركين بما أُنزل إليك من كتابي وأحكامي في كل ما احتمكوا فيه إليك، من الحدود والجُرُوح والقَوَد والنفوس، فارجم الزاني المحصَن، واقتل النفسَ القاتلةَ بالنفس المقتولة ظلمًا، وافقأ العين بالعين، واجدع الأنف بالأنف، فإني أنزلت إليك القرآن مصدقاً في ذلك ما بين يديه من الكتب، ومهيمناً عليه رقيباً، يقضي على ما قبله من سائر الكتب قبله، ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود الذين يقولون: إن أوتيتم الجلدَ في الزاني المحصن دون الرجم، وقتلَ الوضيع بالشريف إذا قتله، وتركَ قتل الشريف بالوضيع إذا قتله، فخذوه، وإن لم تؤتوه فاحذروا "[3].

---

[1] قطب. **في ظلال القرآن.** ج3- ص1197.

[2] ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم.** ج2– ص308.

[3] الطبري. **جامع البيان.** ج10– ص382–383.

واليوم نرى تبديل حكم الله تعالى في عالمنا الإسلامي حتى لا يتهموا بالرجعية، فتشابه حكام المسلمين باليهود في تعطيل حكم الله تعالى واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ولقد خاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم محذراً إياه من اتباع أهواء يهود وأن يحكم لأشرافهم على خصومهم: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾ [المائدة: 49]. والتحذير الرباني للنبي صلى الله عليه وسلم، تحذير لأمته .

فالله تعالى يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يحكم بين سائر أهل الملل بما أنزل الله من أحكام، برجم الزاني المحصن، وقتل القاتل عمداً، والقصاص بجدع الأنف بالأنف، ولا يتبع أهواء اليهود بجلد الزاني المحصن دون الرجم، وقتل الوضيع بالشريف دون العكس[1].

وهذا الاستبدال موجود في بلاد المسلمين اليوم، فالحدود معطلة، إذ السارق له السجن بدل قطع اليد، والزانيان بالرضا لا عقوبة عليهما، وشارب الخمر لا جلد عليه. والقصاص معطل، فالقاتل عمداً يسجن ويقتل غيره من أقربائه ثأراً، كما هو الحال في الجاهلية الأولى. فكانت شبهة تعطيل الحكم بما أنزل الله تعالى صفة اليهود، ففعل المسلمون فعلهم وتبعوهم وقلدوهم في الأمر.

ولقد نهى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون فقال: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الجاثية: 16-18]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أخبر سبحانه أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا ، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغياً من بعضهم على بعض، ثم

[1] انظر: المصدر السابق. ج10- ص382-383.

جعل محمداً صلى الله عليه وسلم على شريعة من الأمر، شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في (الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ): كل من خالف شريعته. و (أهواؤهم) هي ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك فهم يهوونه، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم، ويسرون به، ويودون أن لو بذلوا مالاً عظيماً ليحصل ذلك"[1].

المطلب الثاني: اتباع الهوى في الشهوات

بين الله تعالى في كتابه العزيز حب الناس للشهوات، فقال سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: 14]. ومن الناس من يحبها حباً جماً، ويتبع هواه في حبها لدرجة هلاكه من حيث لا يشعر، فيعميه حبها عن اتباع الحق، وتكون له إلهاً يعبد، فيصدق عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: " تعس[2] عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة[3] إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس[4] وإذا شيك فلا انتقش[5]"[6].

---

[1] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس، (ت: 728هـ). **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**. تحقيق محمد حامد الفقي. ط2. القاهرة: مطبعة السنة المحمدية. 1369هـ. ص14.

[2] تعس: انكب على وجهه. انظر: العسقلاني. **فتح الباري**. ج11- ص254.

[3] الخميصة: كساء مربع له علمان. انظر: العسقلاني. **فتح الباري**. ج1- ص483.

[4] انتكس: انقلب على رأسه. تعس وانتكس: أي عاوده المرض. وفيه الترقي عليه في الدعاء. انظر: العسقلاني. **فتح الباري**. ج11-ص254.

[5] وإذا شيك فلا انتقش: أي إذا أصابته الشوكة فلا وجد من يخرجها منه بالمنقاش. انظر: العسقلاني: **فتح الباري**. ج11- ص255.

[6] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الجهاد والسير- باب الحراسة في الغزو في سبيل الله. ج3- ص223.

يقول ابن تيمية: " فهذا الاتباع والتقليد الذي ذمه الله هو اتباع الهوى إما للعادة والنسب كاتباع الآباء وإما للرئاسة كاتباع الأكابر والسادة والمتكبرين فهذا مثل تقليد الرجل لأبيه أو سيده أو ذي سلطانه"[1].

ولقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن اتباع الهوى في الشهوات، منها شهوة الكبرياء، وشهوة العلم، وشهوة معاندة الآخرين وتكذيبهم، وكذلك قلب الحقائق، وشهوة الاستنكاف عن الجلوس مع الفقراء والضعفاء من المؤمنين، وكانت هذه الصفات مشتركة تشابهت فيها قلوب كثير من البشر والأمم، فقلد بعضهم بعضاً، وكان الدافع لذلك اتباع الهوى. وسيتحدث الباحث عن تتابع الأجيال في هذه الشهوات على النحو الآتي:

أولاً: اتباع الهوى في الكبرياء

إن خلق الكبرياء، خلق يعمي عن اتباع الصراط المستقيم، ومن اتبع هواه في هذا الخلق واستكبر، وجد نفسه معانداً للحق، صاداً عن سبيل الله تعالى. ولقد وجد هذا الأمر في الأمم والأفراد، فقال سبحانه عن بني إسرائيل: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: 87]. فبنو إسرائيل استكبروا عن سماع الحق واتباع الرسل، فقتلوا فريقاً منهم وكذبوا فريقاً. فقد فعلوا مثل ما فعل فرعون وقومه حينما أنكروا الحق علواً وكبرياءً، إذ قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النحل: 14]. فنفوسهم أيقنت الحق، ولكنهم رفضوه تكبراً، ففرعون استكبر عن الحق تبعاً لهوى نفسه في جعلها إلهاً من دون الله، وقومه اتبعوه عبادة له من دون الله تعالى، فصدق قول الله عز وجل فيهم: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [القصص: 39]. فكانت صفة الاستكبار ماثلة في بني إسرائيل وفي فرعون وجنده. وذات الأمر نجده ماثلاً في- أبي جهل- الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ

[1] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني. **مجموع الفتاوى**. تحقيق: أنور الباز – عامر الجزار. ط3. دار الوفاء. 1426 هـ – 2005 م. ج20-ص16.

هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية: 23]. "وذلك أنه طاف بالبيت ذات ليلة ومعه الوليد بن المغيرة، فتحدثا في شأن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبو جهل: والله إني لأعلم أنه لصادق! فقال له: مه! وما دلك على ذلك!؟ قال: يا أبا عبد شمس، كنا نسميه في صباه الصادق الأمين؛ فلما تم عقله وكمل رشده، نسميه الكذاب الخائن!! والله إني لأعلم أنه لصادق! قال: فما يمنعك أن تصدقه وتؤمن به؟ قال: تتحدث عني بنات قريش أني قد اتبعت يتيم أبي طالب من أجل كسرة، واللات والعزى إن اتبعته أبداً. فنزلت: (وختم على سمعه وقلبه)"[1].

فأبو جهل أيقن أن محمداً صلى الله عليه وسلم على الحق، إلا أنه كذبه اتباعاً لهواه، وصد عن سبيل الله تعالى كبرياءً من نفسه، وبقي بهذا مقلداً لدين آبائه. وذكر ابن تيمية عن بعض السلف أنه قال: "ما من نفس إلا وفيها ما في نفس فرعون، إلا أنه قدر فأظهر وغيره عجز فأضمر"[2].

ثانياً: اتباع الهوى في العمل بخلاف ما يعلم

علّم الله تعالى الإنسان ما لم يعلم، والأصل في الإنسان أن يشكر الله تعالى على هذه النعمة بأن يؤدي حق الله فيها، إلا أن هناك ممن تعلم حتى إذا صار عالماً اتبع هواه، فعندها تكلم أو عمل خلاف ما يعلم. ولقد ذكر الله تعالى هذا الصنف في كتابه العزيز فقال:

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 175-176].

---

[1] القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**. ج16- ص113.

[2] ابن تيمية. **مجموع الفتاوى**. ج8- ص217.

وهذه الآية كانت في يهودي آتاه الله علماً، فذهب إلى من أغدق عليه العطاء فتبعه وترك دين موسى عليه السلام[1].

وعلماء السلاطين موجودون في كل حين، تتعاقب وتتشابه فعالهم في إرضاء سلاطينهم تبعاً لأهوائهم. ونحن نرى اليوم بعض الفتاوى لعلماء يتبعون أهواء السلطان في وجوب بناء الجدار الفولاذي لخنق المسلمين في غزة، وفتاوى الاستعانة بالكافر في محاربة المسلمين أيام دخول الجيش العراقي الكويت، وفتاوى تحليل أكل القليل من الربا، حجتهم في ذلك أن المحرم هو الأضعاف المضاعفة منه، كل هذا إرضاء لأهوائهم وسلاطينهم. يقول سيد قطب: "وكم من عالم دين رأيناه يعلم حقيقة دين الله، ثم يزيغ عنها، ويعلن غيرها، ويستخدم علمه في التحريفات المقصودة، والفتاوى المطلوبة لسلطان الأرض الزائل! يحاول أن يثبت بها هذا السلطان المعتدي على سلطان الله وحرماته في الأرض جميعاً"[2].

والآية تبين أن هذا الصنف من العلماء: (أخلد إلى الأرض واتبع هواه) حيث ملذاته وشهواته، واتبع الهوى في حبها، والأصل أن يرفعه علمه إذا عمل به، كما أخبر سبحانه:

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: 11]، إلا أنه آثر الحياة الدنيا، فنزل من العلو إلى السفل، واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وكان من الذين قال الله فيهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [النساء: 44].

ومن المزالق الخطيرة على المفتي: "أن يتبع الهوى في فتواه، سواءٌ هوى نفسه، أو هوى غيره، وبخاصة أهواء الحكام وأصحاب السلطة، الذين ترجى عطاياهم، وتخشى رزاياهم، فيتقرب إليهم الطامعون والخائفون، بتزييف الحقائق، وتبديل الأحكام، وتحريف الكلم عن

[1] انظر: ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج2– ص231.

[2] قطب. **في ظلال القرآن**. ج3 – ص1398.

مواضعه، اتباعاً لأهوائهم، وإرضاءً لنزواتهم، ومثل ذلك اتباع العامة، والجري وراء إرضائهم، بالتساهل أو التشديد وكله من اتباع الهوى المضل عن الحق.

ولقد ندد القرآن بعلماء السوء الذين يتبعون الهوى، ويستحبون العمى على الهدى في أكثر من موقع في كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: 23] "[1]. فاتخاذ الهوى والإضلال، كان عن علم.

والتلاعب بالنصوص وتحريفها، صفة اليهود كما أخبر الله تعالى عنهم في أكثر من موطن: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ ﴾ [المائدة: 13].

ومن صفاتهم كذلك كتمان العلم، وبيعه بمتاع الدنيا الزائل، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 174]. ابتلي بعض علماء أمة الإسلام بمثل هذه الصفات وتشبهوا بيهود، فكتموا العلم الصحيح وأظهروا خلافه، وباعوا آيات الله تعالى بمنصب رخيص، ورضا حاكم جائر، تثبيتاً لعرشه، واتباعاً للهوى، فبئس ما يشترون.

ثالثاً: اتباع الهوى في قلب الحقائق

إن أهل الباطل يعتبرون أنفسهم حماة للقيم والوطن، ودعاة إلى الرشاد، وينظرون إلى أهل الحق بأنهم المفسدون في الأرض، المفرقون للجماعات. وهذا الأمر قد تكرر من فرعون وقوم لوط، وأهل مكة، وما زال ماثلاً حتى يومنا هذا، فتشابهت قلوبهم في الهوى، فنتج عن ذلك تصور واحد مكرر للأحداث، فحكمه واحد.

[1] الزعتري، علاء الدين. مقال على النت بعنوان: **مكانة الفتوى ومزالقها**. على الموقع الإلكتروني: http://www.dahsha.com/viewarticli.php?id=28323

قال تعالى على لسان فرعون مخاطباً قومه: ﴿ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [غافر: 26]، ففرعون ينظر إلى موسى على أنه المفسد، ويرى نفسه مصلحاً، فأصبح المعتدي على الألوهية الحقة- طمعاً في إبقاء ألوهيته الزائفة المتبعة للهوى- هو صاحب الحق، ومن أراد تعبيد العباد لخالقهم هو المفسد!. بل واعتبر نفسه أنه الهادي قومه إلى الرشاد، الآتي لهم بدستور رشيد، فقال سبحانه عنه: ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر: 29].

وتكرر الأمر من قوم لوط، حينما نظروا إلى من ترفع عن الفاحشة وتنزه عنها، بأنه لا يستحق مجاورةً ولا مساكنةً، فهم الجديرون بالأرض والوطن، وغيرهم ممن لا يفعل فعلهم ليس له الحق في المواطنة، فقال سبحانه عنهم: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النحل: 56]. والجامع بين قومي فرعون ولوط أسلوب التعامل مع الأنبياء عليهم السلام، وقلبهم للحقائق، فهم أصحاب الأرض المستحقون للمواطنة، وموسى ولوط عليهما السلام ومن تبعهما ليس لهم إلا القتل أو النفي. هذا الأمر نجده كذلك من أهل مكة الذين شاركوا فرعون وقوم لوط في قلب الحقائق تلبية لرغباتهم وشهواتهم، حينما اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بأنه عاب آلهتهم، وسفه أحلامهم، واتهموه بالسحر والكذب والكهانة، وأنه أفسد بين الولد ووالده، وفرق بين المرء وزوجه، فلا بد من سجنه أو قتله أو طرده، ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَ ﴾ [الأنفال: 30].

وتتوالى السنوات والأيام، وتمشي معها الحالة المكرورة من قلب للحقيقة، فيصبح اليوم الأمين خائناً، والخائن أميناً، والصادق كاذباً، والكاذب صادقاً، والمصلح مفسداً، والمفسد مصلحاً، والمجاهد إرهابياً لا يستحق الحياة، ولا بد من محاصرته ومطاردته ونفيه من الأرض. فيتم تصنيف الناس حسب الأهواء والأمزجة. تشابهت القلوب، فحاكت الأفعال بعضها بعضاً. روى ابن ماجة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة. قيل وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه ؛ يتكلم في أمر العامة"[1]

[1] ابن ماجة. **سنن ابن ماجة**. كتاب الفتن – باب الصبر على البلاء. رقم الحديث: 4036. ج2–ص1339. قال الألباني: حسن. الألباني. السلسلة الصحيحة. رقم الحديث: 1887. ج4– ص508.

المبحث الثالث

الخوف والاستضعاف

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه بالعقل والإرادة. وحينما يتنازل عن هذا التكريم الإلهي، فإنه يصبح موبوءاً بوباء التبعية، ويُسْلِم قياد نفسه لغيره، ويعطل عقله، ويسيطر الخوف والضعف عليه. ومن هنا نجده يمتثل أمر سيده، ويجتنب نهيه، تاركاً كتاب ربه وراءه ظهرياً، ومعرضاً عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم حجته في ذلك (إنا نخشى الدوائر، أو التخطف من الأرض)، و(كنا مستضعفين في الأرض).

ومن خلال ذلك سيتعرض هذا المبحث لمطلبين اثنين هما: الخوف والاستضعاف.

المطلب الأول: الخوف

يعرف الخوف بأنه "توقع حلول مكروه، أوفوات محبوب"[1]. والخوف منه الجبلي، ولا مؤاخذة فيه، فهو فوق الطاقة والإرادة. ومنه الخوف النفعي، يجلبه المرء لنفسه نتيجة لضعفها. وهذا وجه ارتباط الخوف بالضعف لدى الباحث. والخوف النفعي قد يكون خوفاً من قوة متوقعة، إذ يقول الله تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ [المائدة: 52]، وقد يكون خوفاً على مال أو منصب، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ [القصص: 57]. وهذا يدل على جهل من الخائف النفعي. فلو علم أن القوة لله جميعاً، وأن الرزق بيده، لما خشي ذا سلطان على منفعته، ولما تبعه متمثلاً قوله وفعله. وهذا وجه ارتباطه بالجهل لدى الباحث.

والخوف من سوء متوهم، كان سبباً في تقليد الكافرين ومتابعتهم، والإعراض عن سبيل المؤمنين. يقول الله عز وجل: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ [المائدة: 52].

---

[1] الجرجاني. **التعريفات**. ص137.

نزلت هذه الآية في المنافقين – وعلى رأسهم ابن سلول – الذين والوا اليهود[1]، وعملوا بأعمالهم مقلدين إياهم في الصد عن دين الله. والحامل لهم على موالاتهم ونصرتهم، خوفهم أن يهزم المسلمون، فتكون لهم يد عند من يوالونهم ، يحفظون بها خط الرجعة – كما يزعمون– "ولكن حجة ابن سلول، هي حجة كل بن سلول على مدار الزمان؛ وتصوره هو تصور كل منافق مريض القلب، لا يدرك حقيقة الإيمان"[2].

وتتكرر صورة ابن سلول وأعوانه اليوم في خشيتهم من اليهود، ومسارعتهم في المحافظة على كيانهم وأمنهم، قائلين: (نخشى أن تصيبنا دائرة). فالمسارعة في خدمة يهود، ديدن المنافقين في هذه الأمة قديماً وحديثاً، محتسبين أن كل صيحة عليهم.

والآية تتحدث عن المسارعة فيهم، وهذا ينم عن نفسية مريضة، فهم يسارعون في نصرة العدو ونقل أخبار المسلمين إليه، كما كان موقف ابن سلول في غزوة بني قينقاع. يقول الزمخشري في وصف سلوك المنافقين مع إخوانهم من أهل الكتاب: "ينكمشون في موالاتهم، ويرغبون فيها، ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان؛ أي صرف من صروفه ودولة من دوله، فيحتاجون إليهم وإلى معونتهم"[3].

وتعدية المسارعة بلفظ (في) وليس بلفظ (إلى) كما في قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [آل عمران: 133]، دليل على أنهم غارقون في التقليد والتبعية. يقول صاحب أيسر التفاسير: "لم يقل يسارعون إليهم، لأنهم ما خرجوا من دائرة موالاتهم حتى يعودوا إليها، بل هم في داخلها يسارعون"[4].

---

[1] انظر: الواحدي، أبا الحسن علي بن أحمد النيسابوري، (ت: 468هـ). **أسباب النزول**. مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع. القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع. 1388هـ – 1968م. ص133.

[2] قطب. **في ظلال القرآن**. ج2 – ص916.

[3] الزمخشري. **الكشاف**. ج1– ص676.

[4] الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**. ط5. المملكة العربية السعودية– المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. 1424هـ– 2003م. ج1– ص642.

وفي هذا دليل على مرض نفوسهم، وعدم ثقتهم بوعد الله بالنصر. فلما كانت النفس المحمولة بين الجنبين بهذا السوء والهزيمة؛ سهل انقيادها لليهود والنصارى وأشياعهم. وحيثما وُجدت نفس بهذا المرض، كانت مقلدة ذائبة في غيرها. وهذا في كل زمان، فنحن نرى الموالاة لليهود والبحث عن رضاهم، بل والمسارعة في رضاهم سلوك عادي لدى البعض، فمنافقو اليوم يقلدون منافقي الأمس، وكل هذا من باب (نخشى أن تصيبنا دائرة).

وعبرت الآية القرآنية بكلمة (فترى) لبيان الأمر عياناً. و سواءٌ أكانت الرؤية قلبية أم بصرية[1]. فهذه الرؤية حاصلة اليوم لكل ذي لب، كما كانت حاصلة للنبي صلى الله عليه وسلم وصحبه، فالرؤية أيضاً تتكرر.

والمخاطب بالرؤية معروف وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، أو من يصلح للخطاب من أمته. والفعل (ترى) مضارع يدل على الاستمرارية، وهذا يعني أن المسألة تتكرر في كل زمان، لأن الإيمان لا ينقطع من الأرض، ويعني ذلك أن الأمر المرئي وهو الموالاة والمسارعة في الكافرين ونقل الأخبار إليهم ومودتهم، تتكرر. والأمر ماثل للعيان في هذا الزمان مشابهة لابن سلول. ولم يكن الحديث مع غائب، ولعل ذلك – والله أعلم – من باب أهمية المؤمن المخاطب، وحظه عند الله تعالى، وتحذيره من أن يصيبه ما أصاب المسارعين فيهم.

وكما أن المسارعة في اليهود والنصارى، وفي موالاتهم ونصرتهم، والقيام بفعلهم، خوفاً من الدائرة، وحفظاً لخط الرجعة، فقد وجدنا أن اتباع الكفار وتقليدهم من ورائه الخوف على المصالح المادية. يقول المولى عز وجل: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ ﴾ [القصص: 57].

يقول ابن كثير: "أي نخشى إن تبعنا ما جئت به من الهدى وخالفنا من حولنا من أحياء العرب المشركين، أن يقصدونا بالأذى والمحاربة ويتخطفونا أينما كنا"[2].

---

[1] "والرؤية البصرية أنسب بظهور نفاقهم. انظر: الطنطاوي. **التفسير الوسيط**. ج4- ص191

[2] ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**.ج3–ص347

والخوف من التخطف شأن زماننا اليوم، فكم من دولة عربية وإسلامية تتبع أوروبا وأمريكا، خوفاً على مصالحها الاقتصادية، أو حباً في تخفيف الديون المتراكمة عليها. يقول سيد قطب: "وإن الكثيرين ليشفقون من اتباع شريعة الله والسير على هداه. يشفقون من عداوة أعداء الله ومكرهم، ويشفقون من تألب الخصوم عليهم، ويشفقون من المضايقات الاقتصادية وغير الاقتصادية! وإن هي إلا أوهام كأوهام قريش يوم قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

﴿ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾"[1].

ولئن كان الخوف من التخطف – إن اتُّبع الدين – هو شأن علية القوم، فقد وجدنا العامة من الناس، تلوك ألسنتهم الفكرة نفسها، فلكم تشنفت الآذان من ثقافة المجتمع- في بلادنا- المستضعف الخائف من الاعتقال، أو عدم الحصول على وظيفة، إن عمل لدينه حق العمل بشموله، أو جاهد نصرة له، محارباً الظلم وأهله، ذاباً عن شرع الله تعالى، ومطالباً بتحكيمه كاملاً غير منقوص. فسبحانك ربي، الفكرة متشابهة، ﴿ تَشَـٰبَهَت قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة: 118] فالحالة ذاتها على مر الأجيال.

ولقد برر القوم عدم تبعيتهم لشرع الله بلفظة (نتخطف) الدالة على الأخذ بسرعة[2]. دلالة على شدة الهلع والخوف من الناس، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الصافات: 69-70].

وهذه الحالة النفسية التي يصفها القرآن العظيم للمقلدين، تدل على ذوبان شخصية صاحبها في المتبوعين، وخوفها منهم. ومن خالط نفسه الشعور بخوف الوصف من ضعف عقلي أو علمي أو اقتصادي، فإنه يصاب بمرض حب الظهور، وهو من شيم القلوب المريضة، فتجده دفعاً لهذه التهمة يسارع في التشبه.

---

[1] قطب. **في ظلال القرآن**. ج5- ص2704.

[2] انظر: مصطفى. **المعجم الوسيط**. ج1- ص244.

واليوم- يرى كل ذي حجر- تنفيذ الصغار أوامر السادة، خوفاً على راتب، أو على وظيفة أو طمعاً في منصب تصبو إليه نفسه، ولسان حالهم يقول كما قالت قريش: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ ﴾، ولئن سألتهم عن قناعتهم بهذه الفعال لقالوا: لسنا على قناعة بذلك ولكنها الوظيفة!!. سبحان الله العظيم تشابهت القلوب مع قلوب قريش، (إن نتبع الهدى) فاعترف الفريقان بأن ما يدعو إليه النبي صلى الله عليه وسلم والدعاة في كل زمان هو الهدى، لكنهم أعرضوا عن اتباعه، وبقوا على دين كبرائهم خوفاً، فحالهم كحال فرعون وجنده: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾ [النمل: 14].

المطلب الثاني: الاستضعاف

وصف الله سبحانه وتعالى حالة الضعف كحالة تعتري النفس البشرية، قد تؤدي إلى الانقياد والتبعية للآخر المستكبر. قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ ﴾ [إبراهيم:21].

يقول سيد قطب: "والضعفاء هم الضعفاء. هم الذين تنازلوا عن أخص خصائص الإنسان الكريم على الله حين تنازلوا عن حريتهم الشخصية في التفكير والاعتقاد والاتجاه؛ وجعلوا أنفسهم تبعاً للمستكبرين والطغاة. ودانوا لغير الله من عبيده واختاروها على الدينونة لله ... والقوة المادية –كائنة ما كانت— لا تملك أن تستعبد إنساناً يريد الحرية، ويستمسك بكرامته الآدمية. فقصارى ما تملكه تلك القوة أن تملك الجسد، تؤذيه وتعذبه وتكبله وتحبسه، أما الضمير، أما الروح، أما العقل، فلا يملك أحد حبسها ولا استذلالها، إلا أن يسلمها صاحبها للحبس والإذلال!"[1].

[1] قطب. **في ظلال القرآن**. ج4- ص2096.

والضعف الذي هو سبب في التبعية قد يكون ضعف رأي[1]. وقد يكون الضعف الذي يكون سبباً في امتثال أوامر المستكبرين، ضعف الأرواح والقلوب في النخوة والكرامة، فيخضع أصحاب هذه النفوس المريضة للمستكبرين، يخضعون لضعف أرواحهم، وسقوط همتهم، وتنازلهم عن كرامتهم[2].

والضعاف هم الذين فقدوا صناعة القرار الذاتي، فأصبحوا مصنوعين لا صانعين، مقودين لا قادة. وهم الذين ذابت شخصياتهم فذاب قرارها الخاص بها في غيرها، ومن هان على نفسه، هان على الناس. يقول الضعفاء للمستكبرين(إنا كنا لكم تبعاً)، "أي مهما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا"[3]. بل هم سادة في التطبيق والامتثال من فرط ضعفهم وذلهم وعبوديتهم، فهم: "لشدة تبعيتهم كأنهم عين التبعية"[4].

لقد قلد الضعفاء الكبراء في أنواع الضلالات المختلفة، فلما كذب المستكبرون الأنبياء، كان الضعفاء كذلك، ولما كان المستكبرون معذبين للرسل عليهم السلام كان الضعفاء جلادين لديهم، منقادين للأمر دون تفكير.

والله تعالى لم يقبل عذر المستضعف، إذا كان قادراً على الانتفاضة على ضعفه وذله تاركاً تبعية كبيره، بل وحتى تكثير سواده. يقول المولى عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: 97]. "إن المسألة المطروحة في هذه الآية هي أن المستضعفين استكانوا لضعفهم ولم ينتفضوا عليه، ويأخذوا القوة ويحققوا قناعاتهم من خلالها. ولذلك لم يعذرهم الله تعالى لأن الضعف أمام الآخر

---

[1] انظر: البيضاوي، ناصر الدين أبا الخير عبدالله بن عمر الشيرازي، (ت: 791هـ). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. دار الفكر. 1402هـ - 1982م. ص339.

[2] انظر: قطب. **في ظلال القرآن**. ج4- ص2096.

[3] ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج2- ص454.

[4] الآلوسي. **روح المعاني**. ج24- ص74.

لا يبرر أن يجعل المستضعف يحني فكره أمام فكر الآخر، وأن تسقط إرادته أمام إرادته، أو أن يلقي عقله أمام عقل الآخر"[1].

ولقد عبر القرآن الكريم عن المستضعفين بصيغة الفعل المبني للمجهول (استضعفوا)، كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ﴾ [سبأ: 33]. وفي التعبير بصيغة المبني للمجهول دلالة على شدة مهانتهم لأنفسهم وعدم تقديرهم لكرامتها، فأذلوها مقلدين الذين استكبروا. وفي المقابل كان التعبير عن المستكبرين بصيغة المبني للمعلوم، لإظهار تفننهم في قيادة المستضعفين بالليل والنهار، كما قال الزمخشري[2].

فهم وجدوا قطيعاً ينفذ، فلماذا لا يأمرون؟! ووجدوا ضعفاً سهل انقياده، فلماذا لا يظهرون صفة التكبر، ولماذا لا يتفننون في إلقاء الأوامر! والكبر شعارهم، "والسين والتاء للمبالغة في الكبر"[3]. فانظر ما أبلغ الآية.

كذلك لما كان المرض نفسياً – مرض الضعف ومرض الكبر– كان العذاب نفسياً، فالجزاء من جنس العمل ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾ [سبأ: 33]، المستكبرون أَسَرّوها لضلالهم وإضلالهم، والمستضعفون أَسَرّوها لضعفهم ولتبعيتهم كبراءهم، ولما كان التنفيذ عملياً كان العذاب عملياً ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ: 33]. وعندما تكون النفس مهزوزة مهزومة أمام الآخر، فإنها ما من شك تقلد هذا الآخر، وتفعل فعله، فالمغلوب يقلد الغالب إذا ما انبهر بما عنده، وهذا ما حصل من المسلمين في الأندلس، حينما هزموا فيها بعد ما كان الغرب يقلد المسلمين في لباسهم ومأكلهم، حينما كان للمسلمين الهيبة في تلك البلاد. ويتكرر الأمر هذه الأيام، حيث يهيم الكثيرون بحب الحضارة الغربية، فترى المسلمين في زماننا

---

[1] الزكي، جمال محمد. مقال على النت بعنوان: **إعجاز القرآن في تربية العقلية العلمية**. على الموقع الإلكتروني: http://www.yaqin.net/?page=articles/11/11-012

[2] انظر: الزمخشري. **الكشاف**. ج3– ص594.

[3] ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. ج13– ص216.

يتشبهون بالغرب في الشكليات والمظاهر الفارغة، وما ذلك إلا دليل على الهزيمة النفسية، وذوبان الشخصية، وفقدان الذات[1].

"إن أعمق معاني الهزيمة في حياة الإنسان تلك التي تنبع من داخله لتفيض على جميع مشاعره النفسية وكل مظاهر السلوك الحياتي لديه ... وأخطر ما في هذا النوع الرهيب من الهزيمة أن صاحبه لا يشعر به ولا يعترف، لأنه مُخَدَّر الذهن، مسلوب الإرادة، معبأ بما يحسبه الرفعة والمجد والظفر. وهو يحيا في أجواء من الغرور لا يملك معها أن يفسح لغيره حواراً، لأنه يطل على من حوله من بروج الاستعلاء التي لا تؤمن إلا بعبودية الفكر وقهر الإنسان!"[2]. وهذا ماثل تماما في حاضر مسلمي اليوم.

وقريب من هذا، الهزيمة النفسية والتي كانت سبباً في التقليد، قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ ﴾ [إبراهيم: 22]، فبمجرد دعاء الشيطان استجابوا، وهذا دليل الخواء الروحي، والضعف العقلي، والفراغ الذاتي، أن لبوا نداء الشيطان في الضلال والإغواء، بمجرد الدعوة، كما هو شأن كل متبعي الشيطان في كل زمان.

وانبهار الأمة بحضارة الغالب وتقليدها، ناجم عن ضعف الذات، وقلة ثقتها بفكرها ومبدئها. يقول ابن خلدون في مقدمته: "المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده. والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه: إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو

---

[1] انظر: الدويش. مقال على النت بعنوان: **التشبه والتقليد الأعمى يقتلان الإبداع والابتكار والرجولة.** http://www.alhejaz.net/vb/showthread.php?t=102716

[2] العظم، يوسف. **المنهزمون دراسة للفكر المتخلف والحضارة المنهارة.** ط2. دمشق – بيروت: دار القلم. 1379هـ-1977م. ص19.

لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقاداً فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به، وذلك هو الاقتداء، أو لما تراه، والله أعلم، من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس، وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب تغالط أيضاً بذلك عن الغلب، وهذا راجع للأول. ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله. وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم. وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زي الحامية وجند السلطان في الأكثر لأنهم الغالبون لهم، حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى، ولها الغلب عليها، فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير، كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة[1]، فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر لله"[2].

ويقول حبنكة تحت عنوان ضعف الإرادة: "إذا تأملنا في المجموعات الإنسانية في مختلف أدوار التاريخ، رأينا أن نسبة عظمى منهم تضعف إرادتها وتنحني أمام إرادة ذوي السلطة السياسية أو الاجتماعية أو الروحية، أو أمام صاحب شخصية قوية لها تأثير على نفوس الآخرين. وعند ذلك تتعطل ملكاتهم الفكرية والإرادية، فيكونون إمعة وتباعاً لمن استطاع أن ينفذ تأثيرهم إليهم، وحينئذٍ تتلاعب بعقائدهم ومفاهيمهم وسلوكهم أهواء وشهوات هؤلاء القادة الذين بسطوا نفوذهم أو تأثيرهم عليهم؛ إذ يستغلون فيهم صفة الانقياد التام والطاعة العمياء لهم لبث الأفكار والعقائد التي يستطيعون بها تمكين نفوذهم عليهم؛ وتسخيرهم لتحقيق ما تشتهي نفوسهم الآثمة المجرمة الظالمة من سلطان أو مال، أو مشتهيات أخرى. و بهذا السبب نلاحظ الجمهور الكبير من الأتباع الذين تعطلت إرادتهم الشخصية يعتقدون ما يمليه عليهم سادتهم وقادتهم

---

[1] هم من أمم النصارى. بلادهم كثيرة شمالي الأندلس. وهم جهلة جفاة، يتركون ثيابهم بلا غسل إلى أن تبلى، ويدخل أحدهم دار الآخر بلا استئذان، وهم كالبهائم. انظر: ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر، (ت: 749هـ). **تاريخ ابن الوردي**. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية. 1417هـ – 1996م. ج1– ص80. وذكر ابن خلدون أنهم من أمم الإفرنجة بالأندلس. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي. **مقدمة ابن خلدون**. ط5. بيروت: دار القلم. 1984. ص260.

[2] المصدر السابق. ص147.

المتَّبَعون، دون أن يعملوا أفكارهم ببحث حر، أو مناقشة منطقية سديدة، سواءٌ كان ذلك حقاً أو باطلاً، خيراً أو شراً"[1].

وحول عوامل انتشار الشيوعية في بلاد المسلمين، مقلدين فيها أهل الإلحاد، يقول الدكتور عبد المنعم: "ويصحب هذا كله عامل نفساني قوي، كثيراً ما وجهنا في حياتنا توجيهاً قوياً ... وأعني به عامل التقليد وحب المحاكاة للأقوياء، مع عدم المبالاة بتقاليدنا وآرائنا الدينية والوطنية!! وهذا العامل النفسي يسيطر على حياة الأمم الضعيفة المغلوبة على أمرها، كما يسيطر على حياة الأفراد الضعفاء سيطرة تجعلهم يفنون في شخصية الأقوياء حولهم"[2].

---

[1] الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة. **العقيدة الإسلامية وأسسها**. ط2. دمشق-بيروت. دار القلم .1399هـ- 1979م. ص699-700.

[2] النمر، عبد المنعم. **إسلام لا شيوعية**. القاهرة: دار غريب للطباعة. 1396هـ - 1976م. ص38.

المبحث الرابع

تعظيم الأنبياء والأولياء

يخرج في كل أمة أشخاص بارزون لهم بصمات في تاريخها، فمنهم من يبرز في ميدان العبادة، ومنهم من يبرز في ميدان المعارك، ومنهم من يبرز في ميدان العلم، ومنهم من يبرز في ميدان القيادة. وهذه الفئة من كل أمة يكون لها وزنها في نفوس الجماهير، يقتدون بهم، ويعملون عملهم، ويكون الناس معهم أصنافاً ثلاثة:

الصنف الأول: الغالي فيهم، المُعظِّم لهم لدرجة العبادة.

الصنف الثاني: الجافي عنهم، إما جهلاً بهم، أو حسداً لهم.

الصنف الثالث: الوسط بين الصنفين السابقين، ويتعامل مع هذه الفئة البارزة دون إفراط ولا تفريط.

وهذا المبحث سيدور حول الصنف الأول من الناس، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: تعظيم الأنبياء

المطلب الثاني: تعظيم الأولياء

المطلب الأول: تعظيم الأنبياء عليهم السلام

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ [التوبة: 30].

فعزير، مختلف فيه أنبي هو أم عالم من علماء بني إسرائيل؟[1] وأياً كان الأمر، فالذي يهم هنا أنه تم تقديسه، بزعمهم أنه ابن الله زوراً وكذباً.

يقول طنطاوي: "وقد قدسه اليهود من أجل نشره لكثير من علوم الشريعة، وأطلقوا عليه لقب (ابن الله)"[2]. فعزير تم تعظيمه عند اليهود، لما له من شأن في حفظ التوراة، في الوقت العصيب الذي ذهبت منهم هذه التوراة.

ولما كان قول أهل النباهة له مكانة في النفوس، فإن العامة تقول بقولهم. قال القرطبي: "قال النقاش لم يبق يهودي يقولها – أي العزير ابن الله– بل انقرضوا، فإذا قالها واحد فيتوجه أن تلزم الجماعة شُنْعة المقالة، لأجل نباهة القائل فيهم، وأقوال النبهاء أبداً مشهورة في الناس يحتج بها، فمن هنا صح أن تقول الجماعة قول نبيهها"[3]. فالنبيه تتبعه العامة، ويقلدونه في القول والعمل.

أما بالنسبة لعيسى عليه السلام، فقد أخبر الله تعالى عن فرية النصارى حين قالوا عنه بأنه ابن الله، وذلك لأنهم رأوا على يديه من المعجزات التي لا تصدر إلا عن إله، أو لأنه ولد لغير أب. فمن هنا، كان تعظيمهم له. وهذا القول يضاهي قول المشركين بأن الملائكة بنات الله[4].

ولقد غالت النصارى في المسيح عليه السلام، وأطروه إطراءً تجاوزوا به الحد. فقال سبحانه وتعالى ناهياً إياهم عن الغلو فيه: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ

---

[1] انظر: ابن كثير، أبا الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي. **البداية والنهاية**. ط2. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية. 1418هـ– 1997م. ج2– ص34–37. العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**. ط1. السعودية: دار العاصمة– دار الغيث. 1419هـ. كتاب بدء الخلق– باب عزير. ج14– ص269.

[2] الطنطاوي. **التفسير الوسيط**. ج6– ص257.

[3] القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**. ج8– ص85.

[4] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج14– ص206–207. الرازي. **مفاتيح الغيب**. ج16– ص29.

وَكِيلاً ﴾ [النساء: 171]. ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: 77]. الآيتان تنهيان عن الغلو والإطراء في الدين، وعن رفع عيسى عليه السلام من مقام النبوة إلى مقام الألوهية، فسلفهم ضل في هذه الفرية وأضل من بعده. والخطاب عام لجميع الأمة، وليس خاصاً بأهل الكتاب، تحذيراً من أن تفعل هذه الأمة بنبيها صلى الله عليه وسلم فعل النصارى مع عيسى، واليهود مع العزير[1].

أما تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، فلم تنج منه هذه الأمة، فوجدنا فيها من يعظمه إلى درجة فوق الدرجة التي وضعها الله تعالى له، ووضعها هو لنفسه صلى الله عليه وسلم. فقد أنزل الله تعالى قرآناً يتلى إلى يوم القيامة على أمة الإسلام، يبين فيه تحذير أهل الكتاب من الغلو في المسيح عليه السلام كما تقدم. ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن تفعل فعل النصارى، فقال: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله"[2].

ينهى النبي صلى الله عليه وسلم أمته عن أن يجعلوا له شيئاً من الربوبية والألوهية، كما فعلت النصارى في عيسى ابن مريم ومع هذا التحذير والإرشاد، إلا أنه وجد في الأمة من أعطى النبي صلى الله عليه وسلم بعض صفات الألوهية، كما تضرع إليه في قضاء الحاجات وتفريج الكربات ومغفرة الذنوب[3].

ومن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ما ورد عند بعض الصوفية ما يعرف بالحقيقة المحمدية، والتي فيها تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وإطراؤه والثناء عليه بما يرفعه إلى درجة الربوبية والألوهية.

---

[1] انظر: ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج2- ص76. القاسمي، محمد جمال الدين، (ت: 1332هـ). **محاسن التأويل**. ط2. بيروت: دار الفكر. 1398هـ- 1978م. ج4- ص322. طنطاوي. **التفسير الوسيط** .ج3- ص400. آل شيخ، عبد الرحمن بن حسن. **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**. السعودية- المكتبة التوثيقية. ص189-190.

[2] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الأنبياء - باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها. ج4- ص142.

[3] انظر: عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد. **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة. ص273. ابن الفوزان، صالح بن عبد الله. **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**. ط3. مؤسسة الرسالة. 1423هـ-2001م. ج1- ص62.

والحقيقة المحمدية تنص على أن النبي صلى الله عليه وسلم يتكون من حقيقتين إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية. ومصطلحا الناسوت واللاهوت يعبر بهما عن عقيدة أساسية في النصرانية مؤداها أن للمسيح طبيعتين: طبيعة إلهية (اللاهوت) وطبيعة إنسانية (الناسوت)، وأن الكلمة الإلهية (اللاهوت) اتحدت بجسم المسيح واختلطت بناسوته (الجزء الإنساني منه) وصار طبيعة واحدة، وأقنوماً واحداً هو الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس عندهم[1].

ومن تعظيم الصوفية للنبي صلى الله عليه وسلم أن منهم من يعتقد "أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو قبة الكون، وهو الله المستوي على العرش، وأن السماوات والأرض والعرش والكرسي وكل الكائنات خلقت من نوره، وأنه أول موجود"[2]. وقد بين الله تعالى كفر النصارى في عقيدة التثليث والتأليه لعيسى عليه السلام فقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: 72-73]. فهاتان الآيتان تظهران كفر من اعتقد هذه العقيدة، وهذا القرآن منزل على المسلمين في الدرجة الأولى لينتفعوا به فكأن الآيتين فيهما إشارة إلى تهديد من فَعَل فِعْل النصارى، وتحذير من التشبه بهم في ذلك. فذكر سبحانه بعض عقائد من سبقنا، كي نحذر منها، ولا نتبعها، فيصيبنا ما أصابهم من العذاب الأليم.

ووجدنا كذلك من مدائح الصوفية للنبي صلى الله عليه وسلم والتي تجاوزت الحد ما ذكره البوصيري[3] واصفاً النبي صلى الله عليه وسلم بصفات ليست له:

---

[1] انظر: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**. إشراف د.مانع بن حماد الجهني. ط4. الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع. 1420هـ. ج2-ص1157.

[2] المصدر السابق. ج2- ص1157.

[3] هو محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي، أحد أبويه من بوصير والآخر من دلاص. كان يعاني صناعة الكتابة والتصرف. له قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم من أشهرها البردة- التي كان يستشفي بها بعض المرضى، ظناً

فإن من جودك الدنيا وضَرَّتها ومن علومك علم اللوح والقلم

يا أكرم الرسل مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم[1]

ففي هذين البيتين نرى أنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ويعظمه، فيصفه بأنه يعلم الغيب، وأنه الملاذ الوحيد عند الملمات.

فمن أجل هذا وأمثاله كان نهي النبي صلى الله علي وسلم عن إطرائه، سداً لباب الشرك، وتجنباً للتشبه بالنصارى. "فكان المقصود الأعظم من النهي عن الإطراء، هو خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته من أن يسلكوا نفس الطريق التي سلكها النصارى مع نبيهم عيسى صلى الله عليه وسلم، حيث رفعوه وجاوزوا به منزلة العبودية إلى منزلة الربوبية، فجعلوه شريكاً لله في كل شيء، بل جعلوه هو الله نفسه"[2].

ولقد وردت نصوص كثيرة- غير حديث الإطراء السابق- يحذر فيها النبي صلى الله عليه وسلم أمته من أن تقتفي آثار من سبقها من الأمم، كي لا تقع فيما وقعت فيه من محظورات شركية، فتهلك كما هلكت.

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[3].

منهم أنها تشفي-، وله القصيدة الهمزية في المدائح النبوية. توفي سنة 695هـ. انظر: الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد، (ت: 686هـ). **فوات الوفيات**. تحقيق: علي محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2000م. ج2- ص342- 343. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. **الوافي بالوفيات**. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث. 1420هـ- 2000م. ج3- ص89-94. القسطنطيني، مصطفى بن عبد الله الرومي الحنفي. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**. بيروت: دار الكتب العلمية. 1413هـ- 1992م. ج6- ص138.

[1] البوصيري، محمد بن سعيد. **ديوان البوصيري**. تحقيق: محمد سيد كيلاني. ط2. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي. 1393هـ-1974م. ص200.

[2] بارقعان، أشرف بن عبد الحميد بن محمد. **مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين**. ط1. السعودية: دار ابن الجوزي. 1426هـ-2005م. ص306.

[3] مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب المساجد - باب النهى عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهى عن اتخاذ القبور مساجد. رقم الحديث: 1212. ج2- ص67.

ولما قدم معاذ رضي الله عنه من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما هذا يا معاذ؟ قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلا تفعلوا فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"[1]. فمعاذ رضي الله عنه أراد تقليد نصارى الشام في تقديس وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، فنهاه عن فعل ذلك.

والرسول صلى الله عليه وسلم، بشر يأكل ويشرب، وينام وينسى، ويمرض ويموت، يقول تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: 144]. وكانت قريش تطلب منه الخوارق فكان الرد عليهم: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ [الإسراء: 93][2].

المطلب الثاني: تعظيم الأولياء

بشَّر الله تعالى أولياءه الصالحين بألا يخافوا ولا يحزنوا فقال: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: 62-63]. "أولياء الله هم المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة"[3]. وهم الذين يجتنبون الذنوب في الخلوات، ويعلمون أن الله تعالى مطلع عليهم[4]. فهم الأقرب إلى الله تعالى، والأكثر طاعة له، وخشية منه.

---

[1] ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، (ت: 273هـ). **سنن ابن ماجة**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار الفكر. كتاب النكاح – باب حق الزوج على المرأة. رقم الحديث: 1853. ج1- ص595. قال الألباني: حسن صحيح.الألباني، محمد ناصر الدين. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي. 1405هـ-1985م. ج7- 56.

[2] انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت: 911هـ). **لباب النقول في أسباب النزول**. ط2. الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز. 1425هـ- 2004م. ص167-168.

[3] ابن عطية. **المحرر الوجيز**. ج3- ص144.

[4] انظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي، (ت: 375هـ). **بحر العلوم**. تحقيق: محمود مطرجي. بيروت: دار الفكر. ج2- ص123.

لقد وجد عبر التاريخ أولياء صالحون يتبعون الأنبياء والرسل عليهم السلام، وكان لهم من الطاعة والعبادة ما ميزهم عن غيرهم، فأخذت الدهماء تنظر إليهم نظرة تقدير وإجلال وإكبار، فمنهم من ظن فيهم أنه يمكنهم أن يكونوا شفعاء عند الله تعالى، ومنهم من أوصلهم إلى مرتبة الألوهية، فتوجهوا إليهم من أجل قضاء الحاجات، وتلبية الرغبات. والناظر إلى آيات القرآن الكريم يجد ما يدل على ذلك.

فقوم نوح، قال الله في حقهم: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: 23] وهؤلاء رجال صالحون كان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا جعل أتباعهم لهم صوراً ليتذكروهم، فينشطوا في العبادة والطاعة كلما رأوها. واستمر الحال حتى نسخ العلم وانتشر الجهل، وزين لهم الشيطان، أن هؤلاء الرجال الصالحين كان يُستمطر ويُستنصر بهم، فازداد تعظيمهم في النفوس، حتى وصلوا إلى عبادتهم.

وها هم قوم إبراهيم عليه السلام يعكفون على أصنامهم تقليداً لآبائهم، فقد دار الحوار بين إبراهيم عليه السلام وبين قومه كما أخبرنا الله سبحانه عنهم في سورة [الشعراء :**70-74**]: فإبراهيم عليه السلام يسأل قومه عن معبوداتهم: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾، فيجيبون بأنها أصنام يظلون عاكفين عليها: ﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾. فأخبرهم بصيغة السؤال الاستنكاري أنها لا تضر ولا تنفع: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾. فكان ردهم الذي يكشف خبايا نفوسهم: ﴿ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾. وكلمة (بل) تظهر إضرابهم عن كلام إبراهيم عليه السلام، وعدم سماعهم له، لأن قضية تقليد الآباء أهم وأعظم عندهم. وهذا ينم عن تصميم، وقوة إرادة في نفوسهم لمسألة التقليد. فقوله (كذلك يفعلون) فيه دلالة واضحة على تقليدهم آباءهم في الفعل، فالكاف للتشبيه. فهم يفعلون كما فعل آباؤهم، ومن تعظيمهم لهذه الأصنام أنهم ظلوا لها عاكفين. وعاكفين من "عكف على الشيء يَعْكُفُ ويَعْكِفُ عَكْفاً عكوفاً: أقبل عليه مواظباً لا

يصرف عنه وجهه ... وَعكف يَعْكُفُ يَعْكِف عَكْفاً وعُكوفاً: لزم المكان"[1]. فالعكوف من ملازمة الشيء وهذا تعظيم من الملازِم للملازَم. فهم عاكفون على عبادة الأصنام، منكبون على تعظيم من لا يستحق التعظيم، وظلوا لها ملازمين، إظهاراً لما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار بعبادة الأصنام[2].

ولقد سألهم إبراهيم عليه السلام في موطن آخر عن هذه التماثيل التي هم لها ملازمون ﴿مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عاكفون ﴾ [الأنبياء: **52**]، فما كان جوابهم سوى أن فعلهم هذا تقليد لآبائهم: ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: **53**].

يقول الشوكاني: "أجابوه بهذا الجواب الذي هو العصا التي يتوكأ عليها كل عاجز، والحبل الذي يتشبث به كل غريق، وهو التمسك بمجرد تقليد الآباء: أي وجدنا آباءنا يعبدونها فعبدناها اقتداء بهم ومشياً على طريقتهم"[3].

وكما عكف قوم إبراهيم عليه السلام على أصنام وتماثيل تقليداً لأسلافهم واقتفاءً لآثارهم، فقد وجدنا هذا العكوف عند قوم موسى عليه السلام، لكن مع معبود آخر هو العجل، صنعه لهم السامري. وتكررت حتى اللفظة (العكوف). ولقد بين لهم هارون عليه السلام أنه فتنة، وأن ربهم الرحمن وليس السامري، فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴾ [طه:90]، فكان الرد: ﴿ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه:91].

ولما وعظهم هارون، وأرشدهم إلى الخير، وأخبرهم أن ربهم الرحمن، الذي من صفاته الرحمة التي يرحم بها عباده؛ فيقبل توبتهم، ردوا عليه قائلين: لن نبرح على عبادة العجل مقيمين

---

[1] ابن منظور. **لسان العرب**. ج**9** – ص**255**.

[2] انظر: الفخر الرازي. **مفاتيح الغيب**. ج**24** – ص**123**. وطنطاوي. **التفسير الوسيط**. ج9- ص222.

[3] الشوكاني. **فتح القدير**. ج2- ص145.

ملازمين له. وهذه عادة المقلد[1]. والانحناء والملازمة فيها تعظيم للعجل المعبود، وهو لا يستحق ذلك.

وجاء رد عبدة العجل في الرد على هارون عليه السلام فظاً غليظاً، فقالوا: (لن نبرح) وهذا نفي فيه الشدة والتأبيد، وفيه دلالة على أنهم أُشربوا حب العجل، كما قال سبحانه:

﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة: 93]. وصورة الإشراب هذه، يصورها لنا سيد قطب رحمه الله، فيقول: "لقد أشربوا. أشربوا بفعل فاعل سواهم. أشربوا ماذا؟ أشربوا العجل! وأين أشربوه؟ أشربوه في قلوبهم! ويظل الخيال يتمثل تلك المحاولة العنيفة الغليظة، وتلك الصورة الساخرة الهازئة: صورة العجل يُدخل في القلوب إدخالاً، ويحشر فيها حشراً، حتى ليكاد ينسى المعنى الذهني الذي جاءت هذه الصورة المجسمة لتؤديه، وهو حبهم الشديد لعبادة العجل، حتى لكأنهم أشربوه إشراباً في القلوب!"[2]. وكلمة (في) الدالة على الظرفية، تبين مدى الحب لعبادة العجل، وتعمقه في قلوبهم.

وظاهرة تقديس الصالحين موجودة حتى يومنا هذا، والأغرب من ذلك أن هذا التقديس لم يقتصر على الأحياء، بل انسحب إلى الأموات، فهناك من يقدس قبور الصالحين، بغض النظر عن صحة نسبة القبور إلى أصحابها.

يقول ابن تيمية: "وهؤلاء الذين يحجون إلى القبور يقصدون ما يقصده المشركون الذين يقصدون بعبادة المخلوق، ما يقصده العابدون لله منهم من قصده قضاء حاجته وإجابة سؤاله، يقول هؤلاء أقرب إلى الله مني فأنا أتوسل بهم فهم يتوسطون لي في قضاء حاجتي ... ومنهم من يجعل لصاحب القبر نصيباً من ماله أو بعض ماله، أو يجعل ولده له كما كان المشركون يفعلون بآلهتهم، ومنهم من يُسَيِّب لهم السوائب، فلا يذبح ولا يركب، وما يسيب لهم من بقر وغيرها كما كان المشركون يسيبون لطواغيتهم"[3].

---

[1] انظر: أبا حيان. **البحر المحيط**. ج**6**- ص**253**. والرازي. **مفاتيح الغيب**. ج**22**- ص**92**.

[2] قطب. **في ظلال القرآن**. ج1- ص91.

[3] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس. **الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية**. تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني. القاهرة: الطبعة السلفية. ص59.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 165]. فمن الناس من يتخذ أنداداً من دون الله، يزورون قبورهم لقضاء حاجاتهم وشفاء مرضاهم. وهذه التقاليد سرت إلينا من الأمم الأخرى، الذين كانوا يعملون هذه الاحتفالات، فأخذوها عنهم مقلدين لهم[1].

أما اتخاذ القبور مساجد، تعظيماً لأصحابها، فقد كان فعل أهل الكتاب الذي حذرنا منه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا"[2].

يقول ابن تيمية: "فهذا التحذير منه صلى الله عليه وسلم واللعن، عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المسجد على قبر الرجل الصالح، صريح في النهي عن المشابهة في هذا، ودليل على الحذر عن جنس أعمالهم، حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم أن تكون من هذا الجنس"[3].

وفي هذا الحديث دليل على أن من يتخذ القبور مساجد فإنه يتشبه باليهود والنصارى في الفعل الذي لعنوا من أجله، ألا وهو بناء المساجد على القبور[4].

---

[1] انظر: رضا، محمد رشيد بن علي. **تفسير القرآن الحكيم**. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1990م. ج2- ص62.

[2] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الصلاة – باب حدثنا أبو اليمان. ج1-ص112.

[3] ابن تيمية. **اقتضاء الصراط المستقيم**. ص109 .

[4] انظر: بارقعان: **مظاهر التشبه بالكفار**. ص242. والأفغاني، أبا عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر، (ت: 1420هـ). **جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية**. ط1. دار الصميعي. 1416 هـ - 1996م. ج1- ص469-471.

الفصل الثاني

مجالات التقليد

المبحث الأول: التقليد في العقيدة

المبحث الثاني: التقليد في الأحكام الشرعية

المبحث الثالث: التقليد في الأخلاق

المبحث الأول

التقليد في العقيدة

العقيدة قضايا ثابتة، يجب الإيمان بها، ولا مجال للتلاعب فيها. إلا أن الأقوام حينما جاءتهم رسلهم بالبينات، مبشرين ومنذرين، جابهوا أنبياءهم بالكفر والنكران، وحجتهم في ذلك: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: 22].

وهذا التقليد من أمة لمن يسبقها من الأمم، وجد على مر التاريخ. وسيلج الباحث هذا الجانب من التقليد العقائدي في مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: التقليد في موقف الأمم من الرسل والدعاة

المطلب الثاني: التقليد في إنكار البعث

المطلب الثالث: التقليد في الاحتجاج بالقدر

المطلب الأول: التقليد في موقف الأمم من الرسل والدعاة

أرسل الله تعالى الرسل تترا إلى الناس مبشرين ومنذرين، فمنهم من آمن، ومنهم من صد عن سبيله. والذين صدوا عن سبيله هم الأكثرية، وكانت لهم مواقف تجاه الرسل عليهم السلام متكررة على مر الأجيال، ومن هذه المواقف: شبهة بشرية الرسل، وموقف التكذيب والاستهزاء بهم وبالدعاة. وسيتحدث الباحث عن هذين الموقفين.

الموقف الأول: شبهة بشرية الرسل

تكررت هذه الشبهة على لسان الأقوام المكذبة للرسل عليهم السلام، ظناً منهم أن الرسالة لا تنبغي إلا لملك مقرب، والبشر أدنى من هذا المستوى، ولئن كانت هذه لبشر، فتنبغي أن تكون لرجل عظيم في المال والجاه.

وجاءت هذه الشبهة على لسان الأقوام في أكثر من آية، يقول الله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝١٠ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ [إبراهيم: 10-11]، ويقول سبحانه أيضاً: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا ﴾ [التغابن: 6].

فالآيتان السابقتان ذكرتا اتهام الأقوام للرسل عليهم السلام بأنهم بشر، وهذا الكلام لمجموع الرسل، وفيه بيان أن الأقوام توارثت هذه الشبهة، وتفوه بها القوم اللاحقون تقليداً للقوم السابقين.

ولقد توالت حكاية هذه الشبهة على لسان الملأ من الأقوام الذين أرسل الله إليهم الرسل عليهم السلام. فقوم نوح عليه السلام ردوا على نوح حين دعاهم: ﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [هود:26]، قالوا: إنك بشرٌ مثلنا، فقال سبحانه: ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا ﴾ [هود:27]، وأن الله لو أراد لأنزل ملائكة، فقال عنهم كذلك: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: 24]. والأمر نفسه يتبعه قوم عاد وثمود، فقال سبحانه مقولتهم: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ۝١٣ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [فصلت: 13-14]. وتتوالى الأمم في إنكارها لبشرية الرسل عليهم السلام، حتى يصل الأمر لقوم فرعون فيخبر الله تعالى عنهم استنكارهم لبشرية موسى وهارون ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ [المؤمنون: 47]. وكذلك شعيب يتابعون غيرهم في هذه الشبهة فيقول الله عنهم: ﴿ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ

لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [الشعراء: 176-186]. وكذلك يقولها أهل أنطاكية[1] لرسلهم الثلاثة الذين أرسلهم إليهم عيسى عليه السلام[2]: ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [يس: 15].

وتستمر البشرية على هذه الشبهة التي تواصوا بها، حتى يأتي أهل مكة فيكررونها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: 2]. وهذا العجب الذي حصل من أهل مكة لبشرية الرسول صلى الله عليه وسلم، سبقهم إليه قوم نوح إذ قال الله تعالى عن ذلك: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ [الأعراف: 63]. وجاء هذا العجب من قوم عاد كذلك وبنفس نص الآية السابقة[3].

يقول أبو بكر الجزائري: "إنكار رسالة البشر عام في كل الأمم"[4]. وعند قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: 91]. يقول سيد قطب: "وهذا القول الذي كان يقوله مشركو مكة في جاهليتهم، يقوله أمثالهم في كل زمان، ومنهم الذين يقولونه الآن؛ ممن يزعمون أن الأديان من صنع البشر؛ وأنها تطورت وترقت بتطور البشر وترقيهم ... وهذا القول يقوله- قديماً أو حديثاً- من لا يقدر الله حق قدره، ومن لا يعرف كرم الله وفضله، ورحمته وعدله. إنهم يقولون: إن الله لا يرسل من البشر رسولاً ولو شاء لأنزل ملائكة!"[5].

---

[1] من أعيان البلاد الشامية، موصوفة بالحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير. لها سور يعلوه ثلاثمئة وستون برجاً، وله خمسة أبواب. وفيها من الحمامات ما لا يوجد مثله في غيرها. فتحها المسلمون بقيادة أبي عبيدة عام 15هـ. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله أبا عبد الله. **معجم البلدان**. بيروت: دار الفكر. ج1- ص266-269.

[2] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج20- ص500.

[3] الأعراف:69.

[4] الجزائري. **أيسر التفاسير**. ج2- ص40. وانظر: قطب. **في ظلال القرآن**. ج5- ص3117.

[5] قطب. **في ظلال القرآن**. ج2- ص1145.

الموقف الثاني: التكذيب والاستهزاء والطرد

المجتمعات البشرية تكون على نمط معين من الحياة، فيها كبراء يقودون رعية هي لهم تبع، فإذا كانت هذه المجتمعات ظالمة منحرفة عن عقيدة التوحيد، أرسل الله إليها الرسل مبشرين ومنذرين، وتكون هذه الرسالة تحريراً لهم من التبعية العمياء للكبراء، وتحريراً للضعفاء من ظلم الكبراء، وتعبيداً للجميع لله وحده. وهذه الرسالة الجديدة تجد الاستجابة من الضعفاء، وتجد الصد والعنت من الكبراء، وحجتهم أن الرسل وأتباعهم ليسوا من علية القوم وملئهم، بل هم من الضعفاء. وعندها يستشعر الكبراء الخطر في سحب البساط من تحت أرجلهم، وذهاب طاعة المستضعفين لهم، فيبدأ هؤلاء الكبراء بإثارة الشبهات حول الرسالة الجديدة لهدمها، فيكذبونها ويستهزئون بها، وعندما لا تفلح حجتهم أمام حجة دين الله تعالى يلجأون إلى القوة والبطش وطرد الرسل والدعاة. وهذا الأمر ديدن الكافرين قديماً وحديثاً، كما أخبرنا القرآن العظيم، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [الحجر: 10-11]. يقول ابن عاشور: "(وكانوا به يستهزئون) يدل على تكرر ذلك منهم، وأنه سنتهم، ف(كان) دلت على أنه سجية لهم، والمضارع دل على تكرره منهم"[1]. ويقول سبحانه: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [يس: 30]. يقول الشنقيطي: "وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة (ما يأتيهم من رسول)، نص صريح في تكذيب الأمم لجميع الرسل"[2].

وبين الله تعالى كذلك أن الاتهام للرسل عليهم السلام بالسحر أو الجنون ديدن الأقوام الكافرة، فقال سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات: 52-53]. فكما كذبت قريش نبيها محمداً صلى الله عليه وسلم، وقالت: هو شاعر، أو ساحر أو مجنون، كذلك فعلت الأقوام

---

[1] ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. ج14- ص23.

[2] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، (ت: 1393هـ). **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. بيروت – لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع. 1415 هـ- 1995 م. ج6- ص295.

السابقة، كقوم نوح وعاد وثمود، وفرعون وقومه، ما أتى هذه الأقوام من رسول إلا قالوا: ساحر أو مجنون، كما قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم. فهل أوصى هؤلاء الأوائل والآباء الماضون أهل قريش المكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم على ما جاءهم به من الحق، بأن يكذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم، فقبلوا ذلك عنهم[1].

والعموم الذي في الآية، يظهر أنه لم يخل قوم من الأقوام الذين ذكروا في سورة الذاريات وهم قوم فرعون وعاد وثمود وقوم نوح إلا قالوا لرسولهم أحد القولين: ساحر أو مجنون، ومثل ذلك ستجيب قريش محمداً صلى الله عليه وسلم[2].

وقوم نوح عليه السلام يتهمونه بالجنون: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ [المؤمنون: 25]، والتهمة نفسها تم توجيهها إلى سيدنا موسى عليه السلام من فرعون، حيث قال الله تعالى مقولته: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: 27]. وكذلك فعل كفار مكة مع محمد صلى الله عليه وسلم، فوصفوه بالجنون في أكثر من موطن، فقال سبحانه عنهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾ [سبأ: 8-9]. يقول الجزائري: "الاستهزاء بالرسل والدعاة سنة بشرية لا تكاد تتخلف"[3].

يقول الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النحل: 33]. فالرسول صلى الله عليه وسلم آذاه قومه حينما أنكروا رسالته، وقالوا: إن القرآن أساطير الأولين، وطعنوا في نبوته[4]. يقول سيد طنطاوي عن هذا الأذى: "أي: مثل هذا الفعل الشنيع الذي صدر عن الكافرين

---

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج22- ص441.

[2] انظر: ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. ج27- ص21.

[3] الجزائري. **أيسر التفاسير**. ج2- ص40.

[4] انظر: سورة النحل: 24- 26.

من قومك– يا محمد– فعل الذين من قبلهم من أقوام الرسل السابقين، كقوم نوح وقوم هود، وقوم صالح، فإنهم قد آذوا رسلهم، كما آذاك قومك"[1].

ومن الطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم، أن نسبوا القرآن إليه، والطاعنون في القرآن حائرون في نسب القرآن، لا يدرون أينسبونه إلى تعليم بشر، أم إلى نفس صاحبه صلى الله عليه وسلم، أم يجمعون بين النسبتين كما قال سبحانه﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ [الدخان: 14]. وهذا الرأي يروجه الملحدون اليوم باسم الوحي النفسي، وهو الرأي الجاهلي القديم. فقد صوروا النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً ذا خيال واسع وإحساس عميق فهو إذاً شاعر. ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطغى على حواسه حتى يخيل إليه أن شخصاً يكلمه وليس الأمر كذلك، بل هو صورة أخيلته فهو إذاً الجنون. ولما بدا لهم في القرآن جانب الأخبار الماضية والمستقبلة تركوا كلمة الوحي النفسي وقالوا الذي علمه بشر. فكان الإلحاد في ثوبه الجديد صورة ممسوخة منه في أقدم أثوابه، وكان غذاء هذه الأفكار المتحضرة في العصر الحديث مستمداً من فتات موائد عصور الجاهلية الأولى. فهم يضاهئون قول جهال قريش[2].

وكما كانت الأقوام تتوالى في الاستهزاء بالرسل عليهم السلام، كان الحال كذلك بأتباع الرسل المؤمنين. فقوم نوح عليه السلام اتهموا من آمن به بأنهم ليسوا من أهل العقل، وليس لهم رأي سديد، فقال سبحانه: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود:27]. يقول أبو السعود: "يعنون أنه لا عبرة باتباعهم لك إذ ليس لهم رزانة عقل، ولا أصالة رأي، وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي أي ظاهره من غير تعمق"[3].

---

[1] طنطاوي. **التفسير الوسيط**. ج8– ص142.

[2] انظر: دراز، محمد عبد الله. **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن**. ط2. دار القلم. 1390هـ– 1970م. ص67.

[3] أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (ت: 982هـ). **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج4– ص200.

وشابه ملأ قريش ملأ قوم نوح في ازدراء المؤمنين أتباع الرسل. فكان أغنياء مكة وكبراؤها، إذا مروا على مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، ورأوا ضعفاء المسلمين كعمار وخباب وصهيب رضي الله عنهم، استهزؤوا بهم وقالوا: أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا بالهدى ، لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه وما خصهم الله به دوننا [1].

ومن مسلمي اليوم من يمزح بكلام فيه استهزاء بالله تعالى أو بالرسول صلى الله عليه وسلم أو بالدين على سبيل إضحاك الناس، أو يستهزئون بالملتزمين بشرع الله تعالى. وهؤلاء يشبهون المنافقين الذين قالوا في غزوة تبوك عن الصحابة: (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألساناً، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأنزل الله فيهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ ﴾ [التوبة: 65-66][2].

ولما لم يُجْد التكذيب والاستهزاء نفعاً أمام المستمسكين بدينهم، الثابتين عليه، رفع أهل الكفر سقف المحاربة إلى التهديد والوعيد لرسل الله وأتباعهم بالإخراج من أوطانهم. فقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ ﴾ [إبراهيم: 13]، فهذه الآية جاءت بعد الحديث عن أقوام موسى ونوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله[3]. والآية تكلمت بلسان الجمع ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ، وهذا يعني أن النفي والطرد من فعل الكافرين الذين تتابعوا عليه، ففعل اللاحقون فعل السابقين. وهذا النفي والإخراج كان تهديداً من قوم شعيب لشعيب عليه السلام ومن آمن معه: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن

[1] انظر: ابن هشام. **السيرة النبوية**. ج2- ص237.

[2] انظر: الواحدي. **أسباب النزول**. ص169.

[3] انظر: سورة إبراهيم: 9.

قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ ﴾ [الأعراف: 88]، وكذلك من قوم لوط للوط عليه السلام ومن آمن معه: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ ﴾ [النمل: 56]. إلى أن جاء زمن النبي صلى الله عليه وسلم فكانت المؤامرة التي حكى الله تعالى عنها: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء: 76].

يقول الشيخ خالد العك في معرض حديثه عن شعيب عليه السلام وقومه: "ولكن رؤساء الكفر والضلال- وهكذا في كل زمان ومكان- استكبروا عليه وعلى من آمن بدعوته، فهددوهم بإخراجهم جميعاً من قريتهم إن لم يعودوا معهم في ملة الكفر"[1].

وعندما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غار حراء خائفاً وجلاً، وأخبر خديجة بما رأى، فطمأنته وذهبت به إلى ورقة بن نوفل، فقال له ورقة: "هذا الناموس الذي نزل الله على موسى صلى الله عليه وسلم. يا ليتني فيها جذعاً[2]، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم. قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي"[3].

لقد ابتلى الله تعالى عباده والدعاة إلى دينه بثلاثة أصناف من الناس، الأول: من عرف الحق فعاداه حسداً وبغياً كاليهود. والثاني: الرؤساء المفتونون بدنياهم وشهواتهم، لعلمهم أن الحق يمنعهم من الكثير من شهوات الغي. والثالث: الذين نشؤوا في الباطل ووجدوا أسلافهم عليه. وهذه الأصناف الثلاثة وأتباعهم أعداء الحق من لدن زمن نوح إلى قيام الساعة[4].

---

[1] العك، خالد عبد الرحمن. **معالم النبوة في الكتاب والسنة**. ط1. بيروت – لبنان: دار النفائس. 1415هـ- 1995م. ص101.

[2] الجذع: الصغير من البهائم. كأنه تمنى أن يكون شاباً عند ظهور الدعوة إلى الإسلام؛ ليكون أمكن لنصره. انظر: العسقلاني. **فتح الباري**. ج1- ص26.

[3] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب بدء الوحي – باب حدثنا يحيى بن بكير. ج1- ص3-4.

[4] انظر: التميمي، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان. **مسائل وفتاوى نجدية**. المملكة العربية السعودية- الرياض: دار العاصمة. ص434.

وتستمر المؤامرة ضد أتباع الرسل عليهم السلام كذلك، وضد الدعاة الصادقين المنادين بتطبيق شرع الله تعالى، والواقفين في وجه الظلم والاحتلال. فترى السجون في طول البلاد الإسلامية وعرضها للدعاة المخلصين الذين نادوا بتطبيق دستور الإسلام، حتى إنه من شدة البطش والتنكيل كانت الهجرة القسرية إلى بلاد الكفر، هروباً من بطش الظلمة في ديار المسلمين، إذ إنهم وجدوا بلاد الكفر أكثر أمناً من بلادهم.

المطلب الثاني: التقليد في إنكار البعث

اليوم الآخر يوم أخبرت به الرسل جميعاً، وهو يدرك عقلاً، إن أحسن العقل التفكير. إلا أن من الناس من عطل عقله وأسلمه لغيره انقياداً له وتبعية؛ وبات يتذرع بأن ما جاءت به الرسل، إن هو إلا أساطير الأولين. فقال الله تعالى عنهم: ﴿ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: 81-83]. يقول أبو حيان: "(بل قالوا) والضمير لأهل مكة ومن جرى مجراهم في إنكار البعث، مثل ما قال آباؤهم عاد وثمود ومن يرجعون إليهم من الكفار"[1]. والباعث على إنكارهم يوم القيامة تقليدهم للآباء، فهم قالوا مثل ما قال أسلافهم، ومن دان بدينهم، وكذبوا مثل ما كذب الأولون[2].

ومتكأ القوم في تكذيبهم بالبعث، أنه وعد متكرر لآبائهم الأقدمين. ووجه ذكرهم الآباء-كما يقول ابن عاشور-: "دفع ما عسى أن يقول لهم قائل: إنكم تبعثون قبل أن تصيروا تراباً وعظاماً، فأعَدوا الجواب بأن الوعد بالبعث لم يكن مقتصراً عليهم فيقعوا في شك باحتمال وقوعه بهم بعد موتهم وقبل فناء أجسامهم، بل ذلك وعد قديم وُعد به آباؤهم الأولون، وقد مضت أزمان وشوهدت رفاتهم في أجداثهم وما بعث أحد منهم"[3]. والملاحظ أن (سورة المؤمنون) ذكرت قوم

---

[1] أبو حيان. **البحر المحيط**. ج6- ص385.

[2] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج19- ص62. والبيضاوي. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. ج4-ص164. وابن عادل، أبا حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، (ت: 880هـ). **اللباب في علوم الكتاب**. ط1. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية. 1419 هـ - 1998. ج14- ص247.

[3] ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. ج18- ص108.

نوح، ثم قوم ثمود، ثم قروناً آخرين، ثم قوم موسى، ثم ذكرت حكاية أهل مكة في إنكار البعث: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: 81-83].

ويخبر الله تعالى عن الحوار الذي يجري بين خزنة جهنم وأهلها: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: 71]. وفيه اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا[1]. ففي هذا بيان أن الرسل عليهم السلام أتت أقوامها فأنذرتهم غير أن أقوامهم كذبوهم، وفي هذا إشارة إلى تتابع الأقوام وحكايتها لمن سلف في إنكار البعث.

ذكر الله تعالى أن قوم عاد ردوا على هود عليه السلام دعوته في الإيمان بالبعث، منكرين التعذيب لهم بعد الموت، عذرهم كما وصفهم الله تعالى بأن هذا خلق الأولين، فقال سبحانه: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: 123] إلى أن يقول عنهم: ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: 136-138]. يقول الألوسي: "ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا عادة الأولين الذين تقدمونا من آباء وغيرهم ونحن بهم مقتدون"[2]. فأهل عاد يقتدون بمن سبقهم في اتباع دينهم بإنكار البعث والحساب. وأشار القرآن الكريم إلى إنكار قوم موسى عليه السلام للآخرة، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ

[1] انظر: أبا العز الحنفي، محمد بن علاء الدين علي بن محمد. **شرح العقيدة الطحاوية**. تحقيق جماعة من العلماء. ط8. بيروت-دمشق: المكتب الإسلامي. 1404هـ- 198 م. ص405.

[2] الآلوسي. **روح المعاني**. ج19- ص112. وانظر: ابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب**. ج15-ص62-63.

﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴾ [طه: 15-16]. ينهى الله تعالى موسى عليه السلام أن يسلك سبيل من كذب بالساعة.

ويستبعد الإنسان الكافر بعثه بعد موته، فيعبر عن ذلك بسؤال استنكاري، كما أخبر الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴾ [مريم: 66].

وتحدث الله عن قومٍ نسبوا فناءهم إلى الزمان والدهر، منكرين البعث بحجة أنهم لم يروا أحداً من آبائهم بعث بعد موته، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الجاثية: 24-25]. ومن الذين أنكروا البعث جمهور الفلاسفة الدهرية[1] والطبائعية[2]، الذين زعموا أن الأكوان تتصرف بطبيعتها وتعدم بأنفسها، ليس لها رب يتصرف فيها، إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع[3].

يقول ابن كثير: "يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) أي: ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد، وتقوله الفلاسفة الإلهيون[4] منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية

---

[1] وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا: أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه، وبلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان، وكذلك يكون أبداً". الغزالي، أبو حامد بن محمد ابن محمد بن محمد. **المنقذ من الضلال**. تحقيق: محمد محمد جابر. بيروت – لبنان: المكتبة الثقافية. ج1- ص18.

[2] "وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوان والنبات، وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات". الغزالي. المصدر السابق. ص19.

[3] انظر: حكمي، حافظ بن أحمد. **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد**. الإسكندرية: مكتبة حميدو. ج2- ص129.

[4] هم المتأخرون من الفلاسفة الدهرية والطبائعية. الغزالي: **المنقذ من الضلال**. ص20.

المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكررمرات لا تتناهى"[1].

وتكرر الإنكار للبعث من أهل مكة، إذ قال الله عنهم قولتهم التي كانت حكاية لمن سبقهم من الأمم، فقال سبحانه: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ [الأنعام: 29]. القائلون لهذه الآية حصروا حياتهم، في هذه الحياة الدنيا (إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) وفي هذا نفي للبعث، ثم بعد ذلك صرحوا بالنفي المحض الدال على عدم البعث بالمنطوق (وما نحن بمبعوثين)، وأكدوا ذلك بالباء الداخلة بالخبر على سبيل المبالغة في الإنكار. وهذا يدل على أن هذه الآية في مشركي العرب ومن وافقهم في إنكار البعث[2].

والاستبعاد والاستعظام والتعجب من شُبه منكري البعث، وهذه تتكرر في كل عصر ولا تتعداها. فاستبعد طوائف من الناس هذه الحقيقة- بزعمهم-، لأنها تخالف ما عهدوه من السنن المألوفة. وعقولهم لاتكاد تصدق، فهم يستعظمون على الله تعالى تحويل العظام والرفات إلى خلق جديد. ويستبعدونه لأنهم لا يعلمون متى هو. وهذه الشبهة قديمة، ولا تزال تتردد في صدور الكثيرين[3].

فهم يستبعدون وقوعه، إذ يقول الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴾ [مريم: 66]، وهم يستعظمونه، إذ يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴾ [الإسراء:49]، وهم يتعجبون منه، إذ يقول الله تعالى:﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ﴾ [الرعد: 5].

---

[1] ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج4- ص128.

[2] انظر: أبا حيان الأندلسي. **البحر المحيط**. ج4- ص109.

[3] انظر: سابق، سيد. **العقائد الإسلامية**. بيروت - لبنان: دار الفكر. 1412هـ-1992م.ص271. ياسين، محمد نعيم. **الإيمان أركانه حقيقته نواقضه**. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية. 1402هـ-1982م. ص69.

ولك أن تتصور شدة العناد في إنكار البعث من أهل الكفر، حينما تعلم أن القرآن الكريم أورد آيات كثيرة إثباتاً لهذه العقيدة الثابتة، أمام صلف الكفار، بل إن سوراً كسورة مريم وسبأ يكاد يكون موضوعها الأساس إثبات البعث[1].

وفي العصر الحديث أطل علينا مكر شيوعي إلحادي لا يؤمن إلا بالمادة. فكل ما هو محسوس ومشاهد فهو الموجود، أما غير ذلك من غيب غير مشاهد فلا إيمان به ألبتة. وبناء على ذلك فليس للكون نهاية ولا حدود، ولا يوجد يوم آخر. وهؤلاء القوم امتداد للماديين أعداء الرسل الذين تطاولوا بالمادة وأنكروا البعث والذين قال الله تعالى فيهم:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ: 34-35].

كان من شأن العرب أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هرم أو غير ذلك فيقولون إنما يهلكنا الدهر وهو الليل والنهار[2]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله: يسب بنو آدم الدهر، وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار"[3].

والمشركون في هذا نوعان: أحدهما يعتقد أن الدهر هو الفاعل فيسبه لذلك فهؤلاء الدهرية. الثاني: من يعتقد أن المدبر هو الله وحده ولكن يسب الدهر لما يجري عليه فيه من المصائب. والحديث صريح في النهي عن السب مطلقاً سواءٌ اعتقد الذي سب أم لم يعتقد، كما يفعله كثير ممن يعتقد الإسلام[4].

وسب الدهر اليوم يجري على لسان كثير من المسلمين، يلعنون الساعة أو اليوم أو العام الذي رأوا فيه فلاناً، إذ -حسب ظنهم- جلب لهم المصائب.

---

[1] انظر: قطب. **في ظلال القرآن**. ج4- ص2299.

[2] انظر: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، (ت: 458هـ). **السنن الكبرى**. تحقيق : محمد عبد القادر عطا. مكة المكرمة: مكتبة دار الباز. 1414هـ - 1994م. ج3-ص 365.

[3] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الأدب- باب لا تسبوا الدهر. ج7- ص115.

[4] انظر: عبد الوهاب. **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**. ص544 - 545.

ومن الآيات التي ذكرت هذه الشبهة، قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ: 34-35]. فذكرت أنه ما من قرية أرسل الله إليها رسولاً، إلا كان من ضمن ما أنكروه البعث (وما نحن بمعذبين).

والذي يتولى كبر إنكار البعث هم المترفون، وهذا أيضاً يتابع فيه المترفون اللاحقون إخوانهم المترفين السابقين ويحاكونهم في ذلك. فالله تعالى يقول عن قوم عاد أو قوم ثمود[1]: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: 33-37]. وذكر سبحانه كذلك عن المترفين عموماً المنكرين للبعث، فقال: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾ [الواقعة: 41-48].

ومن غرور المترفين المنكرين للبعث، ظنهم أن الله أعطاهم في الدنيا مالاً وأولاداً، اعتقاداً منهم أن ذلك كرامة لهم من الله، فلئن رجعوا إلى يوم القيامة – على تقدير حصوله عندهم حسب اعتقادهم الفاسد – فسوف يكون لهم الحسنى، فهم يعتقدون – وهماً– أن الله سيؤتيهم يوم القيامة

[1] انظر: ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج3– ص218.

خيراً مما آتاهم في الدنيا –إن وجد حسب ظنهم–. وآيتا سورة سبأ السابقتان[1] تظهران أن هذا الأمر مكرور من الخلف تبعاً للسلف.

وتكرر الغرور هذا في سورتي الكهف ومريم المتتاليتين في المصحف ترتيباً، فقال سبحانه عن رجل من بني إسرائيل[2]: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف: 36]، وتحدثت سورة مريم عن العاص بن وائل[3]: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴾ [مريم: 77]. فكلاهما أنكر اليوم الآخر، وزعم أنه لو جاء يوم القيامة ليكونن لكل منهما خير مما أوتي في الدنيا. وانظر للتوكيدات في الآيتين: (لأجدن) و(لأوتين)، وهذا يدل على شدة الغرور والجهل.

المطلب الثالث: التقليد في الاحتجاج بالقدر

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وهذا الركن من الأركان التي يساء فهمها، ويُحمّل من التفسيرات ما لا يحتمل. وإساءة الفهم هذه قديمة جديدة، عايشها القدماء، وسايرها المحدثون. ولقد بيّن الله عز وجل في كتابه الكريم فهم الأقوام الخاطئ لهذا الركن حينما كانوا يتعذرون بالقدر على فعل المنكر، بعبادة غير الله، وتحريم ما أحل الله من الحرث والأنعام، وكذلك التلاعب في كيفية اللباس عند الطواف. فقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النحل: 35]. يقول المشركون: ما نعبد هذه الأصنام، ولا نحرم ما حرمنا من السوائب والبحائر، إلا بمشيئة الله ورضاه، ولولا ذلك لعاقبنا على ذلك. وهذا كما فعلت الأمم المشركة الذين استن هؤلاء سنتهم، فقالوا مثل قولهم، وسلكوا سبيلهم في تكذيب

[1] انظر: ص76.

[2] انظر: ابن عطية. **المحرر الوجيز**. ج3– ص540.

[3] انظر: الثعلبي، أبا إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري. **الكشف والبيان**. تحقيق: أبي محمد بن عاشور. ط1. بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي. 1422هـ– 2002م. ج6– ص229.

رسل الله، واتباع أفعال آبائهم الضلال. وهذا طريق متعين لكل الكفار المتقدمين والمتأخرين في تكذيب الأنبياء وفي دفع دعوتهم عن أنفسهم[1].

وبين الله تعالى كذلك احتجاج الأقوام المتعاقبة على فعل المعاصي بالقدر في سورة الأنعام حيث قال: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام: 148]. يقول ابن عاشور: "(كذلك كذب الذين من قبلهم)؛ أي كذب الذين من قبلهم أنبياءهم مثل ما كذبك هؤلاء. وهذا يدل على أن الذين أشركوا قصدوا بقولهم: (لو شاء الله ما أشركنا) تكذيب النّبي صلى الله عليه وسلم إذ دعاهم إلى الإقلاع عما يعتقدون، بحجة أن الله رضيه لهم وشاءه منهم مشيئة رضى، فكذلك الأمم قبلهم كذبوا رسلهم مستندين إلى هذه الشبهة، فسمى الله استدلالهم هذا تكذيباً، لأنهم ساقوه مساق التكذيب والإفحام، لا لأن مقتضاه لا يقول به الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون، فإنَّا نقول ذلك كما قال تعالى: (ولو شاء الله ما أشركوا) نريد به معنى صحيحاً فكلامهم من باب كلام الحق الذي أريد به باطل"[2].

فهم حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم كما فعل آباؤهم، وأرادوا بذلك أنهم على الحق المشروع المرضي من الله، وليس الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله إياها منهم، ومثل هذا التكذيب في أن الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه، كذب الذين من قبلهم الرسل[3].

---

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج17- ص200. الرازي. **مفاتيح الغيب**. ج13- ص184-185.

[2] ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. ج8- ص148.

[3] انظر: البيضاوي. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. ج2- ص462-463. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت: 1376هـ). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. مؤسسة الرسالة. 1420هـ - 2000م. ص278.

وكانت الأقوام تجادل أنبياءها، بأن الذي نحن عليه من عبادة غير الله، هو بمشيئة الله، فلو شاء الله لنا الإيمان لحصل لنا سواءٌ جاء الرسول أو لم يجئ، وكذلك لو شاء الكفر لحصل، جئت أم لم تجئ، فلا فائدة من إرسال الرسل[1].

وكانت العرب –ما عدا قريش– لا يطوفون بالبيت الحرام في ثيابهم التي لبسوها، لأنهم عصوا الله تعالى فيها– بزعمهم– وقريش تطوف بثيابها، وإذا وجد غير القرشي ثوباً جديداً، أو أعاره القرشي ثوباً طاف به، وإلا طاف عرياناً.

والمرأة تطوف ليلاً عريانة، جاعلة على فرجها شيئاً تستره به. وهذا الابتداع من تلقاء أنفسهم واتبعوا فيه آباءهم، معتقدين أن فعل هذا مستند إلى أمر من الله، فأنكر الله عليهم ذلك وقال: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ ﴾ [الأعراف: 28] فإن فعلوا الفاحشة احتجوا، عليها بتقليدهم الأسلاف، وأنها طاعات أمر الله بها[2].

"وإذا فعل الذين لا يؤمنون بالله، الذين جعل الله الشياطين لهم أولياء، قبيحاً من الفعل، وهو "الفاحشة"، وذلك تعرِّيهم للطواف بالبيت وتجردهم له، فعُذِلوا على ما أتوا من قبيح فعلهم وعوتبوا عليه، قالوا: وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا، فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون، ونقتدي بهديهم، ونستن بسنتهم، والله أمرنا به، فنحن نتبع أمره فيه"[3].

وقبل هؤلاء الكفرة الذين افتروا فرية الاحتجاج بالقدر، على انحرافهم العقائدي، كان وليهم الأكبر إبليس قد احتج بالقدر على الوقوف بالمرصاد لبني آدم لإضلالهم. فاحتج اللعين على أن الله تعالى أغواه، فبسبب ذلك ليقعدن للبشر الصراط المستقيم، فهو يغوي ويضل البشر ويحرفهم عن صراط الله تعالى، لأن الله تعالى أراد له الغواية بزعمه، فقال سبحانه عنه: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف: 16]، وقال أيضاً: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ

---

[1] انظر: البقاعي. **نظم الدرر**. ج2– ص738. ابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب**. ج12– ص53.

[2] انظر: ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج2–ص185. الزحيلي، وهبة بن مصطفى. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. ط2. دمشق: دار الفكر المعاصر. 1418هـ. ج8– ص175.

[3] الطبري. **جامع البيان**. ج12– ص379.

أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: 39-40]. (بما أغويتني)؛ أي بسبب إغوائك إياي لأغوينهم ولأضلنهم، فالباء سببية[1].

ومن الفِرق التي احتجت بالقدر على المعاصي، فرقة المباحية[2] التي أسقطت الشريعة مطلقاً، وأسقطوا الأوامر والنواهي الربانية، واحتجوا على ذلك بالقدر ويقولون: إن الحبيب رفع عنه التكليف[3]. ومن الفرق كذلك الجبرية[4] الذين سلبوا العبد قدرته واختياره. وحركاته بمنزلة حركات الجماد ولا قدرة له عليها، ولا اختيار، وكل ما خلقه الله فقد رضيه وأحبه، وهؤلاء أعرضوا عن الأمر والنهي والوعد والوعيد، وتركوا الأعمال الصالحة والأخذ بالأسباب المنجية من عذاب الله تعالى، فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا ما ذكره الله عنهم: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: 148][5].

ومن المسلمين من شاكل هؤلاء المحتجين بالقدر على المعاصي وترك الفرائض، فإن قلت لمسلم تارك لفريضة الصلاة: لم لا تُصلِّ؟ رد مجيباً: الله قدر لي ذلك، وعندما يهديني سأصلي، فيا سبحان الله: ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ ﴾ [مريم: 78]. فهل علم ما كتب الله له، أم هو مكلف بمعرفة ذلك!! أم أنه لا يدري الفرق بين علم الله تعالى بكل شيء قبل حصوله، ووقوعه كما قدر وعلم، وبين أنه مكلف بالعمل كما أمر الله تعالى ونهى.

---

[1] انظر: ابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب**. ج11- ص458. الشنقيطي. **أضواء البيان**. ج2- ص276.

[2] هم قوم يحفظون طاعات لا أصل لها، وتلبيسات في الحقيقة، وهم يدعون محبة الله، ويخالفون الشريعة، ويقولون: إن الحبيب رفع عنه التكليف. انظر: الرازي، محمد بن عمر بن الحسين أبا عبد الله. **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**. تحقيق: علي سامي النشار. بيروت: دار الكتب العلمية. 1402هـ. ص74.

[3] انظر: ابن تيمية. **مجموع الفتاوى**. ج8- ص179-180.

[4] الجبرية: يزعمون أن العبد ليس قادراً على فعله. ومن ضلالاتهم أن الجنة والنار تفنيان. انظر: الرازي. **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**. ص68. انظر: الإسفراييني، طاهر بن محمد. **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. بيروت: عالم الكتب. 1983م. ص108.

[5] انظر: الغفيلي، عبد الله بن سليمان. ***أقسام الناس في الإيمان بالقضاء والقدر***. **مجلة البحوث الإسلامية**. الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. عدد 903/79.

وكذلك احتج بالقدر ذرية من ذرية آدم في تبريرهم شركهم أنهم وجدوا آباءهم مشركين فتبعوهم على شركهم، فقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف: 172-173].

ومن وراء الاحتجاج الخاطئ بالقدر، تضيع الحقوق. ففي حالات القتل مثلاً، يأتي أهل الإصلاح لأولياء المقتول من باب القدر، وأن هذا الأمر مكتوب على قتيلكم، وذلك لأجل التخفيف عن المجرم أو العفو عنه. وبهذا تضيع الحقوق، فيزداد أهل الحق يأساً، ويزداد المجرم إجراماً.

المبحث الثاني

التقليد في الأحكام الشرعية

خلق الله تعالى هذا الكون، وهو يعلم ما يصلحه وما يفسده، ومن حقه وحده أن يضع له التشريع الذي يناسبه، فهو الأعلم بخلقه: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: 14]. وهو المتصرف كيفما شاء: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: 23]. وهو سبحانه الرازق لكل دابة: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: 6].

وما دام الأمر كذلك، فمن حق الله تعالى على عباده أن يعبدوه كما أمر، ولا يشركوا به شيئاً. ومن حقه عليهم أيضاً، أن يحلوا ما أحل، ويحرموا ما حرم، ففي ذلك كله، الخير كله. إلا أن من الناس من يأبى إلا أن يأتي بأحكام شرعية من لدن نفسه، فمنهم من يتلاعب في العبادات والشعائر، فيغير فيها زيادةً أو نقصاً، ومنهم من يرى لنفسه حق التشريع وسن القوانين، فيأتي بشرع غير شرع الله تعالى. ومن هنا سيكون تحت هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول: التقليد في الشعائر

المطلب الثاني: التقليد في الشرائع

المطلب الأول: التقليد في الشعائر

الله تعالى خلقنا لعبادته، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56]. وحتى تكون العبادة صحيحة مقبولة فلا بد لها من شرطين: أحدهما: أن تكون خالصة لوجهه الكريم، والآخر: أن تكون موافقة للشرع، يقول الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: 110].

إلا أن من الناس من يحلو له أن يعبد الله وفق هواه، فيأتي بعبادة مخالفة للشرع لم يأمر بها الله تعالى. ومن هنا جاء الإسلام وأمرنا بمخالفة هذا الصنف من الناس، لنكون متميزين عنهم بعبادتنا، ملتزمين شرع الله تعالى كما أمر.

ومن الأمور التعبدية التي أمرنا الإسلام بمخالفة أهل الكتاب والجاهلية فيها، أمور متعلقة بالصلاة، والقبلة، والحج، والصوم، والطهارة.

أولا: القبلة

أما مسألة القبلة، فقد قال الله عز وجل: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ ﴾ [البقرة: 144]. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى جهة المسجد الأقصى بداية الهجرة، فأخذت اليهود تقول: يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا، فكان صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويستفرض[1] القبلة فنزلت، وانقطع كلام اليهود[2].

والحكمة من تغيير القبلة، مخالفة الكافرين، وقطع حجتهم على المؤمنين، يقول الله تعالى: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: 150]. يقول ابن تيمية: "حكمة نسخ القبلة وتغييرها، مخالفة الكافرين في قبلتهم؛ ليكون ذلك أقطع لما يطمعون فيه من الباطل. ومعلوم أن هذا المعنى ثابت في كل مخالفة وموافقة، فإن الكافر إذا اتبع في شيء من أمره كان له من الحجة مثل ما كان أو قريب مما كان لليهود من الحجة في القبلة"[3].

---

[1] يستفرض: يطلب فرضها عليه وعلى المؤمنين. الطبري. **جامع البيان**.ج3– ص173–174.

[2] انظر: المصدر السابق. ج3– ص173– 174.

[3] ابن تيمية. **اقتضاء الصراط المستقيم**. ص16.

وقد أمر الله تعالى المسلمين بمخالفة أهل الكتاب في القبلة، وفي هذا التشريع إشارة واضحة إلى وجوب تحريم التقليد والتبعية والتشبه بالكفار، وفي ذلك دلالة على إتمام المخالفة لليهود[1]. واستقبال بيت الله الحرام تلزمه نتائج متعددة ليست موجودة في استقبال بيت المقدس، منها: سقوط حجة كفار مكة على النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم: تزعم أنك على ملة إبراهيم، ولا تستقبل قبلته. وسقوط حجة اليهود بقولهم: تعيب ديننا وتستقبل قبلتنا[2].

ولقد خالف عمر رضي الله عنه اليهود في تعظيم الصخرة فلم يصل وراءها مثلهم. روى الإمام أحمد عن أبي شعيب "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالجابية، فذكر فتح بيت المقدس قال: فقال أبو سلمة: فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال: سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول لكعب: "أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر رضي الله عنه: ضاهيت اليهودية، لا ولكن أصلي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس"[3].

فلم يفعل عمر رضي الله عنه فعل اليهود الذين كانوا يعظمون الصخرة، فيصلون وراءها وهي بين أيديهم، ولم يهنها إهانة النصارى الذين كانوا قد جعلوها مزبلة من أجل أنها قبلة يهود، ولكن أماط عنها الأذى[4].

---

[1] انظر: العقل. **التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة**. ص68. دوكلي، عثمان أحمد. **التدابير الواقية من التشبه بالكفار**. السعودية: جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية. 1417هـ. ص405.

[2] انظر: الشنقيطي. **أضواء البيان**. ج2- ص450. الجزائري. **أيسر التفاسير**. ج1- ص130.

[3] ابن حنبل. **مسند الإمام أحمد**. رقم الحديث: 261. ج1- ص370. وفيه عيسى بن سنان القسلمي وثقه ابن حبان وضعفه أحمد، وبقية رجاله ثقات. انظر: الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، (ت: 707هـ). **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. بيروت: دار الفكر. 1412هـ. ج3- ص674. قال الألباني: إسناده ضعيف، فيه عيسى لَيّن الحديث. الألباني، محمد ناصر الدين. **الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها من سقيمها**. ط5. عمان - الأردن: المكتبة الإسلامية. 1421هـ- 2000م. رقم الحديث 14. ص106.

[4] انظر: ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج3- ص18.

فالفاروق عمر رضي الله عنه خالف كلاً من اليهود والنصارى، خالف اليهود ولم يضاهم في تعظيم الصخرة. وخالف النصارى، ولم يفعل فعلهم في إهانتها، واتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فصلى حيث صلى الرسول النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول ابن تيمية: "فعمر رضي الله عنه عاب على كعب الأحبار مضاهاة اليهودية أي مشابهتها في مجرد استقبال الصخرة، لما فيه من مشابهة من يعتقدها قبلة باقية وإن كان المسلم لا يقصد أن يصلي إليها"[1].

ثانياً: الصلاة

وبالنسبة لشعيرة الصلاة، فقد ورد في السنة المطهرة ما فيه الأمر بمخالفة المشركين. روى مسلم عن جابر قال: "اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا وراءه، وهو قاعد، وأبو بكر يسمع الناس تكبيره، فالتفت إلينا فرآنا قياماً فأشار إلينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعوداً فلما سلم قال: إن كدتم آنفاً لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود. فلا تفعلوا، ائتموا بأئمتكم إن صلى قائماً فصلوا قياماً وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً"[2]. ففي هذا الحديث نهي عن فعل ما يشبه فعل فارس والروم، حتى في مجرد الصورة، وإن كانت نيتنا غير نيتهم[3].

ثالثاً: الحج

وبالنسبة لبعض مناسك الحج، فقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ما فيه مخالفة للمشركين في الوقوف بعرفة والمزدلفة والدفع منهما، امتثالاً لقول الله عز وجل: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [البقرة: 198]. فقد ورد أنها نزلت في قريش، وكانوا يسمون أنفسهم

---

[1] ابن تيمية. **اقتضاء الصراط المستقيم**. ص127.

[2] مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الصلاة– باب ائتمام المأموم بالإمام. رقم الحديث: 955. ج2– ص19.

[3] انظر: ابن تيمية. **اقتضاء الصراط المستقيم**. ص66–67.

بالحمس[1] كانوا لا يقفون في عرفات، بحجة أنهم لا يخرجون من الحرم وقت الطاعة، وكان غيرهم يقفون بعرفات. ومن وقف بعرفة أفاض قبل غروب الشمس، ومن وقف بالمزدلفة أفاض إذا طلعت الشمس قائلاً: أشرق ثبير[2] كيما نغير[3]. فأمر الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بمخالفة القوم في الدفعتين. وذلك بأن يفيض من عرفات بعد المغرب، ومن مزدلفة قبل طلوع الشمس، فبينت السنة المراد من الآية الكريمة[4]. والحديث قصد فيه مخالفة المشركين[5].

والأمر بالذكر عند المشعر الحرام بعد الإفاضة من عرفات، تنبيهاً على المكان الذي تشرع الإفاضة منه. فالمقصود الإفاضة من حيث أفاض الناس، لا من حيث كان الحمس يفيضون[6].

وقد دفع القرآن الكريم حرج الصحابة في السعي بين الصفا والمروة، حينما ظنوا أن السعي بينهما من فعل الجاهلية. روى البخاري "عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأنا يومئذ حديث السن: أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما. فقالت عائشة: كلا لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله صلى

---

[1] الحمس: جمع أحمس وهو المشدد على نفسه في الدين. انظر: العيني. **عمدة القاري**. ج10- ص3.

[2] ثبير أعظم جبال مكة، نسبة لرجل اسمه ثبير. انظر: العسقلاني. **فتح الباري**. ج3- ص531.

[3] أي أشرق يا ثبير بالشمس كيما نندفع من مزدلفة. المصدر السابق. ج2- ص457.

[4] انظر: ابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب**. ج3- ص422. والماوردي، أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (ت: 450هـ). **النكت والعيون**. تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية. ج1- ص261. القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**. ج2- ص283.

[5] انظر: ابن بطال، أبا الحسن علي بن خلف بن عبد الملك البكري القرطبي، (ت: 449هـ). **شرح صحيح البخاري**. تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم. ط2. السعودية- الرياض: مكتبة الرشد. 1423هـ-2003م. كتاب الحج- باب متى يدفع من حج. ج2-ص367. ابن تيمية. **اقتضاء الصراط المستقيم**. ص119.

[6] انظر: المباركفوري، أبا الحسن عبيد الله بن حمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني. **مراعاة المفاتيح بشرح مشكاة المصابيح**. ط3. الهند: إدارة البحوث العلمية والدعوى والإفتاء. 1404هـ- 1984م. ج9- ص147.

الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله: (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما"[1].

فمن باب حرص الصحابة رضي الله عنهم على مخالفة أفعال المشركين في الجاهلية، وألا يتشبهوا بهم في عباداتهم، تحرج بعضهم من السعي بين الصفا والمروة لأجل ذلك، فأنزل الله تعالى ما يدفع هذا الحرج.

وكان بالصفا والمروة صنمان إساف ونائلة، وقيل إنهما رجل وامرأة زانيان، مسخهما الله تعالى فنصبا على الصفا والمروة ليتعظ بهما الناس، ثم نحر قصي بن كلاب عندهما وأمر بعبادتهما، فلما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة كسرهما كراهية لذينك الصنمين، والسعي بينهما، وكان ذلك سنة في آبائهم[2].

رابعاً: الصيام

وفي باب الصيام، وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضح لنا مخالفة اليهود والنصارى في صيامهم. ففي مجال الترغيب في تعجيل الفطر، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر. إن اليهود والنصارى يؤخرون"[3]. "قال الطيبي: في هذا

---

[1] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب تفسير القرآن – باب قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها. ج5– ص153. مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الحج – باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به. رقم الحديث: 3140. ج4– ص69.

[2] انظر: ابن العربي، أبا بكر محمد بن عبد الله، (ت: 543هـ). **أحكام القرآن**. تحقيق: علي محمد البخاري. ط3. بيروت – لبنان: دار المعرفة، دار الجيل.1407هـ – 1987م. ج1– ص46 – 47. الصابوني، محمد علي. **روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن**. ط5. دار الصابوني. 1406هـ – 1986م. ج1–ص138. المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**. بيروت : دار الكتب العلمية. ج8– ص242.

[3] ابن حنبل. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. رقم الحديث: 9810. ج15– ص 503. أبو داود، سليمان بن الأشعب السجستاني، (ت: 275هـ). **سنن أبي داود**. بيروت: دار الكتب العلمية. كتاب الصوم– باب ما يستحب من تعجيل الفطر. ج2–ص305. ابن حبان، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، (ت: 354هـ). **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1414هـ – 1993م. كتاب الصوم– باب ذكر العلة التي من أجلها يستحب للصوام تعجيل الإفطار. ج8–ص274. وقال: إسناده حسن، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي. الأزهري، محمد منير بن عبدة آغا النقلي الدمشقي، (ت: 1367هـ). **الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية**. دمشق– بيروت: دار ابن كثير. رقم الحديث: 34. ج1– ص42. .

التعليل دليل على أن قوام الدين الحنيفي على مخالفة الأعداء من أهل الكتاب وأن في موافقتهم تلفاً للدين"[1].

وقال ابن تيمية: "وهذا نص في أن ظهور الدين حاصل بتعجيل الفطر هو لأجل مخالفة اليهود والنصارى. وإذا كانت مخالفتهم سبباً لظهور الدين، فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله، فتكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة"[2].

وفي مجال مخالفة اليهود والنصارى في كيفية صيام يوم عاشوراء، روى مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع"[3].

قال النووي: "قال بعض العلماء: ولعل السبب في صوم التاسع مع العاشر أن لا يتشبه باليهود في إفراد العاشر، وفي الحديث إشارة إلى هذا"[4].

خامساً: الحيض

وأما ما يتعلق بالحيض، فقد أمرنا بمخالفة اليهود في اعتزال الحائض، وبمخالفة النصارى في مجامعتهن في الحيض. قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: 222]. وسبب نزولها كما روى مسلم عن أنس: "أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها ولم

---

[1] العظيم آبادي، محمد شمس الحق أبو الطيب. **عون المعبود شرح سنن ابي داود**. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1415هـ. ج6- ص344.

[2] ابن تيمية. **اقتضاء الصراط المستقيم**. ج1- ص90.

[3] مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الصيام- باب أي يوم يصام في عاشوراء؟ رقم الحديث: 2722. ج3- ص151.

[4] النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، (ت: 676هـ). **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1392هـ. ج8- ص13.

يجامعوهن في البيوت. فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ ﴾ إلى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اصنعوا كل شيء إلا النكاح. فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه"[1].

يقول ابن تيمية: "فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم، حتى قالوا: ما يريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه ... وهذا الباب – باب الطهارة– كان على اليهود فيه أغلال عظيمة، فابتدع النصارى ترك ذلك كله بلا شرع من الله حتى إنهم لا ينجسون شيئاً، فهدى الأمة الوسط بما شرعه لها إلى الوسط من ذلك وإن كان ما كان عليه اليهود كان أيضاً مشروعاً. فاجتناب ما لم يشرع الله اجتنابه مقاربة لليهود، وملابسة ما شرع الله اجتنابه مقاربة للنصارى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم"[2].

المطلب الثاني: التقليد في الشرائع

أمر الله تعالى كل رسول بتشريع يناسب قومه وحالهم، موصياً إياهم بإقامته، فقال سبحانه: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى: 13]. إلا أن المشركين ردّوا شرع الله تعالى، زاعمين أنهم أهل للتشريع والتحليل والتحريم فضلوا وأضلوا، قال تعالى: ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ [الشورى: 13]. فهذه أقوام الوثنية وأهل الملل الكتابية والبراهمة[3] والرهبان وأهل الجاهلية في مكة يقلد بعضهم بعضاً في التحليل والتحريم. وما زال الأمر كذلك حتى اليوم .

---

[1] مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الحيض – باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، وطهارة سؤرها. رقم الحديث: 720. ج1– ص169.

[2] ابن تيمية. **اقتضاء الصراط المستقيم**. ص62.

[3] من أهل الهند. ينتسبون إلى براهم الذي مهد لهم نفي النبوات اصلاً، ولم يؤمن بالرسل لأنهم بشر. انظر: الشهرستاني. **الملل والنحل**. ج2– ص249.

ولقد ذكر الله تعالى قضية التحليل والتحريم في سور كثيرة–كانت الأنعام المكية والمائدة المدنية في مقدمتها– وربطها بالعقيدة، ليبين لنا أنه لا يمكن أن تكتمل دائرة الإيمان إلا بالعقيدة والشريعة معاً.

فأهل الجاهلية إن قيل لهم: اتبعوا شرع الله في الأنعام، قالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه الآباء. يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: 170]. يقول الخازن في سبب نزولها: "نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة[1] والسائبة[2] والوصيلة[3] والحام[4]"[5]. والآية السابقة جاءت بعد نداء الله للناس بأكل الحلال الطيب من الأرض والنهي عن اتباع خطوات الشيطان[6] وجاء السياق بعدها يأمر المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم الله، ويبين لهم المحرمات الأربعة من المأكولات[7].

قال أبو جعفر الطبري: "وإذا قيل لهؤلاء الكفار: كلوا مما أحل الله لكم، ودعوا خطوات الشيطان وطريقه، واعملوا بما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه، استكبروا عن

---

[1] البحيرة: ما كان العرب يجعلونه بالناقة إذا ولدت عشرة أبطن شقوا أذنها فيسيبوها فلا تركب ولا يحمل عليها. انظر: الراغب الأصفهاني. **المفردات**. ص 37.

[2] السائبة: التي كانت العرب تسيبها في المرعى فلا ترد عن حوض ولا علف وذلك إذا ولدت خمسة أبطن. المصدر السابق. ص246.

[3] الوصيلة: هي الشاة إذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا – أي أهل الجاهلية – وصلت أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها. المصدر السابق. ص525.

[4] الحام: الفحل إذا ركب ولد ولده، ويقال: إذا أنتج من صلبه عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلأ ولا ماء. انظر: السجستاني، أبا بكر محمد بن عزيز. **غريب القرآن**. تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران. دار قتيبة. 1416هـ– 1995م. ج1– ص120.

[5] الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، (ت: 741هـ). **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل**. بيروت – لبنان : دار الفكر. 1399هـ– 1979م. ج1– ص138. وانظر: الواحدي، علي بن أحمد أبا الحسن. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط1. دمشق– بيروت: دار القلم، الدار الشامية. 1415هـ. ج1– ص143–144.

[6] انظر: سورة البقرة: 168– 169.

[7] انظر: سورة البقرة: 172– 173.

الإذعان للحق وقالوا: بل نأتم بآبائنا فنتبع ما وجدناهم عليه، من تحليل ما كانوا يحلون، وتحريم ما كانوا يحرمون"[1].

ويقول سيد قطب: "وهنا يبيح الله للناس جميعاً أن يأكلوا مما رزقهم في الأرض حلالاً طيباً – إلا ما شرع لهم حرمته وهو المبين فيما بعد – وأن يتلقوا منه هو الأمر في الحل والحرمة، وألا يتبعوا الشيطان في شيء من هذا؛ لأنه عدوهم، ومن ثم فهو لا يأمرهم بخير، إنما يأمرهم بالسوء من التصور والفعل؛ ويأمرهم بأن يحللوا ويحرموا من عند أنفسهم، دون أمر من الله، مع الزعم بأن هذا الذي يقولونه هو شريعة الله. كما كان اليهود مثلاً يصنعون، وكما كان مشركو قريش يدعون"[2].

ويؤيد هذا، قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة: 104]. فإذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه وتَرْك ما حرمه، وإلى العمل بما أنزل اللّه من الأحكام المؤيدة بالبراهين، قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباءَ من الطرائق والمسالك، فهم لنا أئمة قادة مشرّعون، ونحن لهم تبع مقلّدون، حتى ولو تخبطوا في ظلمات التشريع من وأد البنات، وشرب الخمور، وظلم الأيتام والنساء، وارتكاب الفواحش والمنكرات، وشنّ الحروب لأتفه الأسباب، وإثارة العداوة والبغضاء[3].

فالآية السابقة جاءت بعد آية تنفي تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة التي كانت الجاهلية تصنع منها جزءاً من تشريعها، والتي يقول الله فيها: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: 103].

---

[1] الطبري. **جامع البيان**. ج3– ص307. وانظر: الماوردي. **النكت والعيون**. ج1– ص221.

[2] قطب. **في ظلال القرآن**. ج1– ص155.

[3] انظر: ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج2– ص99. الزحيلي. **التفسير المنير**. ج1– ص509–510.

وآيتا البقرة والمائدة السابقتان تظهران مدى تغلغل التبعية للآباء في صدور المدعوين للإسلام، فحتى لو لم يكن الآباء يعقلون من أمر التحليل والتحريم شيئاً، وليس عندهم علم بما أحلوا وما حرموا، ولا عندهم كتاب اهتدوا من خلاله للتحريم والتحليل، فهم يتبعونهم في ذلك، فالحلال ما أحلوا، والحرام ما حرموا. وهذا عناد شديد وغلظة وجفوة وشدة في الصد عن دين الله تعالى، وتقديم تبعية الآباء وشرعهم على تبعية شرع الله تعالى. يقول سيد قطب: "هذا تقرير لواقعهم وواقع آبائهم من قبلهم. فآباؤهم كذلك كانوا يتبعون ما شرعه لهم آباؤهم أو ما شرعوه هم لأنفسهم"[1].

وأراد قوم من الصحابة رضي الله عنهم أن يوجدوا تشريعاً لهم من عند أنفسهم، تشبهاً بالنصارى وذلك بتحريم بعض الطيبات، فنهاهم الله تعالى عن ذلك قائلاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [المائدة: 87]. وفي سبب نزولها يروي الترمذي: "عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي فحرمت علي اللحم فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [المائدة: 87]"[2] ويذكر الواحدي سبباً آخر في نزولها أوسع من هذا فيقول: "هم قوم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تعاهدوا أن يحرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة وأن يصوموا النهار ويقوموا الليل ويخصوا أنفسهم فأنزل الله تعالى هذه الآية"[3].

الله تعالى يخاطب المؤمنين في هذه الآية ناهياً إياهم أن يحرموا الطيبات من النساء والمطاعم والمشارب، كما فعل القسيسون والرهبان، الذين حرموا ذلك وحبسوا أنفسهم في الصوامع، ونهاهم أن يتعدوا حد الله تعالى فيما أحل وفيما حرم[4].

---

[1] قطب. **في ظلال القرآن**. ج2- ص991.

[2] الترمذي. **سنن الترمذي**. كتاب تفسير القرآن- سورة المائدة. رقم الحديث: 3045. ج5- ص255. قال الترمذي: "حديث حسن غريب". وقال الألباني: "صحيح". الألباني، محمد ناصر الدين. **صحيح وضعيف سنن الترمذي**. ط1. الرياض: مكتبة العارف للنشر والتوزيع. 1420هـ- 2000م. رقم الحديث: 3054. ج3-ص232.

[3] الواحدي. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. ج1- ص333. وانظر: السيوطي. **لباب النقول**. ص113-114.

[4] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج10- ص513 - 514.

تواصت الجاهليات فيما بينها بأن تجادل المسلمين في تشريع ربها، فأوحت جاهلية فارس إلى أوليائهم من قريش أن خاصموا محمداً وقولوا له: إن ما ذبحت فهو حلال، وما ذبح الله فهو حرام فأنزل الله: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: 121][1]. فطاعتهم في تحليلهم وتحريمهم المخالف لشرع الله، أعده الله شركاً.

إن الاعتداء على التشريع، لا يقتصر على تحريم طيبات أحلت، وتحليل خبائث حرمت. فالقضية قضية مبدأ، ولمن يكون التشريع في الأمور كلها، هل يكون لله وحده سبحانه؟ أم يكون للبشر. يقول سيد قطب: "قضية الحل والحرمة فيما ذكر اسم الله عليه وما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح، وهي تأخذ أهميتها من ناحية تقرير المبدأ الإسلامي الأول: مبدأ حق الحاكمية المطلقة لله وحده؛ وتجريد البشر من ادعاء هذا الحق أو مزاولته في أية صورة من الصور. وحين تكون القضية هي قضية هذا المبدأ، فإن الصغيرة تكون كالكبيرة في تحقيق هذا المبدأ أو نقضه. ولا يهم أن يكون الأمر أمر ذبيحة يؤكل منها أو لا يؤكل؛ أو أن يكون أمر دولة تقام أو نظام مجتمع يوضع. فهذه كتلك من ناحية المبدأ. وهذه كتلك تعني الاعتراف بألوهية الله وحده؛ أو تعني رفض هذه الألوهية"[2].

الأحبار والرهبان نصبوا من أنفسهم آلهة لها الحق في التشريع بما تهوى أنفسهم، فكان لهم أتباع اتخذوهم أرباباً من دون الله. يقول الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة: 31]. روى الترمذي عن عدي ابن حاتم قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح عنك هذا الوثن، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن

[1] انظر: الخازن. **لباب التأويل في معاني التنزيل**. ج2- ص180. السيوطي. **لباب النقول**. ص122.

[2] قطب. **في ظلال القرآن**. ج3- ص1192- 1193.

دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه"[1].

قال الرازي: "الأكثرون من المفسرين قالوا: ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العالم، بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم"[2]. فعلماء اليهود والنصارى أحلوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله، فكان لهم أتباع يطبقون ويمتثلون. وكان على شاكلتهم في ذلك العرب الذين جاءهم عمرو بن لحي بتشريع جديد، غيّر فيه دين إبراهيم عليه السلام، فما كان من جاهلية العرب إلا أن اتبعوه في ذلك فأحلوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قُصبْه في النار وكان أول من سيب السوائب"[3]. فهناك المشرعون في الأرض من دون الله ، ولهؤلاء المشرعين أتباع يأخذون بنصحهم وتشريعهم. "قال السدي: استنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم"[4].

ويبين الدكتور القرضاوي أن أمر الحلال والحرام من الأمور التي ضل فيها أهل الجاهليه، فأحلوا الحرام، وحرموا الحلال، واستوى في ذلك الوثنيون وأهل الملل الكتابية. فالبرهمية الهندية والرهبانية المسيحية حرموا طيبات أحلت لهم، وفي المقابل كان مذهب مزدك[5] الفارسي ينادي بالإباحية المطلقة. وأمة العرب في الجاهلية لم تكن عن ذلك ببعيد، فأحلوا الخمر والربا والوأد، وزين لهم شياطين الإنس والجن قتل أولادهم، فأطاعوهم. وحرموا كثيراً من الطيبات من حرث

---

[1] الترمذي. **سنن الترمذي**. كتاب تفسير القرآن- سورة التوبة. رقم الحديث: 3095. ج5- ص278. قال الترمذي: "حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب". قال الألباني: "حسن". الألباني. **صحيح وضعيف سنن الترمذي**. ج3- ص247.

[2] الرازي. **مفاتيح الغيب**. ج16- ص30.

[3] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب المناقب: باب قصة خزاعة. ج4- ص160.

[4] ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج2- ص302.

[5] هو مزدك بن نامذان، ولد عام 487م، ببلدة نيابور. كان ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال، ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال أحل النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيهما. انظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد. **الملل والنحل**. تحقيق: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة. 1404هـ.

وأنعام. والأعجب من ذلك كله، أنهم جعلوا ذلك من أحكام الدين، فنسبوه إلى الله تعالى حكماً وديانة[1].

والآية السابقة تنعى على كثير من الفرق الضالة، التاركة كتاب ربها لأجل اتباع كلام العلماء والرؤساء، ووجد من مقلدة الفقهاء من تقرأ عليهم الآية القرآنية في بعض المسائل، المخالفة لمذاهبهم، فيردوا الآية مكتفين بآراء فقهائهم، ولو تأملت حق التأمل، لوجدت هذا الداء سارياً في عروق الأكثرين من أهل الدنيا[2].

ولقد أخبرنا القرآن العظيم عن تشريعات أهل الكتاب وأهل الجاهلية المخالفة لشريعة الله تعالى، من رفض لحكم الله تعالى سواءٌ في النظام الاجتماعي، والاعتداء على المرأة وحقوقها، أم النظام الاقتصادي، أم نظام العقوبات، أم غيرها من النظم. وتوالت الجاهليات في ذلك مستبدلة تشريع الله تعالى بتشريع من عندها، تاركة كتاب ربها وراءها ظهرياً، وشرعت ما لم يأذن به الله.

فقد روى مسلم عن البراء بن عازب قال: "مُرّ على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمماً مجلوداً، فدعاهم صلى الله عليه وسلم فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم. قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك. نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد. قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه. فأمر به فرجم فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ إلى قوله ﴿ إِنۡ أُوتِيتُمۡ

[1] انظر: القرضاوي، يوسف. **الحلال والحرام**. ط1. بيروت: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. 1398هـ. ص18- 19.

[2] انظر: الرازي. **مفاتيح الغيب**. ج16- ص31. الآلوسي. **روح المعاني**. ج10- ص84. الشوكاني. **فتح القدير**. ج2- ص145.

هَـٰذَا فَخُذُوهُ ﴾ [المائدة: 41]. يقول ائتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا"[1].

فاليهود شرعوا التحميم والجلد على الزاني المحصن بدل الرجم مخالفين بذلك تعاليم التوراة. والحديث يبين لنا أن اليهود كثر في أشرافهم الزنا، وعز عليهم أن يقيموا عليهم الحد، فغيّر الأحبار شرع الله تعالى من الرجم إلى الجلد والفضيحة والتحميم. ولقد حاول بعض الصحابة رضي الله عنهم أن يفعلوا فعل اليهود بتغيير حد السرقة في المرأة المخزومية التي سرقت، لأنها من قبيلة لها اعتبارها وشأنها، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم، مبينا لهم أن عدم إقامة الحد على الشرفاء وعلية القوم، وإقامته على الضعفاء فقط، ديدن الأمم السابقة، وكان هذا سبب في هلاكهم.

"عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقال: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حِبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشفع فى حد من حدود الله. ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله ، لو أن فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعت يدها"[2].

واليوم لا يقيم ساسة الأمة أحكام الله تعالى، مراعاة لشرف الشريف، أو لغنى الغني، وتبعية للغرب العلماني، فأصاب الأمة من الأمراض المهلكة ما لا يخفى على أحد.

ولقد ضادّ الكفر بتشريعهم تشريع الله تعالى، حينما شرعوا ما لم يأذن به الله، ووضعوا لأنفسهم قانوناً يتبعونه ويتبعهم فيه أتباعهم من العامة. يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم

---

[1] مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الحدود – باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا. رقم الحديث: 4536. ج5- ص122. البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب المناقب– باب قول الله تعالى: (يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ) [البقرة: 146]. ج4– ص186.

[2] المصدر السابق. كتاب أحاديث الأنبياء– باب حدثنا أبو اليمان. ج4– ص150– 151.

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: 49-50].

روى الطبري عن ابن عباس قال: "قال كعب بن أسد، وابن صوريا وشأس بن قيس، بعضُهم لبعضٍ: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلّنا نفتنه عن دينه! فأتوه فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنَّا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وأنَّا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا، وأن بيننا وبين قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونؤمن لك ونصدقك! فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله فيهم: (وأنِ احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتِنُوك عن بعض ما أنزل الله إليك)، إلى قوله: (لقوم يوقنون)"[1]. فقد حذر الله في الآيتين السابقتين النبي صلى الله عليه وسلم وأمته من الميل إلى اليهود في الحكم بينهم بغير ما أنزل الله.

ولئن كان الحكم بغير شرع الله نهجاً للكافرين قديماً، فقد أصيب أبناء زماننا بهذا الداء، مقلدين في ذلك للسابقين. فأصاب فئة من المسلين الداء نفسه الذي أصاب اليهود من التحاكم إلى الطاغوت، ورفض التحاكم إلى القرآن، مُصرّين على التحاكم إلى الشيطان. فالعلمانيون اليوم يلتزمون حكم الإسلام إذا كانت لهم مصلحة، لكن إن خالف الحكم الإسلامي أهواءهم فإنهم يرفضونه، وهذا يشبه حال اليهود، حينما أرادوا تغيير حكم الله في التوراة على الزاني المحصن[2]. وهذا التحاكم المذموم حسب الأهواء صفة المنافقين إخوة اليهود في الأخلاق، فقد

---

[1] الطبري. **جامع البيان**. ج10- ص393. ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، (ت: 213هـ). **السيرة النبوية**. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. ط1. بيروت دار الجيل. 1411هـ. ج3- ص105-106.

[2] انظر: الحاج، أحمد إبراهيم. **لماذا لعن اليهود في القرآن والسنة**. ط1. بيروت – لبنان: دار ابن حزم. 1415هـ – 1994م. ص51. العقل، ناصر بن عبد الكريم. **الدين كله لله أو التلازم بين العقيدة والشريعة**. فلسطين: جمعية القرآن والسنة- شركة النور للطباعة والنشر والتوزيع. ص28.

أخبر الله تعالى عنهم فقال: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [النور: 47- 50]. وهذا ينطبق على ساسة الأمة اليوم في عدم قبولهم لحكم الله تعالى واستبدالهم إياه بحكم الطاغوت، فالقانون العلماني الغربي هو المطبق في حياة الأمة الإسلامية، بدل الشريعة الإسلامية.

ففي الناحية الاجتماعية، تجد خروج المرأة سافرة دون رقيب، أمر يحفظه القانون! واتخاذ الخليلات حرية شخصية، لا يجوز التعرض لها، فالقانون يكفلها! وفي المجال الاقتصادي تجد التعامل بالربا عنوان غالبية البنوك في طول بلاد المسلمين وعرضها. وفي مجال العقوبات لم نر أي قطع يد لسارق- وما أكثرهم-، بل يسجنون شهوراً أو قليلاً من السنين إن كان من العامة، أما إن كان من علية القوم، فهو معفو عنه مبرر له. ولم نر حالة رجم أو جلد لزانٍ - وما أكثرهم- بل هي حرية شخصية لا يعاقب عليها القانون، بل يحميها! ولم تكن هناك حالة قصاص لقاتل عمداً، بل يقتل من لا ناقة له ولا جملاً من أقربائه. وهكذا نجد أن حياتنا تُحكم بحكم الطاغوت العلماني الغربي، لا بحكم الله تعالى. ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: 50].

ومن أساليب تحليل ما حرم الله تعالى: التحايل على الشرع، وهذا الأسلوب كانت عليه اليهود. فقد احتالوا على الشرع، حينما نهاهم عن الصيد يوم السبت، وأمرهم أن يخصص هذا اليوم للعبادة، فاحتالوا بأن ألقوا شباكهم في البحر يوم الجمعة، وأخرجوها يوم الأحد، قائلين نحن لم نعتد على حرمة السبت، ولم يكن اصطيادنا فيه. ويخبر الله تعالى عن هذا التحايل والاعتداء فيقول: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ

تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعًا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ ۙ لَا تَأۡتِيهِمۡ ۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ [الأعراف: 163]. فقص الله علينا قصتهم حتى لا نقع فيما وقعوا فيه من التحايل، ونفعل فعلهم.

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن تحايل يهود، الذين حرم الله عليهم الشحوم، فذهبوا يذيبونها وباعوها ثم أكلوا ثمنها. يروي البخاري عن ابن عباس قال: "سمعت عمر رضي الله عنه يقول: قاتل الله فلاناً، ألم يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لعن الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم، فجَمَلوها فباعوها"[1]. "قال الخطابي جملوها معناه: أذابوها، حتى تصير وَدَكاً[2]، فيزول عنها اسم الشحم"[3].

والذي ذكره عمر رضي الله عنه في الحديث هو سمرة، وكان قد أخذ خمراً من أهل الكتاب عن قيمة الجزية فباعها منهم معتقداً جواز ذلك[4]. يقول ابن القيم عن احتيال اليهود: "ومن احتيالهم أن الله سبحانه وتعالى لما حرم عليهم الشحوم تأولوا أن المراد نفس إدخاله الفم، وأن الشحم هو الجامد دون المذاب فجملوه فباعوه وأكلوا ثمنه وقالوا: ما أكلنا الشحم ولم ينظروا في أن الله تعالى إذا حرم الانتفاع بشيء، فلا فرق بين الانتفاع بعينه أو ببدله إذ البدل يسد مسده"[5].

واليوم نرى التحليل لما حرم الله تعالى بتسمية الأشياء بغير اسمها، وهذا من التحايل على الشرع، كما كانت اليهود تفعل. يقول القرضاوي: "ومن غرائب عصرنا أن يسمى الرقص الخليع فناً، والخمور مشروبات روحية، والربا فائدة"[6].

---

[1] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب أحاديث الأنبياء– باب ما ذكر عن بني إسرائيل. ج4– ص145.

[2] الودك: دسم اللحم. ابن منظور: **لسان العرب**. ج10– ص509.

[3] ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**. تحقيق: محمد حامد الفقي. بيروت – لبنان: دار المعرفة. ط2. 1395هـ– 1975م. ج1– ص349.

[4] انظر: العسقلاني. **فتح الباري**. باب لا يذاب شحم الميتة ولا يباع ودكه. رقم الحديث: 2110. ج4– ص414.

[5] ابن القيم. **إغاثة اللهفان**. ج1– ص348.

[6] القرضاوي. **الحلال والحرام**. ص33.

المبحث الثالث

التقليد في الأخلاق

بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق، ووصف الله عز وجل خُلُقه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4]. ومكارم الأخلاق جاء الإسلام ليبثها في الناس، ناهياً في الوقت ذاته عن أخلاق السوء.

وأخلاق الناس نوعان: محمودة ومذمومة، وجاء الإسلام مثبتاً الأولى، ناهياً عن الثانية. وبعث الله الأنبياء عليهم السلام تأمر أقوامها بالمحمود من الأخلاق، وتنهاهم عن الشر منها، إلا أن من أقوامهم من لا يلتزم بالأخلاق الحسنة، لمرض في قلبه.

ولقد حذر القرآن الكريم المؤمنين من التشبه بالأخلاق السيئة، التي يتخلق بها الكثير من الناس. ومن بين الذين حذرنا القرآن الكريم من التشبه بأخلاقهم السيئة: أهل الكتاب والمنافقون والمشركون. ومن هنا يندرج تحت هذا المبحث، المطالب الآتية:

المطلب الأول: تقليد أخلاق أهل الكتاب

المطلب الثاني: تقليد أخلاق المنافقين

المطلب الثالث: تقليد أخلاق المشركين

المطلب الأول: تقليد أخلاق أهل الكتاب

تحدث القرآن الكريم كثيراً عن أهل الكتاب، مبيّناً للمسلمين صفاتهم وأخلاقهم السيئة، ليكونوا على بينة من دينهم، وليحذروا هذه الصفات، التي كانت سبباً في غضب الله تعالى عليهم. ومن صفات أهل الكتاب التي حذر القرآن منها المؤمنين: قسوة القلب، وقلة الأدب مع الرسل عليهم السلام، وإيذاء الأنبياء عليهم السلام، والتفرق والاختلاف.

أولاً: النهي عن تقليد أهل الكتاب في قسوة القلب

قسوة القلب نتيجة طبيعية لاقتراف المعاصي، وأبعد القلوب من الله تعالى القلب القاسي. ولقد اتصف أهل الكتاب بهذه الصفة- وخاصة اليهود- حينما طال عليهم الأمد؛ فلما كان الأمر كذلك نهى الله تعالى المؤمنين عن مشابهتهم في هذه الصفة الذميمة، وأمرهم بطاعته والخشوع لذكره، فقال سبحانه: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: 16] وسبب نزولها: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا قد أصابوا من العيش ما أصابوا بعد ما كان بهم من القحط والجهد، ففتروا عن بعض ما كانوا عليه من الطاعة، فنزلت. أو أنهم أخذوا رضي الله عنهم في المزاح فنزلت[1].

يقول طنطاوي: "وبعد هذا التحريض للمؤمنين على المسارعة في طاعة الله- تعالى- وخشيته والإكثار من ذكره: نهاهم سبحانه عن التشبه بأهل الكتاب، الذين طال عليهم الأمد في الانغماس في شهوات الدنيا ففست قلوبهم"[2]. والمعنى نهي المؤمنين عن مماثلة أهل الكتاب الذين أوتوا التوراة والإنجيل قبل نزول القرآن، والتحذير من التشبه بهم في قسوة القلب، وأن يقعوا فيما وقعوا فيه[3].

والناظر اليوم لأمة الإسلام، يجد هذه الصفة الذميمة موجودة في الكثير من أبناء الأمة، لكثرة الذنوب، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً. فشابهنا اليهود في الذنوب، فكانت النتيجة تشابهاً في قسوة القلوب.

---

[1] انظر: ابن أبي شيبة، أبا بكر عبد الله بن محمد الكوفي، (ت: 235هـ). **المصنف في الأحاديث والآثار**. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. الرياض: مكتبة الرشيد. 1409هـ. رقم الحديث: 35715. ج7- ص244. وابن مبارك، عبد الله بن واضح المروزي أبا عبد الله. **الزهد**. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. بيروت: دار الكتب العلمية. ج1- ص89.

[2] طنطاوي. **التفسير الوسيط**. ج14- ص214.

[3] انظر: البيضاوي **أنوار التنزيل**. ج5- ص300. الشوكاني. **فتح القدير**. ج1- ص172-173. ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. ج27- ص392.

ثانياً: النهي عن تقليد اليهود في سوء الخلق مع الأنبياء

ومن أخلاق اليهود التي نهانا الله تعالى عن التخلق بها، قلة الأدب مع الأنبياء وإيذاؤهم. فنهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه باليهود في قلة التأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 104]. وسبب نزولها- كما ذكر السيوطي- أنه: "كان رجلان من اليهود: مالك بن الصيف، ورفاعة بن زيد إذا لقيا النبي صلى الله عليه وسلم قالا وهما يكلمانه: راعنا سمعك واسمع غير مسمع، فظن المسلمون أن هذا الشيء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فأنزل الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا)"[1]. فالله تعالى نهى المؤمنين عن التشبه باليهود في أقوالهم وكيفية مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم. يقول ابن كثير: "نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يُعَانُون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص -عليهم لعائن الله- فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا يقولون: راعنا ويورون بالرعونة، كما قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: 46] وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم، بأنهم كانوا إذا سلَّموا إنما يقولون: السامُ عليكم، والسام هو: الموت. ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بـــ "وعليكم". وإنما يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا. والغرض: أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلاً"[2].

---

[1] السيوطي. **لباب النقول**. ص20.

[2] ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج1- ص143.

وكانت اليهود لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبه كلمة (راعنا) وهي (راعينا) ومعناها: اسمع لا سمعت، أو أنت راعي غنمنا، وكان المؤمنون يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم إذا حدثهم بحديث راعنا يا رسول الله، أي: راقبنا وانظرنا حتى نفهم كلامك ونحفظه، فتلقفها اليهود لموافقتها الكلمة السيئة عندهم، وأخذوا يلوون بها ألسنتهم، إساءة للنبي صلى الله عليه وسلم موهمين أنهم يريدون الانتظار، فنهى الله عز وجل المؤمنين عن استعمال هذه الكلمة، حتى لا يتخذها اليهود وسيلة إلى إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، وكرهها لهم[1].

ولقد حاكى اليهود الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم، أسلافهم في إيذاء الأنبياء عليهم السلام. فقد آذوا الأنبياء بالقتل والتعنت والصلف، وعدم طاعتهم، وآذوهم بالتحايل على شرع الله تعالى. وعلى رأس هؤلاء الأنبياء الذين تعرضوا لإيذاء اليهود سيدنا موسى عليه السلام، فقال سبحانه مخبراً عن هذا الإيذاء: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [الصف: 5]. فجاء القرآن الكريم ناهياً المؤمنين عن أن يفعلوا فعل اليهود بإيذاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: 69]. يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم، ولا بفعل لا يحبه منكم، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبي الله، فرموه بعيب كذباً وباطلاً"[2].

وقد وقع الخلاف فيما أوذي به النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الآية، فحكى النقاش: أن إيذاءهم للنبي صلى الله عليه وسلم بقولهم: زيد بن محمد. وقيل: نزلت في شأن زيد بن حارثة وزينب بنت جحش، وما سمع فيه من قالة بعض الناس، أو إيذائه في اتهام زوجته الطاهرة عائشة رضي الله عنها بالفاحشة من قبل أصحاب الإفك، وقول بعضهم وقد قسم مالاً:

---

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج2- ص460. الرازي. **مفاتيح الغيب**. ج3- ص253.

[2] الطبري. **جامع البيان**. ج20- ص331-332

اعدل فينا يا رسول الله. فقال له: ويحك إذا لم أعدل أنا فمن يعدل؟ وكان يقول: يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر[1].

ومن إيذاء اليهود لموسى عليه السلام ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن موسى كان رجلاً حيياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه. فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أُدرة وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملإ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون ... فذلك قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً)"[2].

فالله تعالى ينادي مؤمني هذه الأمة ناهياً لهم عن إيذاء نبيهم بأدنى أذى، ولا يكونوا كبني إسرائيل الذين آذوا موسى في غير موطن، ومن ذلك أنه يغتسل وحده لأنه آدر[3]. وكانت بنو إسرائيل تغتسل عراة ينظر بعضهم إلى بعض[4].

ومن الذين حاكى يهود في إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم، المنافقون إذ طعنوا في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، واتهموها بالفاحشة. حيث أنزل الله تعالى في رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول وأناس معه قذفوا عائشة، قوله سبحانه: ﴿ إِن ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: 57][5].

---

[1] انظر: الزمخشري. **الكشاف**. ج3- ص572. الشوكاني. **فتح القدير**. ج4- ص307-307.

[2] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب أحاديث الأنبياء- باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام. ج4- ص129-130. مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الفضائل- باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم. رقم الحديث: 6296. ج7- ص99.

[3] أي نفخة في الخصية. انظر: ابن منظور. **لسان العرب**.ج4- ص15.

[4] انظر: مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الحيض- باب جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة. رقم الحديث: 796. ج1- ص183.

[5] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد أبو الفضل. **لباب النقول في أسباب النزول**. بيروت: دار إحياء العلوم. ص171.

فنحن نرى أن سورة الأحزاب، تتحدث عن إيذاء المنافقين للنبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك عن إيذاء يهود لموسى عليه السلام، ونهينا عن التأسي بالفريقين. ومعلوم أن المنافقين إخوان اليهود في أخلاق السوء، بنص القرآن: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الحشر: 11].

ويستمر الإيذاء للرسول صلى الله عليه وسلم، سواءٌ بالاعتداء على أتباعه المؤمنين، أم بالافتراء والكذب عليه بوضع الحديث، ويتداول خُلُق الإيذاء هذا أناس، منهم المشركون ومنهم اليهود ومنهم المنافقون، حتى العصر الحديث.

لقد توالت النفوس المريضة الكافرة في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، متبعاً اللاحق السابق في ذلك. ففي العهد المكي، كان من أوائل من آذوه عمه أبو لهب وزوجته حمالة الحطب. وألقى الشقي عقبة بن أبي معيط سلا الجزور، وقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم. وفي العهد المدني آذاه اليهود بالقول والفعل، فقد كان اليهودي كعب بن الأشرف يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم بشِعره، وحاول يهود بني النضير إيذاءه بالقتل. ويتوالى الإيذاء في العهد الأموي، حيث وصف النصراني الحاقد يوحنا الدمشقي الرسول صلى الله وسلم باستغلاله الدين لمصالحه الشخصية. ويتبع مرضى العصر الحديث مرضى أسلافهم في إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم، ويشابه هذا الإيذاء، ما كان من صحيفة بلاند بوستن[1] الدينماركية، التي أقامت مسابقة لرسم كاريكاتير للنبي صلى الله عليه وسلم، حيث أظهرته وهو يلبس عمامة على شكل قنبلة بفتيل[2].

إن الإيذاء للرسول صلى الله عليه وسلم ولدينه، تتشابه فيه فئات من الناس على اختلاف ألوان مللهم، ونسمع من المسلمين- وللأسف- شتم النبي صلى الله عليه وسلم. ومنهم من لا يتأدب عند رواية أحاديثه، أو عند رؤية من يلتزم بسنته صلى الله عليه وسلم.

---

[1] صحيفة بلاند بوستن صحيفة الحزب الحاكم في الدنمارك، وتنطق باسم رئاسة الوزارة، وهي صحيفة موثوقة عند الدنماركيين، واسعة الانتشار. انظر: عبد الهادي، عاطف. حسين، دعاء. مقال على النت بعنوان: **الإساءة لأعظم الخلق...صحيفة الدنمارك ليست الأولى.** على الموقع الإلكتروني:
http://www.ikhwanonline.com/article.asp?artd=19338csecid=110

[2] المصدر السابق.

ثالثاً: النهي عن تقليد أهل الكتاب في التنازع والفرقة

ومن أخلاق السوء التي نهانا الله تعالى عن امتثالها، وعن فعلها كما فعلها أهل الكتاب: التفرق والاختلاف والتشرذم. يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [آل عمران: 105]. أي لا تكونوا يا معشر المؤمنين كأهل الكتاب الذين تفرقوا واختلفوا في دين الله تعالى، وخالفوا أمره، من بعد ما جاءهم البينات. فلا تفعلوا فعلهم، وتستنوا سنتهم[1]. وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم تفرق اليهود والنصارى وتفرق أمة الإسلام في حديث واحد، حيث قال: "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"[2]. وفي هذا دلالة على وقوع التفرق والاختلاف في الأمة كما وقع في أهل الكتاب.

وتفرق الأمة هذا، في الأصول، لا الفروع. ولم يُرِد النبي صلى الله عليه وسلم بالفِرَق المذمومة، المختلفين في فروع الفقه، بل قصد من خالف أهل الحق في أصول التوحيد، وشروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة، وما جرى مجراها، لأن المختلفين في الأصول كَفَّر بعضهم بعضاً، بينما المختلفون في الفروع، اختلفوا فيها من غير تكفير ولا تفسيق للمخالف[3]. والمراد بالذين تفرقوا هم "اليهود والنصارى الذين افترقوا على أكثر من سبعين فرقة، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن متابعتهم في نفس التفرق والاختلاف، مع أنه صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ... ودل على أنه كلما بعد الرجل عن مشابهتهم فيما لم يشرع لنا، كان أبعد عن الوقوع في نفس المشابهة المنهي عنها"[4].

---

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج7- ص92.

[2] الترمذي. **سنن الترمذي**. كتاب الإيمان- باب ما جاء في افتراق الأمة. قال أبو عيسى "حديث حسن صحيح". رقم الحديث: 2640. ج5- ص25. ابن ماجة. **سنن ابن ماجة**. كتاب الفتن- باب افتراق الأمم. رقم الحديث: 3991. ج2- ص1321. قال الألباني: "حسن صحيح". الألباني. **صحيح وضعيف سنن الترمذي**. ج3-ص53.

[3] انظر: العظيم آبادي. **عون المعبود شرح سنن أبي داود**. ج12- ص223. المناوي، زين الدين عبد الرؤوف، (ت: 1031هـ). **التيسير بشرح الجامع الصغير**. ط3. الرياض: مكتبة الإمام الشافعي. 1408هـ- 1988م. ج1- ص360.

[4] ابن تيمية. **اقتضاء الصراط المستقيم**. ص16.

ويحذرنا الله عز وجل في آيات أخرى من مشابهة أهل الكتاب في التفرق، فيقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: 31-32]. فلا تكونوا من المشركين المبدلين دينهم، المفارقين له، وكانوا أحزاباً كاليهود والنصارى، وصاروا فرقاً، كل فرقة تشايع إمامها الذي أضلها[1].

أوحى الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، أن يتبرأ من الذين تفرقوا في دينهم، وأصبحوا شيعاً وأحزاباً. والتبرؤ يقتضي المخالفة، وترك المشابهة بأفعالهم وتفرقهم. فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ [الأنعام: 159]. ومن كرامة هذه الأمة على الله تعالى، أن يأمرها بما أمر به أولي العزم من الرسل، وينهاها عما نهاهم عنه كذلك، فقال سبحانه: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [الشورى:13]. وهذا فيه حث لهذه الأمة أن تسلك سبيل صفوة الصفوة من الخلق وهم أولوا العزم وتلتزم بصفاتها، وألا يسلكوا سبيل من تفرق في الدين، واتباع غير سبيل المؤمنين. وهذا شرع من الدين وصانا الله به، ونهانا عن مخالفته.

إن الاختلاف حصل في أمة الإسلام، منذ فجر الدعوة حتى اليوم، منه المذموم المشؤوم، الذي أدى إلى الفتك بالأمة، وذهاب ريحها، ومنه المستحسن الذي أبقى على الود بين المختلفين. وبين الدكتور القرضاوي أن الاختلافات منها ما سببه خُلُقي كالغرور، وسوء الظن، وحب الذات، واتباع الشهوات، والتعصب. ومنها ما سببه فكري، مرده إلى اختلاف وجهات النظر في الأمر الواحد، سواءٌ أكان أمراً علمياً، أم كان عملياً. وضرب أمثلة من واقع حياة المسلمين، كاختلاف الجماعات الإسلامية حول مواقف سياسية في عصرنا، مثل الانتخابات والتحالف مع بعض القوى غير الإسلامية لإسقاط طاغية ظالم، وكاختلاف الرأي في تقويم بعض المعارف

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج20- ص100. الزمخشري. **الكشاف**. ج3- ص485.

والعلوم مثل علم الكلام، وعلم التصوف، وعلم المنطق، وعلم الفقه المذهبي. وكالاختلاف التاريخي في تقويم بعض الأحداث التاريخية[1].

إن الناظر لحال أمة الإسلام يرى التفرق والتشرذم والتناحر والتباغض، سواءٌ على مستوى الأفراد، أم الجماعات، أم المؤسسات، أم الدويلات الإسلامية. كل مستوى يخطئ الآخر، ويرى نفسه الحق، وما عداه باطل. وهذا المستوى يصعد على أخطاء المستوى الآخر. وقليل من أبناء الأمة من ينظر بعين الحاذق إلى حقيقة الاختلاف، وأنه لا يجوز – ولا بأي حال– أن يؤدي إلى تناكر القلوب وتباغضها، وقليل مَن بيَّن أنه ينبغي ألا يفسد الاختلاف ذات البين. وتعددت الأفكار والرؤى التي ينتمي إليها أبناء المسلمين، فأصبحنا شيعاً وأحزاباً، كل حزب بما لديهم فرحون. وانتشرت البغضاء فيما بين هذه الأحزاب، حتى ضرب بعضها رقاب بعض، ولا أدل على ذلك مما حصل في فلسطين، حينما كانت الاستجابة لأوامر يهود.

المطلب الثاني: تقليد أخلاق المنافقين

النفاق صفة ذميمة يلجأ إليها بعض البشر حينما لا يستطيعون الوصول إلى أهدافهم بسهولة، فيلجأون إلى النفاق. وهذه الفئة البشرية تتصف بصفات بذيئة، ويتخلقون بأخلاق مسمومة ذميمة، حذرنا الله تعالى منها، ومن التشبه بها، أو سلوك سبيلهم في مثل هذه الأخلاق. ومن صفاتهم الذميمة التي نهينا عن تقليدهم فيها: الظن السيء، والإعراض عن الحق، والخوض في آيات الله بالباطل والاستهزاء بها. وسيتناول الباحث هذه الصفات تحت هذا المطلب.

أولاً: الظن السيء

ومما اتصف به المنافقون: الظن السيئ بالله تعالى، وسوء يقينهم به، فجاء النهي الإلهي عن التأسي بهم في مثل هذا، حيث يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزًّى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا

[1] انظر: القرضاوي، يوسف. **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتعرف المذموم**. ط1. القاهرة: دار الشروق. 1421هـ – 2002م. ص12–15.

قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةً فِي قُلُوبِهِمۡۗ ﴾ [آل عمران: 156]. أي: يا من صدقوا الله ورسوله لا تتشبهوا بعبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه، الذين ينهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله تعالى، والضرب في الأرض في طاعة الله ورسوله، يقولون إذا ماتوا أو قتلوا: لو أطاعونا ما ماتوا، وما قتلوا[1]. فالمنافقون ظنوا أن قتل إخوانهم أو موتهم بسبب خروجهم غزاة طائعين لله تعالى، وظنهم السيئ هذا نحن مأمورون بمخالفته وعدم مماثلته.

وصيغة(إذا ضربوا) صيغة استقبال في معنى الاستمرار[2]. وهذا الظن السيئ، يتكرر ويتجدد، مشابهةً للمنافقين السابقين. فترى ضعاف الإيمان يثبطون عن الجهاد والاستشهاد، قائلين لإخوانهم المجاهدين: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، ولو لم يجاهدوا ما غُيِّبوا في غياهب السجون، ولو لم يخالطوا المجاهدين ما أُبعدوا عن أوطانهم.

ولقد شابه المنافقون في الظن السيئ، ظن أهل الجاهلية، الذين ظنوا أن الله تعالى لا ينصر رسوله والمؤمنين، فقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَا ﴾ [آل عمران: 154]. يقول ابن القيم: " وقد فُسِّر هذا الظن الذى لا يليق بالله، بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وأنه يُسلمه للقتل، وقد فُسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره، ولا حكمة له فيه "[3].

وهذا حينما ظهر المشركون في أحد، حيث اعتقد المنافقون أنها الفيصلة، وأن الإسلام أبيد وأهله، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة[4].

---

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج7- ص330-332.

[2] انظر: الآلوسي. **روح المعاني**. ج4- ص100.

[3] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. **زاد المعاد في هدي خير العباد**. ط27. الكويت: مكتبة المنار الإسلامية- بيروت: مؤسسة الرسالة. ج3- ص228.

[4] انظر: ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج1- ص369.

وتتجدد واقعية الآية، وتتكرر أخلاق النفاق في زماننا اليوم، إذ التثبيط عن الجهاد، والتهوين من شأنه وشأن المجاهدين وسلاحهم، مقابل تهويل المنافقين لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب. ويظنون بالله ظن السوء –عليهم دائرة السوء–، وأن الله تعالى لن ينصر العاملين لدينه، المستمسكين بحبله المتين؛ لأنهم لا قِبَل لهم بأعدائهم، فعدتهم أضعف من عدة عدوهم. كذلك ينتظر هؤلاء المنافقون، عثرات المجاهدين والإصابة منهم، فصدق قول الله فيهم وفي أمثالهم: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ [التوبة: 50].

ثانياً: الإعراض عن الحق

ومن أخلاق النفاق، التي كان الزجر عن التشبه بها، خلق الإعراض عن الحق، حيث يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: 20–21]. خاطب الله تعالى المؤمنين، منادياً إياهم بصفة الإيمان، المنافية لصفة النفاق محذراً إياهم أن يفعلوا فعل المنافقين، الذين قالوا بألسنتهم: إنّا قبلنا تكاليف الله تعالى، ثم إنهم يتولون عن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يقبلون أوامره، ولا يتعظون ولا ينتفعون بما سمعوا من القرآن والمواعظ. فحذرهم من التشبه بالمنافقين[1].

يقول القرطبي: "فدلت الآية على أن قول المؤمن: سمعت وأطعت، لا فائدة فيه ما لم يظهر أثر ذلك عليه بامتثال فعله. فإذا قصر في الأوامر فلم يأتها، واعتمد النواهي فاقتحمها، فأي سمع عنده وأي طاعة! وإنما يكون حينئذ بمنزلة المنافق الذي يظهر الإيمان، ويُسِر الكفر، وذلك هو المراد بقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الانفال: 21]"[2].

---

[1] انظر: النسفي، أبا البركات عبدالله بن أحمد بن محمود، (ت: 710هـ). **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. بيروت – لبنان: دار الكتاب العربي. ج1– ص608–609. الرازي. **مفاتيح الغيب**. ج3– ص21. الخازن. **لباب التأويل في معاني التنزيل**. ج3– ص1493.

[2] القرطبي. **الجامع الأحكام القرآن**. ج7–ص246.

واليوم ترى الذين في قلوبهم مرض يتولون عن أمر الله تعالى، فهم يقولون سمعنا وهم لا يسمعون. فكم من سامع لآيات الله تتلى عليه سماع أذن لا عمل فيه. فمثلاً تنهى عن التشبه بالكفار في التحاكم إلى الطاغوت فلا استجابة، وتنهى عن التشبه بالكفار في المظهر- كحلق بعض الرأس دون بعض(القزع)- فلا سمع ولا طاعة، وتأمر الفتاة المقلدة لفاجرات الكفر، بمواراة السوأة فلا تلبي، وتنهى عن نصرة الظالم بالباطل- كما هي جاهلية مكة الأولى- فلا تلبية ولا استجابة، وتنهى عن أكل أموال الناس بالباطل فلا يستجيبون.

ثالثاً: الخوض في آيات الله بالباطل

ومن صفات المنافقين التي ذكرها القرآن الكريم، الخوض في آيات الله بالباطل والاستهزاء بها، ومن شدة خطورة هذه الصفة، فإن الله تعالى لم ينهنا فقط عن فعلها، بل وعن الجلوس مع الخائضين والمستهزئين بها، فقال سبحانه: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: 140]. وأَمْر الله للمؤمنين بالإعراض عمن هذه صفته، نراه في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [الأنعام: 68]. "نزلت في قوم من المنافقين كانوا يجلسون إلى أحبار اليهود، فيسخرون من القرآن، ويكذبون به ويحرفونه، فنهى المسلمين عن مجالستهم. قال ابن عباس: ودخل في هذه الآية كل مُحدِث في الدين ومبتدع إلى يوم القيامة"[1].

يبين الله تعالى أن الذي يقعد مع المستهزئين بآيات الله، فهو مثلهم في ركوب المعصية، وإتيان ما نهى الله عنه، وفي الآية دليل قوي على عدم مجالسة أهل البدع والمعاصي وتجنبهم، ومن جلس وهو قادر على الإنكار، فهو مثلهم في الكفر[2].

---

[1] ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، (ت: 1224هـ). **البحر المديد**. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية. 2002 م ـ 1423 هـ. ج2- ص165.

[2] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج9-ص320. ابن حيان. **البحر المحيط**. ج3- ص390. الثعالبي. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**. ج1- ص424.

أمْر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن الخائضين من المنافقين، وعن مجالستهم، هو أمر لكل من يصلح له الخطاب من الأمة، فأفراد الأمة مأمورون بعدم الجلوس مع من هذه صفته. وهذا أبلغ في الزجر من النهي عن مشابهتهم في هذا الخلق الذميم. يقول أبو السعود: "المراد بالإعراض إظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم، لا الإعراض بالقلب أو بالوجه فقط"[1].

إن من الجلوس مع المستهزئين بآيات الله، الجلوس أمام شاشات بعض الفضائيات التي تستهزئ بالعاملين لدين الله تعالى، وتصورهم بصور تنفر العامة من الدين، كأن تصورهم بأنهم قاطعو طريق، أو أصحاب قوة يستخدمونها في سفك الدماء والاعتداء على حقوق الناس، كل ذلك وأمثاله من باب الطعن والنيل من المستمسكين بدين الله تعالى، وتنفير الناس منهم، فصدق قول الله فيهم: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: 65-66].

النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بمفاصلة الخائضين في آيات الله، الجاعلين الدين موضعاً للعب واللهو، بالقول أو الفعل حتى لا تكون مجالسته لهم موافقةً ضمنيةً على ما هم فيه، أو قلة غيرةٍ على الدين. وهذا الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم، أمرٌ لمن وراءه من المسلمين[2].

المطلب الثالث: تقليد أخلاق المشركين

المشرك له من الأخلاق الذميمة الكثير، فهمه الأكبر نفسه، ينظر إليها على أنها غايته، فيحقق لها ما يستطيعه من متاع الدنيا، وكلما ازداد في البحث عن شهواته ورغباته، ازداد تأصل الأخلاق السيئة في نفسه. وذكر الله أخلاقاً للمشركين لنكون – نحن المؤمنين– أبعد الناس عنها تشبهاً وتقليداً وفعلاً. ومن أخلاق المشركين التي نهانا عن التخلق بها، خلق البطر والرياء، وخلق العصبية القبلية النتنة، وخلق التبرج المذموم.

---

[1] أبو السعود. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. ج2– ص245.

[2] انظر: قطب. **في ظلال القرآن**. ج2– ص1127.

أولاً: خلق البطر والرياء

فعن الأول يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأنفال: 47]. أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: "لما خرجت قريش من مكة إلى بدر، خرجوا بالقيان والدفوف، فأنزل الله: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال: 47]"[1].

لما رأى أبو سفيان أن عيره نجت، أرسل إلى أبي جهل يخبره بذلك، طالباً منه العودة، إلا أن أبا جهل ركب رأسه وقال: والله لا نرجع حتى نرد بدراً، فنقيم عليها ثلاثاً، فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً[2].

فالله تعالى ينهى المؤمنين عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم بطراً، وأن يكونوا مثلهم في ذلك، وأمرهم بإخلاص النية والحسبة في نصرة دينه، ومؤازرة نبيه صلى الله عليه وسلم[3].

لقد صور قبح عملهم من أوله حيث خروجهم من ديارهم بطراً- أي طغياناً وتكبراً على الحق- لنعمة نجاة القافلة، ولما ذكر ذلك، ذكر ما أوجبه، وهو خروجهم رياء أمام الناس، ومن ثم ذكر الثمرة الخبيثة الناشئة عن ذينك الخُلُقين، وعبر عنهما بالاسم إشارة إلى الثبات وهو شأن الأخلاق، وعن الثمرة بالمضارع تنبيهاً على أنهم لا يزالون يجددونها فقال: ﴿ وَيَصُدُّونَ

---

[1] الطبري. **جامع البيان**. ج13 – ص581.

[2] انظر: ابن هشام. **السيرة النبوية**. ج3- ص166.

[3] انظر: البغوي، أبا محمد الحسين بن مسعود. **معالم التنزيل**. تحقيق: محمد عبد الله النمر. ط4. دار طيبة للنشر والتوزيع. 1417هـ- 1997م. ج3 – ص366. ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج2- ص275.

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي يوجدون الصد وهو المنع لأنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، وهم عازمون على تجديد ذلك في كل وقت[1].

فكان النهي الرباني للمؤمنين أن يزاولوا مثل هذه الأخلاق- البطر والرياء والصد عن سبيل الله -، وزجرهم أن يكونوا مثلهم في فعالهم. وصدهم مستمر متجدد على مر الزمان، يشاكل اللاحق فيه السابق.

ولقد وجد في الأمة، ممن يتكلم بألسنتنا، من يصنع صنيع أبي جهل. فقد دخل الجاسوس اليهودي(باروخ ماندل) عام 1954م مصر تحت اسم (مالك نوير)، زاعماً أنه تاجر تركي يتاجر بصفقات السلاح الجوي. وخلال سنوات صار هذا الرجل الذكي ثرياً ينثر المال على الضباط والفنانات، ووصل إلى مرتبة مفتش في السلاح الجوي المصري. وليلة الخامس من حزيران عام 1967م، تمكن هذا الجاسوس من إقامة حفلتين للطيارين، وكانت الحفلتان يعلوهما الرقص والخمر، وشرب قرابة أربعمائة طيار الخمر، واستمر الحفل حتى الفجر، تلك اللحظة التي أغار فيها سلاح الجو الإسرائيلي وتمكن من تدمير ستمائة طائرة لسلاح الجو المصري[2].

وهكذا يتكرر فعل أبي جهل، من قبل أحفاده، نظروا إلى الدنيا، ظانين أن النصر من خلال الخمر والسهر والقيان، فشربوا الخمر حتى ثملوا، وعزفت لهم القيان، فضاعت العباد والبلاد. ولو أنهم كانوا من أهل القرآن، وممن عرف سبيل القرآن، لسمعوا قول الله تعالى وهو يناديهم: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: 47] سماعَ المجيب، ولكان شأنهم، شأن جند صلاح الدين الذين كان وصفهم: رهبان بالليل، فرسان بالنهار. فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فكانت الذلة والمسكنة، كما كان حال أبي جهل الذي شرب كأس المنايا بدل كأس الخمر، وناحت عليه النوائح بدل

---

[1] انظر: البقاعي. **نظم الدرر**. ج3— ص226.

[2] انظر: الأحمد، خالد. مقال على النت بعنوان: **دور النظام السوري في حرب 1967**. على الموقع الإلكتروني: http://native-syrian –blogspot.com\2006\06\1967.hotmail. بتاريخ: 1.حزيران.2006م.

زغاريد القيان، وذكرتهم العرب بالصغار بدل الفخار. وما زالت الأمة تتجرع كأس الهوان من وراء أفعال أتباع أبي جهل البطر الأشر.

ثانياً: خلق العصبية

ومن أخلاق المشركين التي نزل فيها القرآن يحذر المسلمين من مزاولتها: دعوى الجاهلية، فقد قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [آل عمران: 100-101]. وسبب نزولها أن شاس بن قيس اليهودي – وكان شديد الضغن على المسلمين– مر على نفر من الصحابة من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ألفتهم وصلاح ذات بينهم من بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من عداوة، فقال: والله مالنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار، فأمر شاباً معه من اليهود كان معه أن يعمد إليهم، ويذكرهم بعاث[1] وما كان فيه من قتل بينهم، ففعل، وعندها تنازع الفريقان وتفاخروا، وتواعد الفريقان، منادياً كلاً منهما قبيلته، كما كانوا عليه في الجاهلية. فبلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا معشر المسلمين، أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به أمر الجاهلية وألف بين قلوبكم. عندها عرفوا أنها نزعة الشيطان وتعانقوا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: 100][2].

ففي هذه الآية يحذر الله تعالى المؤمنين من إثارة الجاهلية والنعرات العصبية، التي أثارها اليهود بينهم، مبيناً أن طاعة اليهود توصل إلى الكفر والردة بعد الإسلام والإيمان.

---

[1] بعاث موضع بالمدينة. كانت فيه وقعة عظيمة بين الأوس والخزرج، قُتل فيها خلق من أشرافهم وكبرائهم. وهو يوم قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، قدم إلى المدينة وقد افترق ملؤهم، وقتل سراتهم. انظر: ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج3- ص117.

[2] انظر: الواحدي. **أسباب النزول**. ص76- ص77.

يقول البقاعي: "(إن تطيعوا فريقاً) أتى بهذا اللفظ لما كان المحذر منه الافتراق والمقاطعة الذي يأتي عيب أهل الكتاب به (من الذين أوتوا الكتاب) أي القاطعين بين الأحباب مثل شأس بن قيس الذي مكر بكم إلى أن أوقع الحرب بينكم، فلولا النبي الذي رحمكم به ربكم لعدتم إلى شر ما كنتم فيه (بعد إيمانكم كافرين) أي غريقين في صفة الكفر"[1].

ويحذر الله تعالى المؤمنين من إغراء وإضلال فريق من أهل الكتاب، وألا يقع بعضهم في دماء بعض، كما كانت حالهم في الجاهلية، ونهاهم عن قبول قولهم بإحياء ضغائن الجاهلية، وألا يفعلوا أفعال الكفرة كدعوى الجاهلية. ويناديهم سبحانه بنداء الإيمان، أنكم إن استمعتم إلى ما يلقيه بعض أهل الكتاب من دسائس، فإنهم لا يكتفون بإيقاع العداوة والبغضاء بينكم كما في الجاهلية، بل يتجاوزون ذلك إلى إعادتكم إلى الكفر بعد الإيمان[2].

ولقد أمات النبي صلى الله عليه وسلم دعوى الجاهلية هذه في مهدها، حينما نادى بها كل من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، وحاولوا أن يتشبهوا بالجاهلية فيها. فقد روى الشيخان عن عمرو بن دينار أنه سمع جابراً رضي الله عنه يقول: "غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد ثاب[3] معه ناس من المهاجرين حتى كثروا. وكان من المهاجرين رجل لعاب، فكسع[4] أنصارياً فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما بال دعوى أهل الجاهلية ؟ ثم قال: ما شأنهم؟ فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري. قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعوها فإنها خبيثة"[5]. ففي هذا الحديث أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على المهاجري والأنصاري دعوتهما لفئتيهما، وسمى قولهما دعوى الجاهلية، مع أن كل واحد منهما انتسب إلى فئة من فئات المسلمين، وهما فئة المهاجرين وفئة الأنصار، وهما اسمان شرعيان، الانتساب

---

[1] البقاعي. **نظم الدرر**. ج2- ص130.

[2] انظر: ابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب**. ج5- ص 425. ابن عجيبة. **البحر المديد**. ج1- ص474. الآلوسي. **روح المعاني**. ج4- ص16.

[3] ثاب: اجتمع. العسقلاني. **فتح الباري**. ج6- ص632.

[4] كسع: ضربه على دبره. المصدر السابق. ج6- ص632.

[5] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب المناقب- باب ما ينهى من دعوى الجاهلية. ج4- ص160. مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب البر والصلة- باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً. رقم الحديث: 6748. ج8- ص19.

إليهما محمود في ذاته، ولكن لما كان الانتساب إليهما هنا على وجه الانتصار بهما، والتعصب لهما أنكر ذلك لأنه من فعل أهل الجاهلية[1].

ويدخل في دعوى الجاهلية، كل دعوى خارجة عن دعوة الإسلام والقرآن، من نسب أو بلد أو تعصب لمذهب أو طريقة، أو رفع شعارات الجاهلية كالافتخار بالإقليمية، أو الوطنية، أو التعلق بالحسب، أو التعلق بآثار الجاهلية[2]. ويعيد التاريخ نفسه، ويحسد الكفار المسلمين على تجمعهم ووحدتهم وتآلفهم، ويقف التآلف هذا عقبة في وجه الاستعمار في العصر الحديث، ففكر أحفاد شاس بن قيس، كما فكر في الإيقاع بين المسلمين، ونشر دعوى الجاهلية؛ لتسهل السيطرة وليهون الاستيلاء.

أقيمت الجامعة الإسلامية في أواخر الدولة العثمانية على أساس إعادة الوحدة للأمة، ونشر ثقافة المقاومة للمستعمر[3]، فما كان من دول الاستكبار يرأسهم يهود، إلا أن أثاروا النعرات الإقليمية في أوساط الشعب الإسلامي الواحد، وكان في الأمة أمثال أبي رغال[4] الذين يصنعون من أنفسهم جسراً لعبور الأجنبي الدخيل إلى حصن الأمة، فنعقوا بما نعقت به السياسة البريطانية (فرق تسد)، وسبحوا بحمد النعرات القبلية، فأثار المستعمر النعرات الضيقة في البلاد الإسلامية. فأثار في المصريين الفرعونية، وفي العراق الآشورية، وفي فلسطين الكنعانية، وكان هذا في البداية على مستوى الدولة الإسلامية الأم، ثم لما كان ذلك للمستعمر من خلال الأبواق الناعقة بلغته وفكره، مقلدة له في هذه النعرات، راح ينشر فكر العصبية والقبيلة النتنة على مستوى الدويلة نفسها، فأخذ ينشر ثقافة مدني وفلاح، وقروي وحضري، وفي بلادنا ثقافة لاجئ وغير

---

[1] ابن تيمية. **اقتضاء الصراط المستقيم**. ص71.

[2] انظر: ابن تيمية، تقي الدين أبا العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني. **السياسة الشرعية**. ط1. المملكة العربية السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. 1418هـ. ص113. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الجوزية. **زاد المعاد في هدي خير العباد**. تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط. ط14. بيروت – الكويت: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية. 1407 هـ– 1986م. ج2– ص471.

[3] السيد، عزمي طه. **الثقافة الإسلامية**. ط2. جامعة القدس المفتوحة. 2007م. ص453–454.

[4] أبو رغال: رجل من نجد كان دليلاً لأبرهة الحبشي على البيت الحرام لهدمه، فلما وصل مع أبرهة إلى موضع يسمى المغمس مات أبو رغال، فصارت العرب ترجم قبره. انظر: الطبري، محمد بن جرير أبا جعفر. **تاريخ الأمم والرسل والملوك**. ط12. بيروت: دار الكتب العلمية. 1407هـ. ج1– ص441.

لاجئ. وهكذا كان للقبيلة وتعظيمها بالآباء مكان في نفوس المقلدين الناعقين بما نعقت به الصهيونية والصليبية.

ونشر الاستعمار كذلك، العصبية القبلية، والعنصرية البغيضة، باسم القومية العربية[1]، وذلك من أجل فصل العرب عن جسمهم الأم دولة الإسلام التي كانت متمثلة في الدولة العثمانية.

ولقد جند الاستعمار الصليبي وأعداء الإسلام، جنوداً أذكياء لنشر الفكر القومي كبديل عن رابطة الأخوة الإسلامية، وعلى رأسهم ناصيف اليازجي[2]، وبطرس البستاني[3]، وكانا عميلين نصرانيين للبعثة التبشيرية الأمريكية. وأقيمت الجامعات والمدارس الصليبية، وأنشئت الجامعة الأمريكية في كثير من بلاد العرب، حتى إن الجامعة العربية كانت بوقاً كبيراً من أبواق القومية.

والقومية العربية فكرة صليبية حاقدة، تهدف إلى ما هدف إليه شاس بن قيس من تفتيت الأمة وضياعها وتفرقها. يقول فيليب حتي النصراني: "إن القومية الحديثة، إنما هي بضاعة غربية استوردها العالم، بما فيه الشرق العربي، من أوروبا الغربية"[4].

وهكذا نجد الثمار الخبيثة التي حذرت منها آيات آل عمران[5] من تفرق الأمة، وضرب بعضهم رقاب بعض، والخلافات الحدودية والسياسية وغيرها، موجودة اليوم. ومن بلاغة الآية وإعجازها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ

---

[1] القومية العربية: حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين . وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا. مقال على النت بعنوان: **القومية العربية**. على الموقع الإلكتروني: http://www.khayma.com/kshf/m/ko100.htm

[2] هو ناصيف بن عبدالله بن جنبلاط اليازجي، ولد عام 1800م في قرية كفر شيما في لبنان. تلقى علومه الأولية على يد أبيه، وأنهاها على يد راهب ماروني، وكانت له مطالعاته الكثيرة. عمل مدرساً في الجامعة الأمريكية في سورية. واتصل بالمستشرقين من كل مكان. وكان من محركي القومية العربية. توفي عام 1871م. انظر: مقال على النت بعنوان: رجال الشرق– ناصيف اليازجي. على الموقع الإلكتروني:
www.asharkalarabi.org.uk/center/rijah-n-y.htm

[3] ولد في قرية الدُّبِّيَّة في لبنان عام 1819م. تعلم عدة لغات إلى جانب الفلسفة واللاهوت والشرع الكنسي. عمل مترجماً للقنصلية الأمريكية في بيروت. من أشهر مؤلفاته: معجم محيط المحيط. توفي عام 1883م. انظر: مقال على النت بعنوان: بطرس البستاني. على الموقع الإلكتروني: بطرس_ البستاني/ar.wikipedia.org/wiki

[4] حتي، فيليب. **العرب تاريخ موجز**. ط4. بيروت: دار العلم للملايين. ص275.

[5] [100– 105].

إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: 100]، أنها حذرت من طاعة أهل الكتاب- اليهود والنصارى- جميعاً، ولم تذكر اليهود فقط الذين كانوا سبباً في نزول الآية؛ وذلك لعلم الله تعالى أن أمر الدس والتفريق سيتكرر، لكن على يد النصارى هذه المرة، وإن كانت اليد اليهودية الأثيمة لها شأن في ذلك.

ثالثاً: التبرج

ومن الأخلاق التي انتشرت في الجاهلية ونهى القرآن عن التشبه بها أو مقارفتها، خلق التبرج، حيث يقول المولى عز وجل: ﴿ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ ﴾ [الأحزاب:33].

وتبرج الجاهلية، كان بخروج المرأة تمشي بين يدي الرجال، مع تكسر وتبختر وتغنج، أو أنها تلقي الخمار على رأسها، ولا تشده، فيواري قلائدها وقُرْطها[1] وعنقها، ويبدو ذلك كله منها، مما يستدعي به شهوة الرجل[2].

فجاء القرآن الكريم ناشراً العفة والطهر في المجتمع، بنهيه عن التشبه بالكافرات الفاجرات، وألا يتبرجن مثل تبرجهن. ولئن كان النهي في الآية لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، إلا أنه يعم المسلمات جميعاً.

يقول الشوكاني: "ولا تبرجن أيها المسلمات بعد إسلامكن تبرجاً مثل تبرج أهل الجاهلية التي كنتن عليها، وكان عليها من قبلكن، أي لا تحدثن بأفعالكن وأقوالكن جاهلية تشابه الجاهلية التي كانت من قبل"[3].

ولئن نهت الآية عن تبرج مثل تبرج الجاهلية الأولى، إلا أن الجاهلية تتكرر، ولا تختص بفترة زمنية معينة، بل هي حالة اجتماعية معينة، لها تصورات معينة للحياة، ويمكن أن توجد هذه الجاهلية في أي مكان وفي أي زمان، فيكون دليلاً على الجاهلية حيث كان[4].

---

[1] القُرْط: نوع من حلي الأذن. ابن منظور. **لسان العرب**. ج7- ص374.

[2] انظر: الزمخشري. **الكشاف**. ج3- ص546. ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج3- ص423. البيضاوي. **أنوار التأويل**. ج4- ص373. الشوكاني. **فتح القدير**. ج4- ص278.

[3] المصدر السابق. ج4- ص278.

[4] انظر: ابن تيمية. **اقتضاء الصراط المستقيم**. ص76.

لقد حرر الكفر–اليوم– المرأة على طريقته الشيطانية، حينما جعل تحللها من لباس الباطن– لباس التقوى– أولاً، ثم من لباس الظاهر– لباس الحشمة والوقار– ثانياً، فنشره الغربي في شارعه ومتجره وجامعته، بل وأنشأ دوراً خاصة للعري والبغاء، وعَزّ عليه– حسداً– أن يرى المسلمات محتشمات عفيفات فصنع على عينه من شراذم الأمة، من يتطبع بطبعه، ويصنع رذيلته، وينقل فكرته إلى ديار المسلمين، تقليداً للكافرات الفاجرات. فانتشرت فكرة تبرج الجاهلية الأولى في ديارنا، حتى غدا في جامعاتنا، ومدارسنا، وقرانا ومدننا، وفي السفر والحضر، وفي الحل والترحال، وهذا مصاحب بالزينة، والجلسات المشبوهة، خاصة في الجامعات. فأصبح هذا الجانب من التبرج لا تختلف فيه بشيء كثير عن جاهلية الغرب الذي صدر لنا هذا السخم[1] فاستقبله كثير من جاهلات الأمة ظناً منهن أنه الرقي والفخار. فكانت جاهلية اليوم أشد من جاهلية الأمس في تبرجها هذا.

يقول سيد قطب: "ولقد كانت المرأة في الجاهلية تتبرج، ولكن جميع الصور التي تروى عن تبرج الجاهلية الأولى تبدو ساذجة أو محتشمة حين تقاس إلى تبرج أيامنا هذه في جاهليتنا الحاضرة"[2]. فإذا كان قول سيد قطب هذا قبل خمس وأربعين سنة تقريباً، فماذا تراه يقول لو رأى متبرجات اليوم!.

[1] السخم: السواد. انظر: ابن منظور. **لسان العرب**. ج12– ص282.

[2] قطب. **في ظلال القرآن**. ج5– ص2860.

الفصل الثالث

آثار التقليد والتبعية

المبحث الأول: آثار التقليد في الدنيا

المبحث الثاني: آثار التقليد في الآخرة

الفصل الثالث

آثار التقليد والتبعية

لما كان لكل عمل نتيجة، ولما كانت الأسباب مرتبطة بالمسببات، كان لما يصدر عن الإنسان المكلف من أعمال، نتائج وآثار. والمرء حينما يقوم بأعمال متشبهاً فيها بغيره، فإنه ينجم عن ذلك نتائج وآثار، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وذلك حسب المتبوع وأعماله المقلَّدة.

والإنسان المكلف يتحمل تبعة تقليده للآخرين، والآثار الناتجة عن ذلك، سواءٌ أكان ذلك في الدنيا أم في الآخرة. ومن هنا سيكون هذا الفصل ضاماً للمبحثين الآتيين:

المبحث الأول: آثار التقليد في الدنيا

المبحث الثاني: آثار التقليد في الآخرة

المبحث الأول

آثار التقليد في الدنيا

الصاحب مع صاحبه مؤثر أو متأثر، وكذلك الجماعات والدول، ترى فيها التابع والمتبوع. والأعمال المتبعة فيها خير وفيها شر، والخير ينتج عنه الخير، والشر لا ينتج عنه إلا الشر، والتقليد لأعمال السوء لا ينتج عنه إلا السوء. ففي الدنيا تنتشر التفرقة، ويتخلى الله تعالى عن هذا الصنف من الناس فيخذلهم ولا ينصرهم، وتكون الموالاة السيئة لأعداء الله تعالى، حيث الفساد والردة. ومن هنا يندرج تحت هذا المبحث المطالب الآتية:

المطلب الأول: التفرق والميل عن صراط الله المستقيم

المطلب الثاني: الخذلان وفقدان النصير

المطلب الثالث: ضرر موالاة الكافرين

المطلب الأول: التفرق والميل عن سبيل الله تعالى

يقول المولى عز وجل: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: 153]. جعل الله تعالى البشر فريقين: فريقاً يدعو إلى الجنة، وفريقاً يدعو إلى السعير. والذي يدعو إلى الجنة له طريق واحد لا ثاني له يتلقاه من ربه عز وجل، فيلتزم به ويدعو إليه، أما الذين يدعون إلى نار جهنم فإنهم كثيرون، يتلقون الأوامر والنواهي من جهات شتى، فيدعو كل منهم حسب مصلحته وهواه إلى بدعته، ومن هنا فقد كانت لهم سبل شتى يدعون إليها أتباعهم، فتكون نتيجتها التفرق والاختلاف والشتات والزيغ والضلال.

وآية الأنعام السابقة كانت خاتمة للوصايا العشر[1] التي وردت في آيتين سابقتين لهذه الآية. والذي وصى به ربنا، في هاتين الآيتين[2] هو صراطه ودينه الذي ارتضاه لعباده، وهو طريق قويم لا اعوجاج فيه، علينا العمل به، وأن نجعله لأنفسنا منهاجاً نسلكه، وألا نركب منهاج غيرنا

---

[1] وهي: عدم الإشراك بالله شيئاً، والإحسان إلى الوالدين، وتحريم قتل الأولاد خشية الفقر، والابتعاد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتحريم قتل النفس إلا بالحق، والنهي عن تناول مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، والوفاء بالكيل والميزان، والعدل، والوفاء بالعهد، واتباع الصراط المستقيم.

[2] [الأنعام: 151-152].

أو نبغي ديناً غيره، من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان، ولئن سلكنا هذه السبل فالنتيجة التفرق بنا عن سبيله أي تشتت بنا عن طريقه ودينه الذي شرعه لنا وارتضاه وهو الإسلام الذي أمر به الأمم قبلكم[1].

والسبل قد تكون غير المِلَل، فقد تكون الأهواء والبدع المؤدية إلى الضلالات المفرقة. فالله سبحانه وصى باتباع سبيله، وحرم على عباده الصالحين البدع والأهواء والضلالات، والتعمق في الجدل، والخوض في الكلام، فإن هذا يفرق ويميل عن سبيله، ويعرض صاحبه إلى الزلل، ويوقعه في الضلالات، ويتفرق بنا عن طريقه الذي ارتضى[2].

يقول ابن كثير: "إنما وحّد سبيله لأن الحق واحد، ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها"[3].

لقد أنزل الله تعالى أحكاماً شرعية وصى بها عباده المتقين، وجعلها منهجه القويم، ونهى عن كل طريق مخالفة لهذه الطريق، وعن كل منهج يخالف هذا المنهج، إذ إن اتباع هذه المناهج المخالفة لدين الله ضالة مضلة، وعند اتباع كل منهج منها من قبل مجموعة من البشر، فإنه يسلك به ذات اليمين وذات الشمال، فتنتشر البدع وتكثر الأهواء والتشريعات والدساتير وهذا مفرق مشتت لجماعة البشرية، فتتبع كل فرقة ما يمليه عليها شياطين الإنس والجن من بدع سيئة وضلالات منحرفة فتصبح أمماً وأحزاباً. وهذا التشرذم والتفرق نتيجة طبيعية لكثرة الطرق والسبل المتبعة.

والأمر واضح وجلي في بشرية اليوم، فكم من ملة في العالم متبعة، وكم من جماعة مضادّة لجماعة، وكم من دولة تمكر بأخرى، فتشرذمت البشرية وانقسمت أجزاء كثيرة، وما ذلك إلا أثر من آثار اتباع الأديان المخالفة لدين الله، وأثر من آثار اتباع الأهواء المضادة لهوى النبي صلى

---

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج12- ص228-229.

[2] انظر: ابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب**. ج8- ص518-519. ابن عطية. **المحرر الوجيز**. ج2- ص364. البغوي. **معالم التنزيل**. ج3- ص205.

[3] ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج2- ص170 وانظر: القنوجي، صديق بن حسن بن علي: **يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار**. تحقيق: أحمد حجازي السقا. ط1. القاهرة: مكتبة عاطف – دار الأنصار. 1398هـ – 1987م. ص202. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية: **بدائع الفوائد**. بيروت – لبنان: دار الكتاب العربي. ج2- ص196- 197.

الله عليه وسلم وسنته وشريعته الواحدة. قال الشاطبي: "فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه وهو السنة، والسبل هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم وهم أهل البدع"[1].

والذي يأتي بشرع يخالف فيه شرع الله تعالى فإنه مبتدع، والبدعة تتضمن تفريق الأمة الإسلامية إذ إنه عندما يفتح باب البدع يصير الكثير مبتدعاً، ويدّعي أنه على الحق وغيره ضال، وبهذا يتفرقون ويصبحون شيعاً وأحزاباً[2].

وهذا حاصل اليوم، فعلى مستوى الأفكار والرؤى، يوجد في الأمة من ابتدع فكرة العلمانية متبعاً فيها الغرب العلماني، وفي الأمة من اتبع فكرة الديمقراطية المستوردة، وفي الأمة من اتبع بدعة الشيوعية الملحدة، وكل منهم ينظر لنفسه أنه على الحق والقادر على إعادة حقوق الأمة المسلوبة، وتحرير مقدساتها المنكوبة، ويذم الآخرين؛ فتفرقوا.

وأهل الحق وإن اختلفوا في أمر اجتهادي فسرعان ما يحتكمون للكتاب والسنة فيلتزمون، وكل يخضع للحق، فتبقى صفة الوحدة والألفة شعارهم، بينما أهل الضلال كل واحد منهم يركب رأسه، ويريد تعظيم نفسه، ولا يريد الحق، فتجدهم دائماً في اختلاف وصراع، لتشعب مناهجهم وتنوعها، وكل حين يخرج مذهب جديد[3].

ومنهج الله تعالى واحد، وكتابه واحد، والذين يتبعونه من الأمة يكونون موحدين، أما غير منهج الله فإنها مناهج مفرقة مشتتة وفيها الاختلاف الكثير، وما دام الأمر كذلك فإن نتيجة متبعيها التفرق والتشتت والميل عن سواء السبيل. يقول الله عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82]. وقال

---

[1] الشاطبي، أبو إسحاق. **الاعتصام**. مصر: المكتبة التجارية الكبرى. ج1-ص57.

[2] انظر: العثيمين، محمد بن صالح. **شرح رياض الصالحين**. ط1. جمهورية مصر العربية- الإسكندرية: دار البصيرة. ج1- ص643.

[3] انظر: ابن فوزان، صالح. **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**. ط3. مؤسسة الرسالة. 1423هـ-2002م. ج1- ص41.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم"[1]. فاختلاف القلوب مسبب للتباغض والتناحر والتفرق.

والمسلم كل يوم يدعو في صلاته ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة: 6-7]. بأن يهديه الله صراطه المستقيم ويجنبه طريق اليهود والنصارى. فاليهود عندما انحرفوا عن صراط الله المستقيم واقترفوا نواهيه، واجتنبوا أوامره فلم يفعلوها، كانت النتيجة لذلك استحقاقهم الغضب من الله تعالى، وكذلك النصارى حينما حرّفوا دين الله من عند أنفسهم، ولم يلتزموا الدين كما أنزل، كانت النتيجة الضلال. وفي هذا تنبيه إلى أن من يحيد عن السبيل القويم الذي لا اعوجاج به، فإنه يلحقه ما لحق اليهود من غضب، وما لحق النصارى من ضلال.

المطلب الثاني: الخذلان وفقدان النصير

بيّن الله سبحانه للبشر طريق الخير وأمرهم بها، وبيّن لهم طريق الشر وحذرهم منها. ومن خالف ذلك كان خصماً لله تعالى يخذله ولا ينصره. وكذلك من اتبع من خالف أمر الله تعالى وفعل نهيه فإن الله خاذله. يقول المولى عز وجل:﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا ﴾ [الجاثية: 18-19].

"قال الكلبي: إن رؤساء قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة: ارجع إلى ملة آبائك، فهم كانوا أفضل منك وأسن، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[2].

سبق هاتين الآيتين، آيتان تتحدثان عن بني إسرائيل[3]، واختلافهم من بعد ما جاءهم البينات، وبعدهما خاطب الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنّا جعلناك أنت وأمتك على شريعة، وعليكم

---

[1] أبو داود. **سنن أبي داود**. كتاب الصلاة – باب من يستحب أن يلي الإمام في الصف والكراهية التأخر. رقم الحديث: 675. ج1- ص253. قال الألباني: صحيح. انظر: الألباني، محمد ناصر الدين. **صحيح أبي داود**. ط1. الكويت: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع. 1423هـ- 2002م. رقم الحديث: 679. ج3- ص254.

[2] الرازي. **مفاتيح الغيب**. ج27- ص681. وانظر: الشربيني، محمد بن أحمد، (ت: 977هـ). **تفسير السراج المنير**. بيروت: دار الكتب العلمية. ج3- ص704.

[3] انظر: سورة الجاثية: 17- 18.

اتباعها، وإياكم أن تتبعوا أهواء من لا يعلم؛ لأن ذلك يفضي إلى عدم إغنائهم عنكم شيئاً من عذاب الله، إن استحقته الأمة باتباع أهواء الذين لا يعلمون.

لقد جعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم على طريقة وسنة ومنهاج، وأمره باتباعها والعمل بها، ونهاه عن اتباع دعوة الجاهلين بالله الذين لا يعرفون الحق من الباطل؛ لأن في اتباع أهواء الجاهلين، ومخالفة شريعة الله عقاب وعذاب، وعندها لن يغني المتبوعون عن أتباعهم شيئاً، وسينالهم العقاب من الله تعالى[1].

يحذر الله تعالى الأمة أن تسلك مسلك بني إسرائيل، وأن تقصد منهجهم، ونهى عن اتباع مراد الكافرين وأديانهم الخبيثة، ولئن حصل ذلك صار من فعله مستحقاً العذاب، وعندها لن يكون له ولي ينفعه في إيصال الثواب، وإزالة العقاب. وولاية الظالمين- الأتباع والمتبوعين- لبعضهم بعضاً لا تزيدهم إلا خساراً ودماراً وهلاكاً [2].

بين الله تعالى للمؤمنين حقيقة اليهود والنصارى، وأنهم لا يرضون منا إلا اتباع أهوائهم التي صنعوا من خلالها ملالاً، فاليهود يريدون منا اتباع ملتهم اليهودية، والنصارى لا يرضون منا إلا اتباع ملتهم النصرانية، فكان التحذير المصاحب للتهديد: بأن اتباع ملتهم، فيه فقدان نصرة الله تعالى وولايته، وسيخذل من اتبعهم، فقال سبحانه: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: 120]. فلئن اتبعت أهواء اليهود والنصارى، فيما يرضيهم عنك، بعد الذي جاءك من البيان، فليس لك من الله من ولي يلي أمرك ويقوم بك، ولا نصير ينصرك ويمنعك من عقابه[3].

يخاطب الله تعالى كذلك نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، بأنه أنزل عليه حكماً عربياً عليه أن يتبعه، وألا يتبع أهواء الأحزاب الذين ينكرون بعض هذا القرآن، فإنه إن فعل ذلك فليس له

---

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج22- ص70.

[2] انظر: ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج4- ص127. ابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب**. ج17-ص357.

[3] انظر: الخازن. **لباب التأويل في معاني التنزيل**. ج1- ص102.

من الله من ولي يلي أمره، ولا واق يقيه ويحميه من عذاب الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد: 37].

والملاحظ أن الخطاب في آيات البقرة: 120، والرعد:37، والجاثية:18 السابقة موجه للرسول صلى الله عليه وسلم، بأنك إن اتبعت أهواء الذين لا يعلمون، وأهواء أهل الكتاب- وحاشاه أن يفعل ذلك- فإن لك عذاباً، لا يدفعه عنك أحد، وليس لك ولي يلي أمرك. والخطاب هذا خطاب لأمته. فإذا كان الأمر كذلك مع سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، فكيف بمن دونه من الناس، وفي هذا تحذير شديد، ووعيد كبير لمن اتبع غير سبيل الله بأنه سيفقد الولي والنصير.

ورفع الله تعالى الولاية والنصرة عن الذين يركنون إلى الذين ظلموا، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: 113]. والركون إلى الذين ظلموا يعني: محبتهم والميل بالقلب إليهم، ومداهنتهم والرضى بأعمالهم، والدنو منهم، ويعني كذلك طاعتهم، والاعتماد عليهم في قضاء المصالح[1].

يقول الزمخشري: "والنهي متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم، ومجالستهم، وزيارتهم، ومداهنتهم، والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيي بزيهم، ومد العين إلى زهرتهم، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم"[2].

والذي يركن إلى الذين ظلموا بشيء من ذلك، فإنه يفقد الولاية والنصرة من دون الله تعالى.

يقول الطبري: "ولا تميلوا، أيها الناس، إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم، (فتمسكم النار)، بفعلكم ذلك وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم وولي

---

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج15- ص500. ابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب**. ج10- ص591. القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**. ج9- ص72. الماوردي. **النكت والعيون**. ج2- ص508.

[2] الزمخشري. **الكشاف**. ج2- ص408.

يليكم (ثم لا تنصرون)، يقول: فإنكم إن فعلتم ذلك لم ينصركم الله، بل يخليكم من نصرته ويسلط عليكم عدوكم"[1].

والأمة اليوم فقدت نصرة الله تعالى، وذلك لأنها رضيت أعمال الذين ظلموا، بل شابهت أعمالهم وفعلت فعلهم، فكانت جديرة بأن يتخلى ربها عنها ويتركها من ولايته ونصرته.

والله ينهى عباده الصالحين أن يميلوا إلى الذين ظلموا، وعن طاعتهم، أو الميل إليهم بالقلب، أو الاستعانة بهم، فإنه إن وقع ذلك، لم يكن لهم أعوان وأنصار يخلصونهم من عذاب الله، وليس لهم من دونه من ولي ينقذهم، لأنه وجب في حكمته تعذيبهم، وترك الإبقاء عليهم[2].

وإذا كان الميل اليسير إلى الذين ظلموا أي الذين وجد منهم الظلم، يفقد النصرة والمعونة والولاية من الله تعالى، فكيف بالميل كل الميل إلى الظالمين؟! بل كيف بالظالمين أنفسهم؟![3]. وإذا كان بمجرد الميل القلبي ترتفع النصرة ويكون الخذلان، فكيف – والحال اليوم– المخالطة والمشاورة، ومحبة الظالمين أكثر من أهل الإيمان وتبجيلهم وتقديرهم، بل وتعظيمهم! فهل يبقى بعد ذلك لنا من ولي من الله أو نصير؟!

ولقد ذكر الله تعالى في أكثر من آية تخلّيه عن نصرة الظالمين، فقال سبحانه: ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [البقرة: 270] [آل عمران: 192]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [الحج: 71]. ﴿ وَٱلظَّٰلِمُون مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [الشورى: 8]. وما دام أن الظالم ليس له من يشفع، أو ينصر، أو يحمي، فكذلك من اتبعه، وفعل فعله، أو رضي عمله، فإن الله لا يحابي أحداً، ويعامل الناس بالعدل، ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 49].

---

[1] الطبري. **جامع البيان**. ج15– ص500 . وانظر: الشوكاني. **فتح القدير**. ج2– ص531. قطب. **في ظلال القرآن**. ج4– ص1931–1932.

[2] انظر: ابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب**. ج10– ص591. ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج2– ص395–396. الزمخشري. **الكشاف**. ج2– ص408. الخازن. **لباب التأويل**. ج3– ص256.

[3] انظر: الزمخشري. **الكشاف**. ج2– ص408. البيضاوي. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. ج3– ص266.

إن من أهم أسباب تفشي الظلم في الأرض، وانتفاش الظالمين، وزيادة بطشهم وسطوتهم، هو ركون المظلومين إليهم، وخضوعهم لجورهم، فيزيد ذلك من نفوذ الظلمة واستبدادهم، حتى يكون المظلومون أدوات في أيدي الظلمة يحركونهم لتوسيع نفوذهم، وتنفيذ أوامرهم في ضرب الناس، ويبلغ العجز والهوان بالمظلومين إلى التسابق من أجل إرضاء الظلمة، فيتبعونهم في استجابة أمرهم، عندها تكون العقوبات الثلاث: فَقْد ولاية الله تعالى، وتخلف نصره، والنار. والمتأمل لحال المسلمين في هذا العصر يجد الركون إلى الظلمة المستكبرين من أهل الكتاب، والثقة بهم، والتسابق إلى إرضائهم، وتنفيذ أوامرهم، وهذا من أعظم أسباب الذل والخذلان، وتخلف نصر الله عن المسلمين، وتسلط أعدائنا علينا[1].

واليوم نرى المشاركة من أبناء جلدتنا لأعداء الله من اليهود والنصارى والكفرة والملاحدة، في مطاردة دعاة الإسلام، ومحاصرتهم، وسجنهم وتعذيبهم، بل والمشاركة تحت راية الكفر في تقتيل المسلمين وتدمير بلادهم. فهل بعد هذا تأتينا نصرة من الله؟! أنّى يكون ذلك؟! بل وكلهم الله إلى الذين ركنوا إليهم من الظلمة فما زادوهم إلا ذلاً وصغاراً وبعداً عن الله تعالى.

المطلب الثالث: ضرر موالاة الكافرين

المؤمن ولي للمؤمن، ويحبه، ويأمره بالخير، وينهاه عن الشر، ويعادي من عاداه، ويوالي من والاه، وينصره، فالذين آمنوا بعضهم أولياء بعض. وعندما يكون الأمر كذلك؛ فإن الخير يعم، والصلاح ينتشر، والفساد يضمحل. وهكذا أُمرنا من الله تعالى أن نكون. إلا أن ضعاف الإيمان من المسلمين حينما يوالون أعداء الله، وينصرونهم ويعينونهم، ويطلعونهم على أسرار المسلمين؛ فإنك تجد الفساد ينتشر، ويرتد قطاع من المسلمين عن دين الله تعالى، وهذا ما حذر الله تعالى منه في آيات كثيرة.

أولاً: الفساد

يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ

[1] انظر: الهاشمي، هاشم. مقال على النت بعنوان: **الركون إلى الظالمين**. على الموقع الإلكتروني: http://www. Mody. Net/vb/t125541.html.

يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ [الأنفال: 72-73]. فالآيتان فيهما المفاصلة بين المؤمنين والكافرين، فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض، والكافرون بعضهم أولياء بعض. و"الولاية هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام، والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً"[1].

يقول ابن كثير: "إن لم تجانبوا المشركين، وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمنين بالكافرين، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل "[2].

والمؤمنون إذا لم يوال بعضهم بعضاً نصرة ومحبة وولاءً، ويعادوا الكافرين بغضاً وخذلاناً لهم وحرباً عليهم؛ تكن فتنة عظيمة وهي الشرك وقوة الكفر، وفساد كبير بانتشار المعاصي وضعف الإسلام وأهله، ويختلط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر، وتعدم كثير من العبادات الهامة كالجهاد والحكم بما أنزل الله[3].

وموالاة الكفار ونصرتهم وطاعتهم وإعانتهم، كان من نتيجته علو المفسدين، وضعف أهل الدين، وصار أحسن الناس حالاً المقرب من السلطان الظالم، ومن نتيجته طغيان الجاهلية على الإسلام، وطغيان ألوهية العباد على ألوهية الله؛ ووقوع الناس عبيداً للعباد[4].

والمرء إذا أحب آخر، أحب عمله، وقلده فيه واتبعه، وانتقل ذلك إلى إكرام محبوبه، وتقديره واحترامه، فيخالطهم، وينتقل معهم، وحينها يكثر سوادهم وأعمالهم. فإذا كان مثل هذه الأعمال من مسلم لكافر، فهذا يعني الفتنة وانتشار الفساد، فإن المسلم الموالي للكافر يقلده في أعماله وأقواله، وينشر فكرته، ويسيء لدينه وأمته ووطنه، بجلب فساد الكافرين إلى ديار المسلمين. وهذا الفساد متنوع منه العقائدي والأخلاقي والاجتماعي والإداري والثقافي.

---

[1] القحطاني، محمد بن سعيد بن سالم. **الولاء والبراء في الإسلام**. دار الرشاد. 1402هـ. ص90.

[2] ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج2- ص286.

[3] انظر: البغوي. **معالم التنزيل**. ج3- ص380. الجزائري. **أيسر التفاسير**. ج2- ص334. السعدي. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. ج1- ص327.

[4] انظر: البقاعي. **نظم الدرر**. ج3- ص252-253. قطب. **في ظلال القران**. ج3- ص1559.

وحال المسلمين اليوم فيه من أنواع الفساد ما فيه، فعلى الصعيد الإداري التلكؤ في إيصال الحقوق لأصحابها. وعلى الصعيد السياسي، لسنا إلا ذيلاً لأمريكا وللغرب الفاسد، ينعق ساسات الأمة بما تنعق به أمريكا وأوروبا. وعلى المستوى الاجتماعي التناحر والتشاحن والتباغض والتدابر. وعلى المستوى الأخلاقي، فسد الشباب، ووجدت الرذيلة، وحوربت الفضيلة. وعلى مستوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أصبح المعروف منكراً مطارداً، والمنكر محترماً مبجلاً. وعلى مستوى مجاهدة الكفار، أصبح الجهاد خِطأً كبيراً، والتعاون مع الأعداء حسنة محمودة. وعلى المستوى الإعلامي، انتشرت القنوات الهابطة الناشرة للرذيلة، وكذلك مجالات الإنترنت التي لا حد لها.

وبهذا انتشرت المعاصي، وفتن الناس عن دينهم، وأصبح التشكيك في المسلّمات العقائدية والفكرية، وزاد في نشر ذلك، بعض المثقفين الذين يسبحون بحمد أسيادهم، وأسيادهم يسبحون بحمد الغرب النصراني، والشرق الإلحادي، حرصاً على مصالحهم الذاتية.

وكلمتا (فتنة وفساد) في الآية السابقة نكرة، وذلك لتعم كل فتنة وكل فساد، ووصْف هذا الفساد بالكبير يظهر ضخامته، فموالاة الكافرين لا يمكن أن ينتج عنها إلا الشر والسوء، ولا يمكن أن تأتي بخير أبداً.

ونهى الله عز وجل المؤمنين عن اتخاذ بطانة من أهل الكفر، لما في ذلك من ضياع وتضييع للعباد والبلاد. يقول الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: 118]. "وبطانة الرجل هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخل أمره"[1].

وسميت بطانة لأنها تلي البطن والبدن[2]. واختيار العدو الكافر بطانة، قبيح وخطير، إذ إن اتخاذ المسؤولين بطانة من غير المسلمين، يطلعونهم على أسرارها، وترفع هذه الأسرار إلى

[1] ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج1- ص352.

[2] انظر: ابن منظور. **لسان العرب**. ج13- ص52.

الكفرة من اليهود والصليبيين، فإن ذلك سينتج خطراً جسمياً من حرب ضروس ضد أبناء المسلمين، سواءٌ الحرب الفكرية والثقافية– وهي الأخطر– أم الحرب العسكرية [1].

واليوم، لم يتوقف فساد المسؤولين عند حدود إطلاع اليهود والنصارى على أسرار المسلمين من خلال التنسيق والتعاون معهم، بل تعداه إلى مشاركة الأعداء في قتال المسلمين، ومطاردة المجاهدين، ومحاربة الجهاد ووسائله بكل ما يستطيعون، فكانت الفتنة بتخويف العامة من المساجد وطريقها وأهلها، وتحذيرهم بالسجن أو المساءلة أو عدم الحصول على وظيفة، وفي المقابل فتح هؤلاء المسؤولون الطريق أمام الجيل للذهاب مع السوء وأهله، لأن ذلك طريق آمن، لا مساءلة فيه، ولا محاكمة. فهل هناك من فساد أخطر من هذا وأشد؟! وهل هناك من فتنة أشد من هذه؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والحق إن اتبع أهواء الكفرة الفجرة، كانت النتيجة فساد السماوات والأرض. يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ﴾ [المؤمنون: 71]. يقول الشنقيطي: "لو أجابهم الله إلى تشريع ما أحبوا تشريعه، وإرسال من اقترحوا إرساله، بأن جعل أمر التشريع وإرسال الرسل ونحو ذلك تابعاً لأهوائهم الفاسدة؛ لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن، لأن أهواءهم الفاسدة وشهواتهم الباطلة لا يمكن أن تقوم عليها السماء والأرض، وذلك لفساد أهوائهم واختلافها، فالأهواء الفاسدة المختلفة لا يمكن أن يقوم عليها نظام السماء والأرض ومن فيهن بل لو كانت هي المتَّبَعة لفسد الجميع"[2].

ثانياً: الردة

والولاء للكافرين يثمر الردة والكفر، ويصبح من والاهم منهم، ويتبرأ الله منه. يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة 51].

---

[1] انظر: الخالدي، صلاح. مقال على النت بعنوان: **لا تتخذوا بطانة من دونكم**. على الموقع الإلكتروني: aljazeeratalk. http://www.Net/forum/showthread. Php?t=14338.

[2] الشنقيطي. **أضواء البيان**. ج5– ص342.

وسبب نزولها، أن عبادة بن الصامت قال: "لما حاربت بنو قينقاع تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وكان أحد بني عوف بن الخزرج وله من حلفهم مثل الذي له من عبد الله بن أبي، فحالفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ من حلف الكفار وولايتهم. قال: ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت القصة في المائدة: (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآية"[1]. يقول الطبري: "إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعاً أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارًا وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرَهم، وأخبر أنه من اتخذهم نصيرًا وحليفًا ووليًّا من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزُّب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان"[2].

الآية تعني: لا تعتمدوا على الاستنصار باليهود والنصارى، ولا تتوددوا لهم، ولا تصافوهم مصافاة الأحباب، ومن يتولهم من المؤمنين، فإنه من جملتهم وحكمه حكمهم، ويكون مثلهم[3].

يقول ابن تيمية: "فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة، فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟ فإن إفضاءها إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان ... فبين سبحانه وتعالى أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم لعدم ولايتهم، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم"[4] .

بين الله تعالى في آية المائدة التي تلي الآية السابقة، أن مرضى القلوب يسارعون في اليهود والنصارى طاعة ونصرة ومودة، فقال سبحانه: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

---

[1] السيوطي. **لباب النقول**. ص109.

[2] الطبري. **جامع البيان**. ج10- ص398.

[3] انظر: الرازي. **مفاتيح الغيب**. ج12- ص15. الآلوسي. **روح المعاني**. ج6- ص156- 157.

[4] ابن تيمية. **اقتضاء الصراط المستقيم**. ص221-222. وانظر: ابن حزم، أبا محمد علي أحمد بن سعيد الأندلسي الظاهري. **المحلى**. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ج11- ص138.

يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ ﴾ [المائدة: 52] فالله يخبر "عن حال متوليهم بما في قلبه من المرض المؤدي إلى فساد العقل والدين"[1].

إذا كانت آية المائدة هذه تحدثت عن أثر التبعية الداخلي وهو فساد الباطن (فساد العقل)، فإن آية [الأنفال: 73] التي سبق الحديث عنها، تناولت أثر التبعية الخارجي وهو فساد الظاهر والأعمال والأفعال والأقوال، وهذه نتيجة طبيعية أن يكون الظاهر مرآة للباطن، وكل إناء بما فيه ينضح.

تبرأ الله تعالى من كل من يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ ﴾ [آل عمران: 28]. يقول الطبري: "لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه (من يفعل ذلك فليس من الله في شيء)، يعني بذلك: فقد برىء من الله، وبرىء الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر"[2].

وجاء التحذير الشديد بخروج المسلم من إسلامه إذا هو والى من لا يرضى أن يحكم كتاب الله في الحياة، سواءٌ أكانت الموالاة بمودة القلب، أم بنصره، أم باستنصاره، وهو منقطع الصلة تماماً، وليس له في دين الله نصيب، فموالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان[3].

ومن أخطر ما يهدد العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر من موجة التقليد الأعمى للكفار، حركة الردة عن الإسلام بشتى أنواعها، سواءٌ من ناحية تطبيق أركان الإسلام الخمسة، أو من

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. **أحكام أهل الذمة**. تحقيق : يوسف أحمد البكري – شاكر توفيق العاروري. ط1. رمادى للنشر. دار ابن حزم: الدمام – بيروت. 1418هـ – 1997م. ج1– ص487.

[2] الطبري. **جامع البيان**. ج6– ص313.

[3] انظر: قطب. **في ظلال القرآن**. ج1– ص385–386. السعدي. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. ج1– ص127.

جهة الاعتقادات الإيمانية، كمن يعتقد أن الإسلام لا يصلح للتطبيق، وأن القوانين الغربية أنسب من شريعة الله تعالى[1].

ونادى رب العزة المؤمنين، محذراً إياهم طاعة أهل الكتاب وطاعة الكافرين، وفي نفس السورة، لما يؤدي ذلك إلى الردة بعد الإيمان، فقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَـٰنِكُمۡ كَـٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: 100] ويقول سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَـٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: 149].

ولقد زين الشيطان لأتباعه من أهل الكتاب وإخوانهم المنافقين الردة بعد ما تبين لهم الهدى، وكان ذلك نتيجة لطاعة بعض أوامر الكارهين مل أنزل الله، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ۙ ٱلشَّيۡطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴾ [محمد: 25-26]، إن اليهود والمنافقين قالوا سراً للمشركين: سنطيعكم في عداوة محمد والمظاهرة عليه.

فأهل الكتاب أنكروا نعت النبي صلى الله عليه وسلم، بعد ما تبين لهم، حسداً من عند أنفسهم؛ لأنه من العرب، وليس منهم، والمنافقون قعدوا عن القتال بعد ما علموه في القرآن. فقال الفريقان للمشركين الذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في مخالفة محمد والتظاهر على عداوته، والقعود عن الجهاد معه وتوهين أمره في السر. فردتهم كانت بسبب قيلهم هذا الذي هو خلاف لأمر الله تعالى، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم[2]. فإذا كانت الآية تعتبر أن طاعة الكافرين في بعض الأوامر ردة، فكيف بمن يطيعهم اليوم في كل شيء، ويعلن ولاءه وتقربه منهم!![3].

---

[1] انظر: العقل. **التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية**. ص147.

[2] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج22- ص181-182. القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**. ج16- ص165.

[3] انظر: العقل. **التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية**. ص145.

يقول سيد قطب: "والتعبير يرسم معنى رجوعهم عن الهدى بعد ما تبين لهم، في صورة حركة حسية، حركة الارتداد على الأدبار. ويكشف ما وراءها من وسوسة الشيطان وتزيينه وإغرائه. فإذا ظاهر هذه الحركة وباطنها مكشوفان مفهومان! وهم المنافقون الذين يتخفون ويتسترون! ثم يذكر السبب الذي جعل للشيطان عليهم هذا السلطان، وانتهى بهم إلى الارتداد على الأدبار بعد ما عرفوا الهدى وتبينوه: (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر)"[1].

والمنافقون اتبعوا ما أسخط الله، وكرهوا ما يرضيه عنهم من قتال الكافرين[2]. فقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [محمد: 28]. فاتباع نواهي الله، وعدم امتثال أمره، ينتج عن ذلك إحباط العمل وبطلانه. وإحباط العمل كان ثمرة سيئة للعمل السيء في موالاة المنافقين والكافرين، فقال سبحانه في معرض الحديث عن الولاء: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ۙ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: 53].

ولما كان الجزاء من جنس العمل، كان العقاب مناسباً لسببه، فاليهود اتبعوا ما أسخط الله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ ﴾ [محمد: 28]، فكانت النتيجة سخط الله عليهم، ﴿ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [المائدة:80].

ولقد ولّى العرب جيوشهم لإمرة الجاسوس لورانس البريطاني[3]، الذي سماه المغفلون من أبناء الجلدة لورانس العرب، فكان من نتيجة فساده: أن قام بتخطيط لقيام ما يسمى بالثورة العربية الكبرى ضد الخلافة العثمانية، فكانت النعرة الجاهلية: القومية العربية[4].

---

[1] قطب. **في ظلال القرآن**. ج6- ص3297.

[2] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج22- ص183.

[3] لورانس هو توماس إدوار لورانس، 1888- 1935م. درس التاريخ والآثار، والتحق في سلك الاستخبارات البريطانية العسكرية، ثم كُلف بالانضمام إلى القوات العربية المحاربة ضد الدولة العثمانية، وكان يتلقى تمويله من الصهاينة. انظر: الجراد، خلف. ***لورانس العرب...أم لورانس الصهيونية*؟!. صحيفة الثورة**. دمشق- سورية. 9. 6. 2008م.

[4] انظر: المصدر السابق.

واليوم يتكرر الأمر، حينما يتولي أمورنا نصارى ويهود لا يرقبون فينا إلّاً ولا ذمة، فها هو الذي يتولى إدارة شؤون المسلمين أناس من جلدتنا، هم للكفر أقرب منهم للإيمان، يتولون الذين كفروا، يستوردون لنا كل قبيح، وكذلك يتولى عدونا أمر تدريب الجيش، والنتيجة لذلك، ما ترى عينك، لا ما تسمع أذنك.

المبحث الثاني

آثار التقليد في الآخرة

الحياة لا تنتهي بالموت، ولو أنها كذلك لاستراح الكثير من الكبراء وضعفائهم، إذ يقول الله تعالى عن المتحسرين النادمين يوم القيامة: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر: 24] فهناك الحياة الآخرة، التي ليس بعدها حياة، ولا دار، إلا الجنة أو النار.

وفي هذه الدار تبلى السرائر، وتتكشف الحقائق، ويذهب الزيف والخداع، وإذا بالمقلَّد المتبوع يظهر على حقيقته، فهالته التي كانت في الدنيا زالت اليوم، وقوته التي صارع بها الحق في الدنيا ضعفت، وأتباعه المقلِّدون انكشف لهم العوار، وزال عنهم القناع الزائف، والكذب الخادع، فأخذتهم الحمية أمام هذا الموقف الرهيب، وانتفضوا على ذلتهم وصغارهم الذي كان في الدنيا، فجابهوا أسيادهم وواجهوهم- حيث لا تنفع المجابهة ولا المواجهة- بالشتائم والتلاعن والتباغض والتلاوم والتبرؤ والدعاء عليهم بمضاعفة العذاب، هكذا أخبرنا القرآن العظيم- الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه- بما سيحصل للأتباع والمتبوعين كنتيجة طبيعية لاجتماعهم على السوء. وهذه الآثار السيئة نتيجة للتقليد الأعمى، والاتباع المذموم، والتي يمتد أثرهما إلى يوم القيامة. وسيتناول الباحث هذه الآثار على النحو الآتي:

المطلب الأول: التلاعن بين الأتباع والمتبوعين

المطلب الثاني: التبرؤ والحسرة

المطلب الثالث: العذاب المهين والاستقبال المشين في جهنم

المطلب الرابع: التخاصم والتلاوم

المطلب الأول: التلاعن بين الأتباع والمتبوعين

فقد قال الله تعالى عن السبب الذي أوصل التابع والمتبوع إلى التلاعن يوم القيامة:

﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾ [الأعراف: 38-39]. فسبب اللعن بين أهل الكفر من الأمم، أن ما كانوا عليه من الدين في الحياة الدنيا، بدا لهم أنه ضلال وباطل، فلما عاينوا بطلانه كرهوه- لأن النفوس تكره الباطل والضلال بعد تبينه- فيزدادون كراهية لدينهم الذي كانوا متبعين له في الدنيا، فلما أدخلوا النار بذلك السبب، ورأوا أمماً أمامهم في النار، لعنوهم لكراهية دينهم ومن اتبعوه. ودينهم المتبع كان الشرك والافتراء على الله والتكذيب بآيات الله، وعدم طاعة الله ورسوله، الذي زينه المتبوعون للتابعين[1].

وكل أمة تلعن أختها في الدين والمِلّة. فيلعن اليهود اليهود، والنصارى النصارى، والمشركون المشركين، والأتباع القادة، قائلين لهم: أنتم ألقيتمونا هذا الملقى حين أطعناكم، وحينما أضللتمونا في الدنيا فاتبعناكم[2]. فأصبحت الصلة بين الأخلاء تقوم على التشاتم والتلاعن، إذ تلعن الأمة اللاحقة الأمة التي سبقتها في الدخول إلى النار، فترد السابقة بالمثل[3].

---

[1] انظر: ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. ج8- ص120. الجزائري. **أيسر التفاسير**. ج2- ص172.

[2] انظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت: 597هـ). **زاد المسير في علم التفسير**. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي. 1404هـ. ج3- ص194. البقاعي. **نظم الدرر**. ج3-ص32. قطب. **في ظلال القرآن**. ج3- ص1289- 1290.

[3] انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح. **الأتباع والمتبوعون في القرآن**. ط1. عمان: دار المنار للنشر والتوزيع. 1417هـ- 1996م. ص70-71.

وبين الله تعالى التلاعن بين المتوادين على عبادة الأصنام، فقال سبحانه﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: 25]. فهم تحابوا على عبادة الأوثان، وتوادوا على خدمتها في الدنيا، وهذا الأمر يحصّل لهم مودة في دار الدنيا فقط. ثم هي منقطعة عنهم يوم القيامة، وإذا بهم يلعن كل غوي صاحبه الذي أغواه، وتنقلب المودة بغضة ولعناً [1].

المطلب الثاني: التبرؤ والحسرة

ومن الثمار الخبيثة للتقليد والتبعية الهوجاء: التبرؤ، حيث يتبرأ المتبوعون من الأتباع، والحسرة على ما فرطوا في جنب الله تعالى.

فعن تبرؤ المتبوعين من أتباعهم، يقول الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: 165- 167]. يقول الطبري: "إن الله تعالى ذكره أخبر أن المتَّبَعين على الشرك بالله، يتبرأون من أتباعهم حين يعاينون عذاب الله، ولم يخصص بذلك منهم بعضاً دون بعض، بل عم جميعهم. فداخل في ذلك

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج20- ص24- 25. ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج3- ص359. قطب. **في ظلال القرآن**. ج5- ص2732.

كل متبوع على الكفر بالله والضلال، أنه يتبرأ من أتباعه الذين كانوا يتبعونه على الضلال في الدنيا، إذا عاينوا عذاب الله في الآخرة"[1].

عندما تنقطع الأسباب التي كانت بينهم في الدنيا، وتصير مودتهم عداوة، وتنقطع الأواصر، وتتمزق علائق الدنيا، حينها يتبرأ أخلاء السوء من بعضهم. إنه مشهد مؤثر: مشهد التبرؤ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين، بين المحبين والمحبوبين![2].

والأعمال التي قام بها الأتباع، تقليداً لمتبوعيهم ورؤسائهم دعاة الشرك والضلالة انقلبت حسرات عليهم وندامات، فإذا رأوا القبائح من الشرك والمعاصي عظمت حسراتهم، واشتدت كربتهم؛ لأنهم ما أخلصوا فيها لله تعالى، إنما كانت انتصاراً وموالاة لأعداء الله، وإيثاراً لمحبتهم على محبة الله سبحانه[3].

والتابعون إذا بدا لهم مالم يكونوا يحتسبون، من مخادعة المتبوعين لهم وأمانيّهم الزائفة التي كانت في الدنيا، وظهرت لهم حقيقة متبوعيهم ومقلَّديهم من السادة والكبراء، وعرفوا أنهم كانوا مضلَّلين مخدوعين، وعندما يأتيهم الرفض على أمنية الرجعة إلى الدنيا، ليردوا الجميل على متبوعيهم بالبراءة منهم، إذا كان ذلك كله؛ انقلبت أعمالهم حسرات وندامات وتقليباً للكفين على ما أنفقوا من أعمارهم وأموالهم في مواطن غير الإنفاق الذي يرضي ربنا عز وجل.

ويتجلى التبرؤ الأكبر، من قائد الغواية والضلالة الأكبر الشيطان، حينما يقف خطيباً على منبر من نار في أهلها، فأخبر سبحانه عن التبرؤ هذا فقال: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا

---

[1] الطبري. **جامع البيان**. ج3- ص288.

[2] انظر: قطب. **في ظلال القرآن**. ج1- ص154. الدويش، محمد بن عبد الله. **كيف تواجه الشهوة**. الرياض. 1411هـ. ص24.

[3] انظر: الزمخشري. **الكشاف**. ج1- ص238. الجزائري. **أيسر التفاسير**. ج1- ص143. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبا عبد الله. **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**. بيروت: دار الكتب العلمية. 1412هـ- 1992م. ص280. القحطاني. **الولاء والبراء**. ص110.

بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ ﴾ [إبراهيم: 22]. فالشيطان يجحد أن يكون شريكاً لله فيما أشركه أتباعه فيه من العبادة من قبل أي في الدنيا، ولم يكن له من سلطان وقوة على إجبارهم على الشرك، وما كان منه إلا أن دعاهم فقط للغواية فاستجابوا وتابعوه. فهو يتبرأ من جعل أتباعه له في الدنيا شريكاً لله، ومن طاعتهم إياه. وهذه الخطبة تزيدهم حزناً إلى حزنهم وحسرة إلى حسرتهم[1].

هنا مشهد مصور مؤثر، وحيّ متحرك، يصوَّر فيه الأتباع والمتبوعون يوم القيامة، يرينا الأتباع الضعفاء وهم يذوبون حسرة وندماً، ويرينا المتبوعين المستكبرين وهم يتبرؤون من أتباعهم. ويستمعون كذلك للخطبة الإبليسية، يتبرأ فيها إبليس من أتباعهم، ويلومهم ويوبخهم، ويحملهم مسؤولية ما جرى لهم من العذاب[2].

والشيطان يزين للإنسان المعصية، حتى إذا وقع فيها تركه وتبرأ منه، فبين الله تعالى أن اتباع الشيطان في المعصية أثمر التبرؤ والخلود في النار، فقال سبحانه: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الحشر: 16-17][3] فالشيطان يخذل الإنسان في كل حين، فهل من معتبر!.

ولك أن تتصور شدة الحسرة والندم، حينما تعلم أن القرآن العظيم شَخّص الحسرة والندم بالعض على اليدين، فقال سبحانه: ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ۝٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ۝٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ

---

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج16- ص560-561. ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج2- ص454. السعدي. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. ص424. أبو زهرة، محمد، (ت: 1974م). **زهرة التفاسير**. دار الفكر العربي. ج1- ص495.

[2] انظر: الخالدي. **الأتباع والمتبوعون في القرآن**. ص80.

[3] انظر: المدري، أمير بن محمد. **غزوة بدر الكبرى دروس وعبر**. ط1. اليمن- صنعاء: عالم الكتب- مكتبة خالد بن الوليد. ص61.

ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِي ﴾ [الفرقان: 27-29]. يقول الطبري: "ويوم يعض الظالم نفسُه، المشرك بربه، على يديه ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه، يقول: يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلاً يعني طريقاً إلى النجاة من عذاب الله"[1].

وفي آيات أخر، وبعد خصومة بين الأتباع والمتبوعين، يذكر لنا ربنا عز وجل إسرار الخصمين للندامة في صدورهم، فقال سبحانه: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ﴾ [سبأ:33]. "فاستحقوا العذاب جميعاً، وأصابهم الكمد والحسرة وهم يرون العذاب حاضراً لهم مهيئاً ... وهي حالة الكمد الذي يدفن الكلمات في الصدور، فلا تفوه بها الألسنة، ولا تتحرك بها الشفاه"[2].

ويظهر تبرؤ المتبوعين من أتباعهم يوم القيامة، حينما يناديهم الله عز وجل بقوله:

﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٦٢ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَآۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ٦٣ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴾ [القصص: 62-64] فالآيات توضح إغواء المعبودين لمن أشركهم بالله وجعلهم له نداً، في الدنيا كما غووا هم، وعند مواجهة استحقاق العذاب، اعترفوا بهذه الغواية، وتبرؤوا من عبادتهم، لما رأوا العذاب وندموا أشد الندم، وتمنوا أن لو كانوا مهتدين.

---

[1] الطبري. **جامع البيان**. ج19-ص262. وانظر: ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج3- ص280-281.

[2] قطب. **في ظلال القرآن**. ج5- ص2909.

المطلب الثالث: العذاب المهين والاستقبال المشين في جهنم

عادة الحبيب أن يستقبل حبيبه بالترحاب والابتسامة والكلمة الطيبة التي تدخل السرور إلى القلب، إشعاراً بمدى محبته عنده. إلا أن الأمر يختلف يوم القيامة عند الذين رحّب بعضهم ببعض على السوء في الدنيا، وفرحوا بلقاء بعضهم بعضاً على موائد المؤامرات، صادّين عن سبيل الله، ماكرين برسله ودعاته، ومكذبين بآياته. ففي جهنم يكون حميم وغساق، واستقبال المتبوعين أتباعهم بعدم الترحاب، وبالدعاء عليهم، والتذمر منهم، جزاءً بما كانوا في الدنيا يكسبون، ولكبرائهم يتبعون. فيقول الله تعالى واصفاً حالتهم هذه: ﴿ هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ [ص: 55-60] تقول خزنة جهنم لرؤساء الطغيان والكفر: هذا فوج من أتباعكم الذين أضللتموهم، اقتحموا معكم النار، كما اقتحموا معكم الجهل والعصيان، فعندها تقول رؤوس الكفر: لا مرحباً بهم أي لا رحبت بكم الأرض ولا وسعت، وضاقت عليكم أماكنكم. فترد الأتباع الدعاء عليهم بأن (لا مرحباً بكم أنتم)، معللين هذا الرد بأنكم أيها الرؤساء قدمتم لنا هذا العذاب إذ بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا، ودعوتمونا إليه، وإلى العمل الذي يوجب لنا هذه النار[1]. يقول الألوسي: "أنتم قدمتم العذاب أو الصلي ودخول النار لنا بإغوائنا وإغرائنا على ما قدمنا من العقائد الزائغة والأعمال السيئة، لا أنا باشرناها من تلقاء أنفسنا"[2]. والدعاء بالضيق وعدم الكرامة، تبعه دعاء آخر، وهو من قدم لنا هذا العذاب أي سَنّه وشرعه فزده عذاباً ضعفاً في النار[3].

---

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج21- ص231. الرازي. **مفاتيح الغيب**. ج26- ص193. الخازن. **لباب التأويل في معاني التنزيل**. ج6- ص63. ابن عجيبة: **البحر المديد**. ج6- ص349.

[2] الآلوسي. **روح المعاني**. ج23- ص217.

[3] انظر: ابن الجوزي. **زاد المسير**. ج7- ص152. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبا عبد الله. **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية**. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1404هـ- 1984م. ص29.

وكما يذكر محمد الغزالي أن يوم القيامة ينعكس الأمر، ويرفض الرؤساء الترحيب بالأتباع. فلم يرحبوا بهم وقد أيدوهم في كفرهم، وطالما حفوا بهم وهتفوا لهم!![1].

إنها صورة بائسة، معكوسة لما كان في الدنيا، التي كان فيها الترحاب والقبلات، والفرح الشديد عند الإساءة للرسل والدعاة وإصابة الهدف بدقة للخطة الماكرة، مع زيادة الرتبة والراتب من المتبوع للتابع المنفذ. فأين اليوم التصفيق للخطابات، وأين الحراسات، وأين اليوم الفداء بالأرواح والمهج والأنفس. نعوذ بالله من ذلك كله- تابعاً ومتبوعاً-.

وآيات سورة (ص) السابقة تتحدث عن عذاب بدني جسدي، غير المعنوي، وهو الحميم والغساق، وآخر من شكله أزواج نتيجة التبعية في الدنيا. يقول ابن كثير: "أما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم"[2].

أما الآخر من شكله أزواج فهو عذاب آخر غير الذي ذاقوه من الحميم والغساق. هو مثل ذلك المشار إليه، أو مثل ذلك الذوق في التعذيب والألم. أو عذاب آخر لم يُرَ في الدنيا[3].

المطلب الرابع: التخاصم والتلاوم

أمام الموقف الرهيب، الذي يقترن فيه كل مع شاكلته في المعاصي والآثام، وترتفع الأصوات المتلاومة كل يلقي بالتبعة والمسؤولية على غيره في السبب الذي أوصلهم إلى هذا العذاب الأليم. هذا التخاصم والتلاوم يذكره الله تعالى في مواطن من كتابه الكريم، منها: ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ٢٨ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٖۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ٣٠ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ٣١ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ٣٢ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [الصافات: 27-34]. أي أقبل الأتباع على

[1] انظر: الغزالي، محمد. **نحو تفسير موضوعي**. ط1. دار نهضة مصر. ج1- ص351.

[2] ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج4-ص37.

[3] انظر: ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. ج12- ص325. السيوطي. **الدر المنثور**. ج7- ص200.

المتبوعين يتساءلون لائمين إياهم بقولهم: كنتم تأتوننا عن اليمين يعني تزينون لنا الباطل، وتحولون بيننا وبين الخير، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان فأطعناكم في ذلك. أو كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا فنطيعكم لأنا كنا أذِلاء وكنتم أعِزاء. فرد المتبوعون عليهم بأنكم ما كنتم صالحين فأفسدناكم، ولا مؤمنين فكفرناكم، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان قابلة للعصيان. وكذلك لم يكن لنا عليكم من حجج قوية ألزمناكم بها بأن تتبعونا على الكفر، فحق العذاب علينا جميعاً بسبب أنا كنا غاوين، فدعوناكم إلى الغواية فاستجبتم لها فنحن في العذاب مشتركون، كما اشتركنا في الصد عن سبيل الله في الدنيا، والكفر والضلال[1].

والتخاصم وتراجع الكلام بين المستضعفين والمستكبرين، تذكره آيات أخرى، يقول الله فيها: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ﴾ [سبأ: 31-33]. ولو رأينا، لرأينا موقفاً يحول دونه الوصف ويعجز عنه التصور، حيث المضلَّلون من المستضعفين والمضلِّلون من المستكبرين، والمحاججة بين الخصمين على أشدها في التلاوم وإرجاع الكلام، إذ يقول التابع المستضعف-وقد أخذته بعض شجاعة-: لولا أنتم لكنا مؤمنين، فقد كنتم شديدي الحرص على كفرنا لنقلدكم فيه، ولولاكم أيها الرؤساء في الدنيا لكنا مؤمنين بالله وآياته. فكان رد المستكبرين: (أنحن صددناكم عن الهدى)، والاستفهام استنكاري، إنكاراً للتهمة، ورداً على الأتباع بأنكم كنتم مجرمين، فإجرامكم هو الذي صدكم عن الإيمان. فكانت مجابهة المستضعفين على رد المستكبرين: ﴿ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ﴾، مكركم الذي لم يفتر ليلاً ولا

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج21- ص31-33. ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج4- ص7. الجزائري. **أيسر التفاسير**. ج4-402-403. زيدان، عبد الكريم. **أصول الدعوة**. ط3. بغداد. 1395هـ- 1975م. ص442-443.

نهاراً للصد عن الهدى، ولتمكين الباطل، ولتلبيس الحق، ولاستخدام النفوذ والسلطان في التضليل والإغواء. وقوله سبحانه: (بل مكر الليل والنهار) كناية عن دوام الإلحاح عليهم في التمسك بالشرك. عندها خاف الخصمان من الفضيحة في الموقف فأَسَرّوا الندامة في قلوبهم وصدورهم كمداً، وهذا من الذلة بمكان. ومن ثم كانت الأغلال التي تنتظرهم؛ لتغل بها الأيدي إلى الأعناق، ويلقى بهم إلى جهنم ثوابا لأعمالهم الخبيثة التي كثروا بها سواد المستكبرين من القادة والمتبوعين في الدنيا، ولم يغن عنهم تقليدهم شيئاً[1].

ولقد كانت الآية بليغة، حينما أوضحت تواصل المكر بالليل والنهار، وبدأت بمكر الليل إذ الليل ساتر لما يُمكر فيه أكثر من النهار، ونسبة نجاح العمل فيه أكبر من نجاحه في النهار حيث السرية، وإنجاز أعمال فيه مضاعفة لأعمال النهار.

وذكرت الآية الليل والنهار، لبيان كثرة المكر وتواصله وعدم يأس أصحابه المجرمين، لنعلم نحن المسلمين في هذا الزمان، مدى ما يُمكر بنا، ويحاك ضدنا من مؤامرات، مؤامرات عسكرية وإعلامية واجتماعية وثقافية وفكرية واقتصادية، لكل منها مختصون في المكر والكيد للإسلام وأهله، والصد عن سبيل الهدى، والإرشاد إلى طرق الغواية والضلال بأنواعها. مؤامرات على كل مستوى، مستوى الزعامات والوزارات والمؤسسات. ربما كان من أخطرها مؤامرات الإعلام الذي يرفع الوضيع، ويضع الرفيع، وينشر الرذيلة، ويقاوم الفضيلة، ويقلب الحقائق، ليتبعه في ذلك كثير من الناس مقلدين برامجه، يتبعونه في كثير من ضلالاته. هذه الوسيلة التي لا يكاد يخلو منها بيت في الأرض، يستثنى من هذا الإعلام جزء منها لا يقوى حتى اللحظة على مجابهة فساد المكر الإعلامي العالمي، الذي يبث مكره بالليل والنهار. والكيد هذا بألوانه الشتى، له كبراء مصممون مقررون، وأتباع منفذون مطبقون، ونتيجة هذا المكر الخبيث يوم الحسرة التخاصم والتلاوم والأغلال والعذاب الشديد جزاءً بما كانوا يعملون.

---

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج20- ص406-409. الزمخشري. **الكشاف**. ج3- ص593. ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. ج22- ص206- ص209. قطب. **في ظلال القرآن**. ج5-ص2909. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبا عبد الله. **طريق الهجرتين وباب السعادتين**. تحقيق: عمر بن محمود أبي عمر. ط2. دار ابن القيم. 1414هـ- 1994. ص608.

واليوم تنفذ القرارت تحت عنوان (إنها الأوامر! أنا عبد مجبر)، فتجده يسجن ويسهر الليالي؛ تعذيباً للمجاهدين تحت هذا العنوان، ويراقب الدعاة ويرفع التوصيات تحت هذا العنوان، وتجده يغلق مؤسسات الخير تحت هذا العنوان كذلك. والإجابة نفسها إذا طُلب من أهل المنفذ للأوامر أن يزجروه: ماذا يفعل؟ لا يستطيع رد الأوامر؟! ويوم القيامة تخاصم: (بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا). وهكذا يعربد المستكبر ويستبد؛ لأنه وجد من يلبي النداء، وينفذ القرار، فازداد ظلماً وعتا عتواً كبيراً. ولو أن قرارته بقيت هملاً، فاقدة لمنفذها، حبراً على ورق، لكان مصيرها سلة القاذورات، ولكان مصير المستكبر الصغار والتراجع عن ظلمه واستبداده. ولكنها شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، فكانت النتيجة يوم القيامة: ﴿ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: 38]، للكبراء المتغطرسين ضعف بكبريائهم وغطرستهم، وبإضلالهم، وللمستضعفين ضعف بتلبيتهم وهوانهم، وبتثبيتهم عروش الظلم وحراسة قراراتها. فما أبأسها من صناعة! وما أخسرها من بضاعة!.

الفصل الرابع

مواجهة التقليد والتبعية

المبحث الأول: الاعتبار بمصارع القرون الأولى

المبحث الثاني: القدوة الحسنة

المبحث الثالث : إظهار الصورة المنفرة للمقلدين

المبحث الرابع : إعلان المسؤولية الفردية

الفصل الرابع: مواجهة التقليد والتبعية

الأمم تصح وتمرض، تبتلى وتعافى، ومن أراد السلامة فلا بد له من وقاية نفسه من المرض، ولئن أصابه؛ فإنه يحرص على الاستشفاء. والأمراض التي تصيب الأمم كثيرة، منها- كما أخبر القرآن الكريم- مرض التقليد والتبعية العمياء الذي يوهن العقول، ويذيب الشخصية، ويضعف الإرادة؛ فتتبع سبل سابقيها وكبرائها، وتنحرف عن منهج الله الذي ارتضاه لعباده. ولقد وقع في هذا الأمر كثير من القرون، فأصاب القرون اللاحقة المقلِّدة، ماأصاب القرون السابقة المقلَّدة في المعاصي والذنوب، حينما لم يعتبروا ولم يتعظوا بالهالكين قبلهم.

ولقد جاء القرآن الكريم يقص علينا أمراض الأمم التي أصيبت بها وعوقبت عليها؛ لتكون آية وموعظة للمتقين. فكان ذلك دواء من الأدوية التي وصفها لنا القرآن الكريم لنتعافى مما ابتلي به كثير من الخلق. وحتى يثبت الشفاء ويزداد، كان لا بد من وجه مضاد لوجه أئمة السوء والشر، وهم أئمة الهدى، العاملون للخير، الدالّون عليه. ومن هنا فقد جاء هذا الفصل في أربع مباحث:

المبحث الأول: الاعتبار بمصارع القرون الأولى

المبحث الثاني: القدوة الحسنة

المبحث الثالث : إظهار الصورة المنفرة للمقلدين

المبحث الرابع : إعلان المسؤولية الفردية

المبحث الأول

الاعتبار بمصارع القرون الأولى

قص علينا القرآن الكريم قصصاً للغابرين، أظهر فيها عللهم، التي كانت سبباً في دمارهم واستحقاقهم العقوبة من الله تعالى. وقصصهم هذه، فيها الإرشاد والتوجيه للخلق ألا يقعوا فيما وقع فيه هؤلاء السابقون من العلل؛ حتى لا يصيبهم ما أصابهم، ولتكون موعظة للمتقين.

ولقد عذب الله تعالى الأقوام بأنواع مختلفة من العذاب، كل بما يناسب ذنبه حيث يذكر سبحانه ذلك بقوله: ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ [العنكبوت: 40].

فقوم عاد أهلكوا بريح صرصر عاتية، وقوم ثمود أهلكوا بالصيحة، وقوم نوح بالطوفان، وقوم فرعون بالغرق، وجعل ديار قوم لوط عاليها سافلها. وهذه الألوان من العذاب، ليست من الظالمين ببعيد.

وألوان العذاب هذه بسبب كفرهم، وعتوهم عن أمر ربهم، وعصيان رسله، وتكذيبهم بآياته، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: 117].

وكل هذا لم يكن ليقصه الله عبثاً– وحاشاه–، بل كان ذلك للموعظة ولتكون آية، آية للمؤمن ليصبر على ما يلقاه في سبيل الله من أذى، إذ إنه مطمئن لوعد ربه أن العاقبة للمتقين، وليزداد خشية وإيماناً، وآية لغير المؤمن لعله يزدجر عما يقترف من آثام وسيئات.

يقول ابن تيمية: "وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا، فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها. فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين"[1].

والظلم والكفر من أسباب الهلاك، فقد قال سبحانه عن قوم لوط: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ

[1] ابن تيمية. **مجموع الفتاوى**. ج8– ص425.

رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: 82-83]. يقول ابن كثير: "أي: وما هذه النقمة ممن تشبه بهم في ظلمهم، ببعيد عنه"[1]. فالله سبحانه تهدد مشركي قريش بهذه الحجارة التي أمطرها على قوم لوط، إن لم يتوبوا من شركهم. فهذه الحجارة قريبة وتحت الطلب[2]. وأن الله تعالى ليس بينه وبين أحد من الخلق نسب، ولا يحابي أحداً، فإن حجارة قوم لوط تنتظر من فعل فعلهم، وتشبه بهم من هذه الأمة. يقول القرطبي: "ما الحجارة من ظالمي قومك يا محمد ببعيد"[3].

والظلم ذنب عظيم يعذب بسببه الله تعالى الظالمين، ويعجل لهم العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ﴾ [الكهف: 59]. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه"[4].

واليوم لا نرى ردعاً للظالم، ولا أخذاً على يديه لزجره عن ظلمه، وليت الأمر بقي على ذلك، بل وصل الأمر إلى التزلف والتملق للظلمة، والمداهنة لهم، ورفع قدرهم، واعتبار زيارتهم، والجلوس معهم مفخرة، فكان حرياً أن يعم العقاب، حيث التشريد والشتات، وأن يحل العذاب، حيث التشرذم والتفرق، والتقاطع والتدابر. ولا يدفع ذلك كله إلا بالإنابة إلى العزيز الغفار، وترك التشبه بمن ظلم نفسه من الأمم السابقة.

وخاطب الله تعالى المنافقين[1] بأن يعتبروا بما حل بالأمم من قبلهم، حيث قال: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ

---

[1] ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج2- ص390.

[2] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج5- ص438. البغوي. **معالم التنزيل**. ج4- ص194. ابن عطية. **المحرر الوجيز**. ج3- ص213. الآلوسي. **روح المعاني**. ج12- ص114.

[3] القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**. ج9- ص56.

[4] الترمذي. **سنن الترمذي**. كتاب الفتن - باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر. قال الترمذي: "صحيح". رقم الحديث: 2168. ج4- ص467. أبو داود. **سنن أبي داود**. كتاب الملاحم- باب الأمر والنهي. رقم الحديث: 4340. ج4- ص214. ابن حنبل. **مسند الإمام أحمد**. مسند أبي بكر الصديق. رقم الحديث: 30. ج1- ص208. قال الألباني: "صحيح". انظر: التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب. **مشكاة المصابيح**. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي. 1405هـ- 1985م. باب السلام. رقم الحديث: 5142. ج3- ص115.

وَٱلْمُؤْتَفِكَتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة: 70]. فأهل النفاق مطالبون بالاتعاظ مما أصاب قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأهل مدين والمؤتفكات الذين أتتهم الرسل بالبينات، فردوها كفراً وظلماً؛ فكان الغضب الإلهي، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

وسياق الآية وإن كان يتحدث عن المنافقين، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالمنافقون وغيرهم في كل زمان عليهم الاعتبار.

ولم يكن الظلم وحده سبباً في الهلاك، بل والتكذيب بآيات الله ورسله كذلك والذي حذر منه القرآن الكريم، وقد جاء هذا التكذيب على لسان قوم نوح وعاد وقوم لوط وأصحاب الأيكة [2].

وأمر الله تعالى بالسير في الأرض للاعتبار بمن أصابهم سخط الله وغضبه بسبب تكذيبهم الرسل، فقال سبحانه: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الأنعام: 11]. أي قل يا محمد للعادلين بالله الأوثان، المكذبين بك، وهم أهل مكة، جولوا في بلاد المكذبين رسلهم، ثم انظروا كيف أعقبهم تكذيبهم ذلك، الهلاك وخزي الدنيا وعارها، وما حل بهم من سخط الله، وخراب الديار. فاعتبروا به، وانتهوا عما أنتم فيه من التكذيب كما كذبوا، فيحل بكم مثل الذي حل بهم[3]. ويذكر ابن القيم أن كل موضع أمر فيه بالسير في الأرض، فإنه يدل على الاعتبار والحذر، أن يحل بالمخاطبين من أفعال الله مثل ما حل بالسابقين[4]. وسمى القرطبي السير في الأرض: سفر العبرة [5].

---

[1] انظر: ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج2- ص318.

[2] انظر: سورة الشعراء: 105، 123، 141، 160، 176.

[3] الطبري. **جامع البيان**. ج11- ص273. أبو حيان. **البحر المحيط**. ج4- ص85. البغوي. **معالم التنزيل**. ج3- ص 130.

[4] انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. مصر- القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. 1388هـ- 1968م. ج1- ص147.

[5] انظر: القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**. ج5- ص225.

وسورة الشعراء جاءت آيتها السادسة تهديداً لمن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش[1]، ﴿ فَقَد كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [الشعراء: 6] ومن ثم ذكرت تكذيب الأقوام لرسلها فيما بعد [2]، فأهلكهم الله بهذا التكذيب.

ويقول الله عز وجل عن عادة آل فرعون والذين من قبلهم في التكذيب بآيات الله وإهلاكهم بسبب ذلك: ﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنفال: 54].

يقول ابن كثير: "فعل هؤلاء من المشركين المكذبين بما أرسلت به يا محمد، كما فعل الأمم المكذبة قبلهم، ففعلنا بهم ما هو دأبنا أي عادتنا وسنتنا في أمثالهم من المكذبين من آل فرعون ومن قبلهم من الأمم المكذبة بالرسل، الكافرين بآيات الله"[3].

فعلى كل من يريد النجاة مما حصل للقرون السالفة عليه أن يتقي الله تعالى ويكون مع الصادقين، وألا يكون كآل فرعون والذين من قبلهم في التكذيب.

ولما تشابه حال قريش، بحال آل فرعون والذين من قبلهم في التكذيب والكفر، كان تغيير حالهم جميعاً بالعذاب. واكتفى في كل من التشبيهين بتفسير أحد الطرفين[4]. فهم غيّروا أوامر الله وشرعه، فغيّر الله حالهم؛ جزاءً وفاقاً لجنس عملهم.

ويبين الدكتور محمد راتب النابلسي أن من بين الأسباب الرئيسة لهلاك الأمم، التكذيب برسالات الأنبياء، إلا أنه فرق بين التكذيب باللسان، والتكذيب بالعمل، فالكفار كذبوا الرسل بالقول والعمل، ومسلمو اليوم شابهوا الكافرين في التكذيب بالعمل دون القول، فالمسلم يصدق بيوم الدين مثلاً، لكن هذا لا يؤكده عمله، بل يقوم بأعمال تناقض هذا التصديق[5].

---

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج19- ص335.

[2] انظر: هامش رقم 375 السابق.

[3] ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج2- ص277.

[4] انظر: الآلوسي. **روح المعاني**. ج10- ص20.

[5] انظر: النابلسي، محمد راتب. ندوة بعنوان: **الذنوب أسباب هلاك الأمم، والتوبة حفظ هذه الأمم**. على الموقع الإلكتروني: http://www. Nabulsi.com/text/10nadwat/manhaj/manhaj-25.

ومن أسباب الهلاك التي حذرنا القرآن منها: الترف والبطر يقول سبحانه: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: 16]. أي أمرنا المترفين بطاعة الله وتوحيده، وتصديق رسله واتباعهم، فخرجوا عن طاعة ربهم وعصوا أمره، فوجب عليهم عذاب الاستئصال. وأكد فعل التدمير بمصدره للمبالغة في شدة الهلاك الواقع بهم[1]. وجاءت الآية التي تلي السابقة محذرة مما أصاب القرون الأولى، ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: 17]. يقول الطبري: "وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح إلى زمانكم قروناً كثيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به، وتكذيب رسله على مثل الذي أنتم عليه، ولستم بأكرم على الله تعالى منهم، لأنه لا مناسبة بين أحد وبين الله جل ثناؤه، فيعذب قوماً بما لا يعذب به آخرين،أو يعفوعن ذنوب ناس فيعاقب عليها آخرين"[2].

روى البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها لما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت فقلت له: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث"[3].

والله تعالى لا يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم من عقيدة صحيحة، وعبادة مشروعة، وأخلاق حسنة، إلى ضدها. فإن فعلوا عاقبهم الله تعالى، بتغيير حالهم. يقول المولى عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: 53]. جاءت هذه الآية بين آيتين تبدأ كل منهما

---

[1] انظر: الشنقيطي. **أضواء البيان**. ج18- ص141.

[2] الطبري. **جامع البيان**. ج17- ص407.

[3] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الفتن- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب. ج8- ص88. مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الفتن وأشراط الساعة- باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج. رقم الحديث: 7418. ج8- ص166.

بقوله سبحانه: ﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ عاقبهم الله بكفرهم وتكذيبهم بآيات الله، وغيّروا أحوالهم من الصلاح إلى الفساد، فغيّر الله ما بهم من النعم إلى النقم.

والمعنى: أن ذلك العقاب بسبب أن عادة الله في عباده عدم تغيير نعمه التي أنعم بها عليهم (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الأحوال والأخلاق وغمط الحق، وإهمال الأوامر والنواهي الربانية، كما كان من آل فرعون ومن قبلهم، ومن قريش ومن يماثلهم. وإذا قابلوا إرسال الرسل بالكفر، استحقوا بإصرارهم على الكفر تغيير النعمة والعافية[1]. قال ابن كثير: "يبتليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات اختباراً منه لهم ومجازاة على صنيعهم (لعلهم يرجعون) أي عن المعاصي"[2].

وجاء الزجر الشديد لأولئك المغترين بأموالهم وأولادهم، بأنه كان من قبلكم من هو أشد منكم قوة، وأكثر أموالاً، وآثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمرتموها أنتم، فلما عصوا رسل ربهم، وجحدوا آياته عاقبهم الله تعالى، ولم يكن لهم من دونه ولي ولا واق، ولم تغن عنهم أموالهم ولا قوتهم من الله شيئاً. فطلب الله تعالى من هؤلاء المغترين أن يسيروا في الأرض ويعتبروا بمن سبقهم، ممن هو أكثرمنهم أموالاً وأشد منهم قوة. فقال سبحانه: ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴾ [غافر: 21][3].

ولقد أهلك الله تعالى قرى كثيرة تشابهت في جريمة بطر النعمة و كفرانها، فيقول عز من قائل: ﴿ وَكَم أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص:58][4].

---

[1] انظر: القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**. ج8- ص20. الشوكاني. **فتح القدير**. ج2- ص318.

[2] ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج3- ص382.

[3] وانظر: سورة الروم: 9، سورة فاطر: 44، سورة غافر: 82.

[4] وانظر: سورة إبراهيم: 28 – 29، سورة النحل: 113.

فالله تعالى أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم لأهل مكة التي كانت آمنة مطمئنة يأتيها الرزق رغداً من كل مكان، فكذبوا به، وجحدوه رغم معرفتهم بصدقه وأمانته، فأبدل الله رغدهم جوعاً، وأمنهم خوفاً. وفي المقابل انقلب حال من اتبعوه من المؤمنين من خوف إلى أمن، ومن ضعف إلى قوة، و من قلة إلى كثرة، ومن هزيمة إلى نصر، ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [الأنفال: 26] وختم الآية بالشكر، وهذا الذي يناسب ذكر النعم ودوامها.

وأمر الله تعالى المؤمنين بوقاية أنفسهم من المعاصي التي يقوم بها الذين ظلموا منهم، وعليهم ألا يقروهم عليها، ولا يسلكوا سبيل أهلها، وأن يزجروهم عن هذه المنكرات التي تجلب العذاب، فقال سبحانه: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ [الأنفال: 25].

يقول ابن عباس في تفسير هذه الآية: "أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم الله بالعذاب"[1].

والمعنى: اجعلوا بينكم وبين البلاء العام وقاية بإصلاح ذات بينكم، واجتماع كلمتكم على أمر الله، وألا تختلفوا كما اختلفتم في الغنائم فتفشلوا فيُسلط عليكم عذاب عام من عدوكم[2].

والمنكرات كثيرة، على العامة أن تَنفِر وتُنفِّر منها، وألا تقر الخبث بينها. ومن المنكرات التي حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم منها، الفاحشة، وقطيعة الرحم، واللواط، والمجاهرة بالمعاصي. وقد ابتليت الأمة بمثل هذه المنكرات وغيرها، وهذا نذير شؤم، إذ بسببه حلت المصائب، وزادت النكبات بازديادها.

---

[1] ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج2 – ص260. وانظر: الطبري. **جامع البيان**. ج13– ص473. البغوي. **معالم التنزيل**. ج3 – ص346.

[2] انظر: البقاعي. **نظم الدرر**. ج3– ص 204. الشربيني. **السراج المنير**. ج1 – ص445.

عن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها؛ إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا. ولم ينقصوا المكيال والميزان؛ إلا أُخذوا بالسنين وشدة المئونة، وجور السلطان عليهم. ولم يمنعوا زكاة أموالهم؛ إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا. ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله؛ إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم. وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله؛ إلا جعل الله بأسهم بينهم"[1].

ولقد كانت الفاحشة، و كانت المجاهرة بها فكان معها الأمراض التي لم تكن فيمن مضى، خاصة في دول الغرب. ومن هذه الأمراض الإيدز والسيلان والزهري وغيرها.

وكان نقص المكيال والميزان، فكان الجدب والشدة، وظلم السلطان. ومنع الكثير زكاة أموالهم، فقلت بركات السماء والأرض. ونُقض عهد الله وعهد رسوله، وحُكم بغير ما أنزل الله، فضاعت بلادنا و مقدساتنا، و جعل الله البأس بيننا، حيث التناحر والتخاصم.

ومن المنكرات الخطيرة المعلنة، ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. و لقد قصّ الله علينا نبأ بني إسرائيل حينما تركوا هذا الواجب، فانتشر الفساد بينهم، فلعنهم الله، وضرب قلوبهم بعضها ببعض، فقال سبحانه مخبراً عن ذلك: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [المائدة: 78-79]. وهذا من أجل أخذ العبرة، كي لا نتشابه معهم في معصيتهم، فيصيبنا ما أصابهم.

وحذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً

[1] ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني. **سنن ابن ماجه**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار الفكر. كتاب الفتن- باب العقوبات. رقم الحديث: 4019. ج2- ص1332. قال الألباني: حسن. الألباني، محمد ناصر الدين. **السلسلة الصحيحة**. الرياض: مكتبة العارف. رقم الحديث: 4009. ج1 – ص216 .

منه، ثم تدعونه، فلا يستجاب لكم"[1]. وكم من دعاء للمسلمين اليوم في النصرة لا يستجاب، و كم من منكر بين المسلمين انتشر، فكان العقاب العام، الذي ابتلي به الجميع الظالم وغيره.

فعلى الأمة في هذا الزمان أن تحسب لنقم الله وغضبه الحساب الذي يليق، ولا تبقى شاردة في غيها وضلالها، وألا تتبع الذين ظلموا أنفسهم، بل تتبع سبيل من أناب إلى الله. وعلى تاركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اعتقاداً منهم النجاة من أذى الظلمة، أن يعلموا أن الفساد الخُلقي سيصيبهم. والفساد الخُلقي أشد وأخطر من الأذى الجسدي، فالأول يربي على الركون إلى الظلمة، والثاني يربي على التحدي والاستعلاء بالإيمان.

وإذا استقر في نفوس المؤمنين، أن التمكين لهم ولدينهم الذي ارتضى لهم، والهلاك للفجرة الكفرة؛ فإنه ما من شك سيثبتون على دين الله، ويتبعون سبيله معتزين به، تاركين سبيل الذين حادوا عن الجادة، وسلكوا سبل الشيطان. وفي هذا دعوة لكل تائه حائر أن يعتبر ممن مضى، ولا يشاقق الله ورسوله، وألا يتبع غير سبيل المؤمنين.

يقول الدكتور محمد سليم العوا: "وإذا كانت الحضارة مبنية على أصل لا يستمد من الدين شرعيته أو وجوده، فإن المسلمين مأمورون بالتعرف عليها والنظر في أحوالها والاعتبار فيها بما يقع لأصحابها من خير وشر"[2].

وتعقيباً على إغراق قوم نوح، يقول سبحانه: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: 49]. فالله تعالى أهلك الكافرين من قوم نوح لكفرهم، وبين ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ولقومه، لأخذ العبرة؛ فالكافر يرتدع وينزجر عن متابعة الكافرين في غيهم وضلالهم، والمؤمن يثبت على دينه ويصبر حتى يحكم الله بينه وبين القوم الكافرين. لذا كان الأمر للنبي صلى الله

---

[1] الترمذي. **سنن الترمذي**. كتاب الفتن– الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن". رقم الحديث: 2169. ج4 – ص468. قال الألباني: "حسن لغيره". الألباني، محمد ناصر الدين. **صحيح الترغيب والترهيب**. ط5. الرياض: مكتبة العارف. رقم الحديث: 2313. ج2 – ص286.

[2] العوا، محمد سليم. مقال على النت بعنوان: **حوار الحضارات شروطه ونطاقه**. على الموقع الإلكتروني: http://balagh.com/mosoa/mabade/rg0zgev9.htm

عليه وسلم- ولمن يصلح له الخطاب- بالصبر على مشاق الطريق وإن طالت، وأن يثقوا بوعد الله تعالى، فلا يزيغوا عن سواء السبيل إلى غيره من السبل. وتعقيباً على هلاك قوم ثمود، قال سبحانه: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥١ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥٢ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [النمل: 51-53]. فالله سبحانه بين هلاك الذين حاولوا المكر بصالح عليه السلام، حيث دمرهم الله، وجعل بيوتهم خاوية بما ظلموا، لا أحد يسكنها. أما الذين آمنوا مع صالح واتبعوا سبيله فقد نجاهم، وجعل في ذلك لمن خلفهم آية وعبرة، بحيث يتبع سبيل المؤمنين، ويعمل عملهم، لينجوا كما نجوا، وألا يتشبه بالكافرين وأفعالهم، حتى لا يصيبه ما أصابهم.

وكذلك كان الأمر في التعقيب على هلاك فرعون: ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴾ [النازعات: 25-26]. وتعقيباً على قصة قوم لوط يقول سبحانه: ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٦ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ [الذاريات:35-37]. والتعقيب أيضاً على هلاك صناديد قريش في بدر إذ يقول سبحانه: ﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [آل عمران: 13]. والتعقيب من بعد ذلك على هزيمة يهود في خيبر: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[الحشر:2].

فالاعتبار بمصارع القرى، يطلبه القرآن الكريم من الذين جحدوا آيات الله، ويأمرهم بالسير في الأرض؛ ليروا هلاك من هو أشد منهم قوة وتطاولاً فيها، كي يتعظوا ويجتنبوا فعالهم التي أوصلتهم إلى ذلك، ويقتدوا بسبيل من نجاهم الله تعالى وهم المؤمنون الذين اتبعوا ما يرضي الله ورسله، واجتنبوا ما أسخط الله ورسله. وكذلك يطلب سبحانه هذا الاعتبار من المؤمنين؛ ليطمئنوا على أن الطريق الذي يسلكونه لا بد أن يصيبهم فيه أذى، كما أصاب الأنبياء والرسل عليهم السلام من قبل، ولكنه الطريق المأمون العواقب الذي لا يوجد غيره أسلم منه، الموصل لعاقبة المتقين. وعلينا أن نستلهم الماضي، لنتجاوز عثرات الحاضر، ونستشرف مستقبلنا لنبنيه إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني

القدوة الحسنة

السنة أن يكون للناس إمام يؤمها، يحاكون فعله وقوله، ويتبعون أمره، وينصرون فكره. والإمام هذا أحد نوعين- كما سماهم القرآن الكريم- أئمة يدعون إلى النار، وأئمة يهدون بأمر الله[1].

وأئمة الهدى حتى يستطيعوا تغيير ما أفسده الناس، ويحيلوا طريقهم المعوج إلى استقامة؛ لا بد أن يكون معهم المنهج الواضح البين، الذي يقنع الناس المضلَّلين بأن ما هم فيه ضلال. ويبقى المنهاج جافاً حتى يتحول إلى بشر يمشي على الأرض. فكان هذا الأمر مع أنبياء الله عليهم السلام ومع الذين تمت تربيتهم على أيديهم من أتباعهم المؤمنين؛ ليكونوا قدوة حسنة للناس من بعدهم في كل جيل. فالأنبياء أحسن الناس خُلُقاً وإيماناً، وأعلاهم منزلة، والواجب أن يتأسى بهم الناس، وأن يتبعوهم في فعلهم وقولهم، ويتركوا الاقتداء بأئمة الكفر.

وحتى يكونوا قدوة كذلك، جعل الله تعالى لهم صفات، وآتاهم بينات من الهدى، فقال سبحانه مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر ثمانية عشر نبياً ممن سبقوه[2]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: 90]. يقول الطبري: "هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين، هم الذين هداهم الله لدينه الحق، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه، والقيام بحدوده، واتباع حلاله وحرامه والعمل بما فيه ... فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم (اقتده) يا محمد: أي فاعمل، وخذ به واسلكه"[3].

إن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتبع من سبقه من الأنبياء في عقيدة التوحيد، وعبادة ربه، وفي الأخلاق الحميدة، والمعاملة الحسنة، وفي مجاهدة الباطل، فكان صلى الله عليه وسلم الأحرص على تلبية الأمر، واتباع الأنبياء الذين هداهم الله هذا الهدى.

---

[1] انظر: سورة التوبة: 12، الأنبياء: 73، القصص: 5، 41، السجدة: 24.

[2] انظر: سورة الأنعام: 84-86.

[3] الطبري. **جامع البيان**. ج11- ص518-519. وانظر: ابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب**. ج8- ص272.

والقدوة الحسنة المتمثلة في الأنبياء عليهم السلام، والتي أُمر النبي صلى الله عليه وسلم- وكذلك أمته- باتباعها والاهتداء بهديها، هذه القدوات جبلت على صفات وكمالات رفعت قدرهم، وأهّلتهم لأن يكونوا بحق أسوة حسنة يتأسى بهم كل من يريد لنفسه ولغيره الخير، وأن يميل الناس عن التبعية لأئمة الكفر، إلى الحنيفية السمحة، واتباع أئمة الهدى.

ويبين الشيخ محمد إسماعيل المقدم أن صفات الشرف وخصال الكمال هذه كانت مفرقة في الأنبياء بأجمعهم. فأيوب كان من أصحاب الصبر على البلاء. وداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النعمة. وسيدنا يوسف كان مستجمعاً لهاتين الصفين-الصبر والشكر-. وموسى كان صاحب الشريعة القوية القاهرة والمعجزات الظاهرة، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كانوا أصحاب زهد، وإسماعيل كان صاحب الصدق، ويونس كان صاحب التضرع. فالله تعالى ذكر كل واحد منهم في سورة الأنعام، لأن الغالب عليه خصلة معينة من خصال المدح والشرف، وبعد ذكرهم أمر الله نبينا صلى الله عليه وسلم (فبهداهم اقتده) أي: اقتد بكل خصال المدح والكمال التي تحلوا بها، فكأنه أمر بجمع هذه الصفات المفرقة فيهم. وبهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أفضلهم[1].

ومن الصفات التي تحلى بها الأنبياء عليهم السلام، وأمرنا أن نتأسى بهم فيها، البراءة من الأعداء، وإظهار العداوة والبغضاء بيننا وبينهم أبداً حتى يؤمنوا بالله وحده، ولا يشركوا به شيئاً. قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الممتحنة: 4]. أي: لكم في إبراهيم والذين معه من الأنبياء أسوة حسنة في معاداتهم للكفار، وبراءتهم منهم، وترك موالاتهم، وإظهار العداوة والبغضاء للكفار،

---

[1] انظر: المقدم، محمد إسماعيل. محاضرة بعنوان: **تفسير قوله تعالى: (أولئك الذين هدى الله فبهدهم اقتده)**. على الموقع الإلكتروني: http;//72.35.18.22/audio/index.php?page=fullcontent8candioid=168422 وناصر الجليل، عبد العزيز. ***من جوانب الاقتداء بهدي الأنبياء***. **مجلة البيان**. المنتدى الإسلامي. 113/محرم-1418هـ.

إلى أن يتركوا كفرهم وشركهم، ويؤمنوا بالله وحده، ويفردوه بالعبادة. وكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله، تبرءوا من أعداء الله، ولا تتخذوا منهم أولياء، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء حتى يؤمنوا بالله وحده[1].

فالمؤمنون عليهم التأسي بإبراهيم والذين معه في عدم الرضا بعبادة الأصنام، وأن يتشبهوا بهم في البراءة من الكفار في كل الأحوال، حتى وإن كانوا ضعفاء، أياً كان الضعف، سواءٌ أكان ضعف النصرة- كما كان زمن النبي صلى الله عليه وسلم في الفترة المكية-، أم ضعف الإرادة- كما هو حال مسلمي اليوم-. وأن يقتدوا بإبراهيم والذين معه في عظمة البراءة، وألا تكون على خجل- كما يصنع البعض اليوم-. وأن يقتدوا بإبراهيم والذين معه في الكفر بجميع المعبودات، سواءٌ أكان المعبود بشراً- كعبادة الزعماء في بعض الدول- أم عبادة المؤسسات- كالتي تشرع من دون الله. وأن تستمر البراءة من ذلك أبداً حتى يؤمنوا بالله وحده. وعلينا أن نقتدي بإبراهيم والذين معه في خصال الخير، في عدم الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم، وفي التبرؤ مِن حولنا وقوتنا إلى حول الله وقوته، وأن نتشبه بهم في التوكل على ربنا، وفي الإنابة إليه، لأن المصير إليه. ونقتدي بهم في مناجاة ربنا ألا يجعلنا فتنة للقوم الكافرين، وأن يغفر لنا. ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الممتحنة: 4-5].

وأول سورة الممتحنة نزل في حاطب بن أبي بلتعة[2]، الذي والى أهل مكة بإطلاعهم على سير النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة، فكان التوجيه الرباني في هذه الآية إلى المؤمنين أن يقتدوا بإبراهيم والذين معه في البراءة من المشركين.

وكانت الوصية الربانية، في اتخاذ الأنبياء عليهم السلام أسوة حسنة في سورة الممتحنة نفسها، فقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج23- ص317-318. القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**. ج18-ص38.

[2] انظر: السيوطي. **لباب النقول**. ص256-257.

ٱلۡأٓخِرَ ﴾ [الممتحنة: 6]. فالذي يقتدي بأئمة الهدى هؤلاء، هو من آمن بالله واليوم الآخر. وليس كل أحد تسهل عليه هذه الأسوة، إنما تَسْهل على من آمن واحتسب الأجر والثواب، فذلك يُسَهّل على العبد كل عسير، ويقلل لديه كل كثير، ويوجب له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، فهو يرى نفسه مفتقراً ومضطراً إلى ذلك غاية الاضطرار[1].

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد الخلق، وأكرمهم على الله تعالى، ولما كان على خُلُق عظيم، جاء التوجيه الرباني بتخصيصه أن يكون أسوة حسنة، فقال سبحانه: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 21]. يقول ابن عاشور: "وحق الأسوة أن يكون المُؤْتَسَى به هو القدوة. ولذلك فحرف (في) جاء على أسلوب ما يسمى بالتجريد المفيد للمبالغة، إذ يجرد من الموصوف بصفة موصوف مثله ليكون كذاتين ... وجعل متعلقُ الائتساء ذاتَ الرسول دون وصف خاص؛ ليشمل الائتساء به في أقواله بامتثال أوامره واجتناب ما ينهى عنه، والائتساء بأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات"[2].

وهذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله. فعليكم أن تكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان، ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه، فاقتدوا به في جميع أفعاله، وتعزوا به في جميع أحواله، وتأسوا بشمائله في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عز وجل[3].

والآية وإن جاءت خلال الحديث عن غزوة الأحزاب، فإنها لا تختص بالاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما حصل له من الجوع ومشاركته في حفر الخندق، وبذل نفسه للقتال، بل هي عامة في كل شيء[4].

---

[1] انظر: السعدي. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. ص856.

[2] ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. ج21- ص302- 303.

[3] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج20- ص235. القرطبي. **الجامع الأحكام القرآن**. ج14- ص102. ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج3- ص416.

[4] انظر: الشوكاني. **فتح القدير**. ج4- ص271. الجزائري. **أيسر التفاسير**. ج4- ص257.

ولكي يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة، فقد أهّله الله لذلك في كل ميدان من ميادين الدعوة. ففي مجال الثبات على العقيدة وعدم التنازل عنها، ثبت أمام مغريات المال والجاه والنساء التي عرضت عليه مقابل ثنيه عن الدعوة، فثبت ولم يساوم[1].

وفي ميدان العبادة، كان صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة. روى البخاري عن المغيرة رضي الله عنه قال: "إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم ليصلي حتى ترِمَ قدماه أو ساقاه فيقال له، فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً"[2].

وفي مجال الأخلاق، كان النبي صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة. يقول البراء بن عازب رضي الله عنه عن شجاعته: "كنا والله إذا احْمَرّ البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به". يعني النبي صلى الله عليه وسلم[3].

وفي مجال التعامل، كان صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة. فكان باشاً مع أصحابه، محترماً إياهم، محباً لهم، ملبياً حاجاتهم. روى البخاري عن سهل بن سعد قال: "جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ببردة ... فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها، فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسُنيها، فقال: نعم. فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم لامه أصحابه فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجاً إليها، ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئاً فيمنعه. فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله علي وسلم لعلي أكفن فيها"[4]. فالرسول صلى الله عليه وسلم لبّى طلب السائل، ولم يرده.

وغير ذلك من مجالات الاقتداء التي يستطيع كل فرد في المجتمع- أياً كان مركزه وعمله- أن يقتدي به صلى الله عليه وسلم، سواءٌ كان زوجاً أم أباً أم جاراً أم مربياً أم قائداً أم مجاهداً، وغير ذلك الكثير.

---

[1] انظر: ابن هشام. **السيرة النبوية**. ج2- ص130- 131.

[2] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الكسوف – باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماه. ج2- ص44.

[3] مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الجهاد والسير- باب في غزوة حنين. رقم الحديث: 4716. ج5- ص168.

[4] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الأدب- باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل. ج7- ص82.

وختمت صفات عباد الرحمن بدعائهم ربهم أن يجعلهم أئمة يقتدى بهم : ﴿ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: 74]. قال البخاري: "أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا"[1]. ويقول ابن تيمية: "أي: فاجعلنا أئمة لمن يقتدي بنا ويأتم، ولا تجعلنا فتنة لمن يضل بنا ويشقى"[2]. وصفات العباد الذين نسبهم الله لنفسه (الرحمن) هي: التواضع ومخاطبة الجاهلين بالسلام والدعاء والاعتدال في الإنفاق ولا يشركون ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يَزْنون، ومن صفاتهم كذلك التوبة وعمل الصالحات، ولا يشهدون الزور، والإعراض عن اللغو، والإصغاء لآيات الله[3]. وخَتْم هذه الصفات بدعاء (واجعلنا للمتقين إماماً)، فيه إشارة إلى أن هذه الصفات هي جزء من صفات عباد الله الواجب على الناس أن يتبعوهم فيها، والتي تؤهلهم للإمامة وقيادة الناس.

ولأن الأجل محدود، والموت لا بد منه، وحتى يبقى القرآن العظيم والسنة المطهرة متمثلة في أشخاص يدبون على الأرض، فقد كانت صناعة القدوات على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم. فثباته على العقيدة جعل من أبي بكر يثبت يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة، فلا مساومة ولا تنازل. وأتاح النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة – في مجال حرية التعبير– أن يبدوا آراءهم، فيما يخضع للشورى مما ليس فيه نص. وعمله هذا جعله يأخذ برأي الحباب بن المنذر في نزول معسكر المسلمين يوم بدر، وبرأي سلمان الفارسي يوم الخندق، وبرأي أم سلمة يوم الحديبية. وشجاعته صلى الله عليه وسلم هي التي جعلت من أصحاب الأعذار يصرون على الجهاد في سبيل الله حتى يلقوا ربهم شهداء، كالأعمى عبد الله بن أم مكتوم، والأعرج عمرو بن الجموح.

واليوم يعيش المسلمون أزمة قدوات فصار جزء منهم يقتدي بمن فسدت عقائده، وساءت أخلاقه، وراج سوؤه. فصار باطن الجيل وظاهره مقلداً للكفر، ولدعاة على أبواب جهنم. وحتى

---

[1] المصدر السابق. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة– باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ج8– ص139.

[2] ابن تيمية. أحمد عبد الرحمن الحليم الحراني أبو العباس. **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير**. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي. ط2. مكتبة ابن تيمية. ج14– ص307.

[3] انظر: سورة الفرقان: 63–74.

يحسن حالنا، ويسوء وجه عدونا؛ لا بد من أئمة للهدى يقتدي بهم التائهون، ويؤوب إليهم المرضى بهم يستشفون.

وأئمة الاقتداء والهدى هؤلاء، لا بد لهم من صفات يتصفون بها، وسمات تعلو باطنهم وظاهرهم، ومنها:

1-أن تتحدث عنهم أفعالهم أكثر من أقوالهم، كحال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حينما أمرهم بالنحر ثلاثاً ولم يفعلوا، فدخل على أم سلمة غاضباً فأشارت عليه أن يخرج ولا يكلم أحداً، وأن ينحر ويحلق، ففعل فتسابق الصحابة إلى النحر والحلق، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً[1].

2-ألا يخالف فعلهم قولهم، اقتداء بشعيب عليه السلام الذي ذكر الله قيله لقومه: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ ﴾ [هود: 88].

3- أن يكونوا على خلق عظيم، اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، الذي زكى الله أخلاقه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [القلم: 4].

4-أن يكون القدوة حراً طليقاً من القيود المذلة، كالمهنة التي تحجبه عن قول الحق، اقتداءً بالرسل عليهم السلام الذين خاطبوا أقوامهم: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴾ [الأنعام: 90]، وهذه الآية نفسها التي تبدأ بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾، والتي تم الحديث عنها سابقاً.

5-العلم: كما أمر الله تعالى نبيه- وكل من يصلح له الخطاب- بقوله: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: 19]. فقدم العلم على التوحيد؛ إذ لا نعرف التوحيد إلا بالعلم؛ لذا كان أول ما نزل (اقرأ).

---

[1] انظر: البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الشروط – باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط. ج3 – ص182.

وغيرها من الصفات الحميدة التي يجدر بالمسلم أن يتحلى بها ليكون إماماً للمتقين، ويزِن أعماله من خلالها، وأن يتجنب الصفات الذميمة التي يستغلها الجاهل لتشويه الإسلام من خلال هذه الصفات السيئة، متناسياً هذا الجاهل أن الإسلام حجة على الناس، وليس الناس حجة على الإسلام.

المبحث الثالث

إظهار الصورة المنفرة للمقلدين

أنعم الله تعالى على الإنسان بنعم كثيرة، فقال سبحانه: (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ [النحل: 18]. وعلى الإنسان أن يقوم بواجب الشكر لله على هذه النعم، وشكرها يكون باستعمالها فيما أمر الله، فإن استعملها صاحبها في غير ما أمر الله تعالى فقد كفر هذه النعمة، وحينها يستحق الذم.

ومن النعم التي أنعم الله بها على الإنسان السمع والبصر والعقل، لتكون له عوناً على اتباع الحق، واجتناب الباطل، ومن عطلها عن هذه الوظيفة التي خلقت لأجلها فقد شبهه القرآن الكريم بالبهائم، فقال سبحانه: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ) [الأعراف: 179]. هؤلاء لهم قلوب لا يفقهون بها الخير والهدى، ولهم أعين لا يبصرون بها طريق الحق وسبيل الرشاد، ولهم آذان لا يسمعون بها مواعظ القرآن فيعتبرون بها. هؤلاء مثلهم كمثل الأنعام، وهي البهائم التي لا تفقه ما يقال لها ولا تفهم ما أبصرته، ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر فتميز بينهما[1].

هذه الأنعام غير مكلفة، وهي طائعة لربها، وهي مفطورة على ذلك، فهذه بنيتها وخلقتها، وهي تميز بين ما يضرها ، وبين ما ينفعها، فلا تقدِم على ما يضرها. أما الإنسان فقد ميزه الله تعالى عنها بالعقل والإرادة والاختيار، ويستطيع بعقله التمييز بين ما ينفعه وبين ما يضره، وعندها يمكنه استعمال جوارحه فيما فيه نفعه، فإن لم يفعل ذلك كان أشد ضلالاً من الأنعام، واستحق صفة الغفلة بلا منازع، قال سبحانه في نهاية آية الأعراف السابقة: (أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ). يقول القرطبي:" وهم أضل لأن الأنعام تبصر

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج13- ص280-281. البغوي. **معالم التنزيل**. ج3- ص306.

منافعها ومضارها وتتبع مالكها، وهم بخلاف ذلك. وقال عطاء: الأنعام تعرف الله، والكافر لا يعرفه"[1].

لقد وصف الله تعالى الذين لا يعرفون الله حقاً، ويشركون به غيره، مقلدين في ذلك آباءهم بالغفلة عما ينفعهم، فهم الكاملون في الغفلة، وهي خاصة بهم، والأنعام- وإن كانت غافلة عما يراد بها- إلا أنها غير خالدة في النار، فلم تشاركهم في العمى والصمم عما ينفعها ولا في الغفلة عن الخسارة الدائمة. فهم المستحقون لأن يُخَصّ بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم[2].

إن تفضيل الله تعالى للأنعام على من أنكر حق الله تعالى في الوجود، وعلى من أنكر حق الله تعالى في العبادة متبعاً في ذلك غيره، ومعطلاً ما وهبه الله من حواس، لهو تفضيل في غاية البشاعة والازدراء، فناسب تعطيلهم الحواس تصويرهم البشع بأنهم أضل من الأنعام، فلو كان عندهم شيء من الإحساس والأنفة، لاهتزت مشاعرهم، وانتفضت قلوبهم الصدئة على تبعية عمياء، وجاهلية حمقاء، ولأنصت السمع للحق، ولنطق به اللسان، وعملت به الجوارح. " يقول عبيد الله بن المعتمر: لا فرق بين بهيمة تقاد وإنسان يقلد"[3].

والإنسان يشترك مع الحيوان في قوى الطبيعة الغاذية والنامية والمولّدة، وفي منافع الحواس، وفي أحوال التخيل والتفكر. ويمتاز الإنسان عنها في القوة العقلية والفكرية التي تهديه إلى معرفة الحق والخير لأجل العمل به، فإن أعرض عن أحوال العقل والفكر، ومعرفة الحق والعمل بالخير، كان كالأنعام، بل هم أضل؛ لأن الحيوانات لا قدرة لها على تحصيل هذه الفضائل، والإنسان أعطي هذه القدرة على تحصيلها. ومن أعرض عن اكتساب الفضائل العظيمة مع القدرة على تحصيلها كان أخص حالاً ممن لم يكتسبها مع العجز عنها[4].

---

[1] القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**. ج7-ص206. وانظر: البقاعي. **نظم الدرر**. ج3-ص15.

[2] انظر: البيضاوي. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. ج3-ص77. والبقاعي. **نظم الدرر**. ج3-ص159. وأبا السعود. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. ج3-ص296.

[3] الشنقيطي: **أضواء البيان**. ج7- ص312.

[4] انظر: الرازي. **مفاتيح الغيب**. ج15-ص54-55. وابن القيم. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. ج1-ص188.

وقريب من آية الأعراف السابقة، آية الفرقان التي يقول الله تعالى فيها:(ـأَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلاً ـ) [الفرقان:44]. كلتا الآيتين جاء الإضراب فيهما زيادة في الذم، فهم حينما لم يسمعوا آيات الله تعالى سماع المتدبر لها، ولم يتبعوا رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم تنطق ألسنتهم بالحق، جحوداً أو عناداً، كانوا أدنى من درجة الأنعام إذ إنها – أي الأنعام– أحسن حالاً منهم، إذ أطاعت خالقها، وهم لم يطيعوه. (بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ ـ) [الأعراف: 179]، [الفرقان: 44]. هم أضل لأن الأنعام تهتدي إلى مراعيها، وتطلب ما ينفعها، وتتجنب ما يضرها، وقلوب الأنعام خالية عن العلم، وعن الاعتقاد الفاسد، وهؤلاء قلوبهم خالية عن العلم، ومليئة بالاعتقاد والباطل، وعدم علم الأنعام لا يضر بأحد، وجهل هؤلاء ضرره عظيم، لأنهم يصدون عن سبيل الله، والبهائم لا تستحق عقاباً على عدم العلم، وهؤلاء يستحقون على عدم العلم أعظم العذاب[1].

أما ارتباط الآيتين بما قبلهما، فقد جاءت آية الأعراف السابقة بعد الحديث عن الذي آتاه الله آياته إلا إنه انسلخ منها، وآتاه الله علماً لكنه أخلد إلى الأرض متبعاً هواه[2]. فلما كان حاله ترك آيات الله، واتباع هواه، شبهه الله تعالى بالكلب الذي إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. فمثل هذا لم ينتفع بما آتاه الله من عقل وعلم، وضرب الله له مثلاً غاية في السوء، وهذا التشبيه لينفر منه الذي له عقل يحسن به التفكير؛ لئلا يعمل عمل هؤلاء؛ فينطبق عليه مثل الكلب.أما آية الفرقان فقد سبقتها آيات[3] تخبر عن استهزاء الكفار بالنبي صلى الله عليه وسلم، ووصفهم إياه بالضلال، واتخاذهم الهوى إلهاً من دون الله، فكان الرد الرباني عليهم بأنهم من الجهل بمكان وأنهم أضل من الأنعام سبيلاً. يقول سعيد حوى:" إن القيام بأمر الله هو وحده الذي يطلق طاقات

---

[1] انظر: الرازي. **مفاتيح الغيب**. ج24–ص75. والبيضاوي. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. ج4–ص220. وابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب**. ج14–ص540. وأبا السعود. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. ج6–ص221.

[2] انظر: الأعراف: 175–179.

[3] انظر: الفرقان: 41–43.

الإنسان كلها في طريقها الصاعد نحو الكمال، وترك أمر الله يعني إطلاق هذه الطاقات نحو الحيوانية الحرة"[1].

لم يكتف القرآن الكريم بتشبيه الذين يتبعون آباءهم، معرضين عن داعي الله تعالى لهم باتباع ما أنزل الله بالأنعام، بل شبههم كذلك بالذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً. وهذه الصورة منفرة من التقليد الذي لا يقوم على دليل، قال سبحانه:(وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [البقرة: 171]. والآية هذه سُبقت بقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ) [البقرة: 170]. مثل الذين كفروا في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم، وإخلادهم إلى ما هم عليه من الضلال، وقلة فهمهم عن الله تعالى، كمثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته، فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق أم على باطل؟[2]. هذا التمثيل يبين شناعة التقليد، وسوء أهله، وفيه دفع للسامعين إلى الاعتبار والاتعاظ، وألا يحطوا من قدر أنفسهم إلى هذه المرتبة الوضيعة، فلا يسيروا في ركب المقلدين. يقول الرازي: "**ضرب لهم هذا المثل تنبيهاً للسامعين لهم إنهم إنما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الإصغاء، وقلة الاهتمام بالدين، فصيرهم من هذا الوجه بمنزل الأنعام، ومثل هذا المثل يزيد السامع معرفة بأحوال الكفار، ويحقر إلى الكافر نفسه إذا سمع ذلك، فيكون كسراً لقلبه، وتضييقاً لصدره، حيث صيره كالبهيمة فيكون في ذلك نهاية الزجر والردع لمن يسمعه عن أن يسلك مثل طريقه في التقليد**"[3]. هؤلاء المقلدون عطلوا حواسهم- التي خلقها الله لهم لينتفعوا بها- واتبعوا آباءهم مقلدين لهم دون وعي وتفكير، ولم يتبعوا الرسل معاندين لهم. فهم صم عن سماع الحق، وهم خرس عن النطق به والدعوة إليه، لأجل ذلك وصفهم القرآن في سورة الأنفال بأنهم شر الدواب، قال سبحانه:(**إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**)[الأنفال:22]. فسماهم الله تعالى شر الدواب. والدابة كل ما دب على الأرض أي

---

[1] حوى، سعيد. **الرسول صلى الله عليه وسلم**. ط4-1399هـ- 1979م. ج1-ص9.

[2] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج3-ص 308. والزمخشري. **الكشاف**. ج1-ص240. والبيضاوي. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. ج1-ص448. وأبا السعود. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. ج1-ص190.

[3] الرازي. **مفاتيح الغيب**. ج5-ص8.

مشى؛ وغلب هذا الاسم على ما يركب من الدواب[1]. في هذه الآية جعلهم من جنس الدواب، ووصفهم بأنهم أكثرها سوءاً وشراً لإبطالهم ما رزقوا من سمع ولسان وعقل. يقول ابن عطية: " وعبر بـــ(الدواب) ليتأكد ذمهم وليفضل عليهم الكلب العقور والخنزير ونحوهما من السبع، والخمس الفواسق[2]، وغيرها"[3]. ويلاحظ أن آيتي البقرة والأنفال وصفتا المقلدين بالصم والبكم وعدم العقل، وهذا الوصف لهم في الدنيا إذ إنهم كذلك في عدم سماعهم سماع المتأملين، وأنهم لا يعقلون عقل المختارين لما فيه خيرهم. أما يوم القيامة حينما يرون ما وعدهم ربهم من النار، فإنهم يحسنون استعمال سمعهم وعقولهم؛ فيندمون حيث لا ينفع الندم، يقول الله تعالى واصفاً حالهم هذه: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ﴾ [الملك:10-11].إنهم لم يحسنوا اتباع الرسل عليهم السلام، فلم يسمعوا منهم، ولم يعقلوا عنهم، وأخذتهم العزة بالإثم؛ واتبعوا آباءهم الضالين، وكبراءهم الظالمين. وفي هذا أكبر الزجر لأولئك المقلدين، كي يتوبوا من غيهم، ويفيقوا من غفلتهم ولا يكونوا إمعات معطلين لأسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم، ويتبعون كل ناعق. والإمعة هو:" الذي لا رأي له ولا عزم، فهو يتبع كل أحد على رأيه ولا يثبت على شيء"[4]. **ويُخْرج عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الإمعة وهو المقلد من زمرة العلماء والمتعلمين حينما يقول: "اغدُ عالماً أو متعلماً ولا تكونن إمعة"[5].**

ومن التصوير المزري لحال الكافرين المتبعين شرعهم دون شرع الله، والمتبعين أهواءهم دون هوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن صورهم الله تعالى بحال الأنعام في الأكل والشرب، فغاية همتهم مقصورة على شهوات البطن والفرج، وفي هذا تحقير لهم، وازدراء بهم، وزجر لهم، وردع لغيرهم أن يسلكوا طريقهم، أو يتشبهوا بهم، يقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ ﴾ [محمد:12].

---

[1] انظر: ابن منظور. **لسان العرب**. ج1-ص369-ص370.

[2] وهي الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور. انظر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (ت: 606هـــ). **جامع الأصول في أحاديث الرسول**. تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط. ط1. مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان. 1392 هـــ، 1972م. ج10- ص223.

[3] ابن عطية. **المحرر الوجيز**. ج2-ص588.

[4] ابن منظور. **لسان العرب**. ج8- ص3.

[5] انظر: ابن القيم. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. ج2- ص268.

إن هؤلاء الجاحدين لتوحيد الله، المكذبين لرسوله صلى الله عليه وسلم، يتمتعون في هذه الدنيا بحطامها وزينتها الدارسة، ويأكلون فيها غير مفكرين في المعاد، ولا معتبرين بما حل بأمثالهم من الأمم. فهم يأكلون أكلاً مشبهاً أكل الأنعام، ويعيشون كما تعيش البهائم، ليس لهم همةٌ إلا بطونهم وفروجهم، ساهون عما في غدهم[1].

ولئن شُبه المتبعون غير ما أنزل الله بالأنعام، فقد كان للحمار دور في التشبيه به كذلك. فالله تعالى وصف اليهود الذين لا يلتزمون أمره بالحمار في الغباوة والبلادة والجهل، قال سبحانه: (مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ) [الجمعة: 5]. إن الله تعالى كلف اليهود بالعمل بما في التوراة من تعاليم، ومن تعاليمها اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، إلا إنهم كتموا ذلك، وحرفوا وبدلوا، وظاهروا المشركين على المسلمين، متبعين أهواءهم، حسداً من عند أنفسهم، ومستكبرين على الحق. فلما كانوا كذلك، شبههم بالحمار يحمل أسفاراً، لا يدري ما يحمل ولا ينتفع بما يحمل، واليهود لم ينتفعوا بما حملوا من التوراة، فكان الأجدر أن يوصفوا بالحمار، إنزالاً من قدرهم، وحطاً من شأنهم. يذكر ابن عادل أن الحكمة من تعيين الحمار دون سائر الحيوانات هي إظهار الجهل والبلادة لأولئك القوم، والحمار يمثل به في الجهل والبلادة، وفي الحمار من الحقارة ما ليس في غيره من الحيوانات. والغرض من الكلام تحقير القوم وتعييرهم[2].

هذا المثل فيه ترهيب للآدميين من أن يتهاونوا بشيء من أحكام القرآن؛ فيكونوا أكثر سوءاً من اليهود؛ ومن ثَم يكونوا دون الحمار؛ لأن رسولهم صلى الله عليه وسلم أعظم، وكتابهم أعلى[3].

---

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج22–ص164. والبغوي. **معالم التنزيل**. ج7–ص281. وأبا حيان الأندلسي. **البحر المحيط**. ج8–ص77

[2] انظر. ابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب**. ج19–ص76.

[3] انظر: ابن الجوزي. **زاد المسير**. ج8–ص260. والبقاعي. **نظم الدرر**. ج7–ص596.

وفي الأمة الإسلامية اليوم من يحفظ كتاب الله تعالى ويعلم ما فيه، إلا إنه يخالفه في عمله وأخلاقه وتصرفاته وتصوراته، فشابه اليهود في هذه الصفة المذمومة. وعليه أن يعتبر ويتعظ ويعمل بما علم، كي لا يلحقه من الذم ما لحق اليهود.

ولما أعرض المشركون عما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم شبههم الله تعالى بالحمر الوحشية التي تفر من صياديها، يقول سبحانه: (فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ) [المدثر: 49-51][1].

[1] انظر: ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج4-ص446.

المبحث الرابع

إعلان المسؤولية الفردية

المسؤولية الفردية تعني تحمل الإنسان تبعة معتقداته وأفعاله وأقواله، في الدنيا والآخرة، ولا يشاركه أحد في ذلك. ومن عدل الله تعالى أن أرسى هذا المبدأ، فلا يحمل أحد وزر أحد، ولا يشارك أحد في عقوبة أفعال غيره. يقول سبحانه:(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) [الإسراء:15].

هذا المبدأ الرباني وردت آيات كثيرة تقره وتعلنه، وضرب الله تعالى أمثلة عدة توضحه، تمثلت في أولي العزم من الأنبياء كإبراهيم عليه السلام مع أبيه، ونوح عليه السلام مع ولده وزوجه، والنبي صلى الله عليه وسلم مع عمه. ليكونوا أسوة حسنة لغيرهم من المؤمنين في التبرؤ من المشركين. يقول سبحانه:(وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) [فاطر:18].

قضى الله تعالى بعدله ألا يظلم أحداً، (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [يونس:44]، ومن عدله أيضاً ألا يؤاخذ أحداً بجريرة غيره، فقال سبحانه: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) [المدثر:38]، أي معتقلة بعملها يوم القيامة، مأخوذة به، والإنسان مرهون بنفسه حتى يفكها من عذاب الله تعالى بالقيام بحقوقه سبحانه وحمل رسالته في هذه الحياة[1]. والرهن يكون في الدَّيْن لاستيفائه، وعبرت الآية بلفظ (رهينة) لبيان أن النفس تكون رهينة في حال عدم إيفائها بحقوق الله تعالى عليها، ليتم الاستيفاء منها هي؛ فتكون وقوداً للنار.

إن المقلِّدين المتّبِعين غيرهم على غير هدى، يتحملون تبعة تقليدهم، ولا يدفع المتبوعون عنهم شيئاً، فهم أضعف من أن يدفعوا العذاب عن أنفسهم، فكيف عن غيرهم!. يقول المولى عز وجل: (مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

[1] انظر: ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج4–ص445. والشوكاني. **فتح القدير**. ج2–ص1122.

وِزْرَ أُخْرَىٰ) [الإسراء:15]. هذه الآية تقرر أن من عمل صالحاً فلنفسه، وهو يحصد نتاج فعله الطيب، ولا يؤجر أحد غيره بدلاً منه، وتقرر كذلك أن من أساء فلها أيضاً، ولا يحمل أحد من أوزاره شيئاً. ومن هنا تحث الآية على الانتباه، وعدم الانجرار- وراء الناعقين- دون وعي وإدراك، لأن المتبوع لن يحمل شيئاً من أثقال التابع وآثامه.

لقد وجد في البشرية من يتكل على فضائل الآباء، ظناً منه أن فضائل الآباء تنفع الأبناء، ومن هؤلاء اليهود الذين ادعوا نسبتهم إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، ولم يقتدوا بهم، ظانين أن النسب إليهم سينفعهم، فرد الله تعالى عليهم هذا الادعاء، فأخبر سبحانه: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [البقرة:134]. إذا كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب- وهم أنبياء لهم الفضل والإمامة- أمة قد مضت لسبيلها، لها عند الله ما كسبت من خير، وعليها ما اكتسبت من شر، فاعلموا أيها اليهود والنصارى أنكم إن كان هؤلاء الذين بهم تفتخرون وتزعمون أنكم بهم ترجون النجاة من العذاب مع عظيم خطاياكم، لا ينفعهم غير ما قدموا من صالح الأعمال ولا يضرهم غير سيئها، فأنتم كذلك أحرى أن لا ينفعكم عند الله غير ما قدمتم من صالح الأعمال، ولا يضركم غير سيئها[1].

إن إعلان مبدأ المسؤولية الفردية على مستوى النبوة بهذا الشكل، لهو إعلان فيه التحذير الشديد من التقصير أو التهاون في شأن الطاعات والتزام أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، وألا يتكل أحد على حسنات أحد مهما كان قربه من الله تعالى.

إن صناديد الكفر يصدون عن سبيل الله تعالى، ويحرضون الناس على عدم اتباع الأنبياء والدعاة إلى الله، ويحثونهم على اتباع طريقتهم والعمل بمناهجهم، وتكثير سوادهم؛ لتبقى لهم القوة والغلبة، مؤملين أتباعهم بالأماني الفارغة، والوعود الكاذبة وأنهم سيحملون أوزارهم عنهم، حتى إذا حانت لحظة الشدة تبرءوا من أتباعهم. فأهل الباطل أغروا أتباعهم قديماً أن إذا تمسكتم

[1] انظر: الطبري. **جامع البيان**. ج3-ص128-129. وابن عطية. **المحرر الوجيز**. ج1- ص217. وابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. ج1-ص211. وابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب**. ج2- ص535.

بدين الآباء، وتركتم دين الإسلام، فنحن- أي أهل الباطل- حاملون لخطاياكم، فما كان من ضعاف العقول، إلا أن اتبعوهم، معرضين عن نداء الإيمان، فكان القرآن العظيم يحكي حكايتهم هذه: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالاً مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ) [العنكبوت:12-13]. إن الكبار يحملون وزر إضلال الصغار ويتحملون تبعية الافتراء على الله، وسيحاسبون على جريمة إضلال الضعفاء، وللضعفاء تبعة تبعية الضالين المضلين، فكانت النتيجة: (وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ٤١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ) [النجم:39-42]. هكذا عدل الله تعالى، ألا يحمل الكبراء- كما زعموا- عن الضعفاء من أوزارهم شيئاً، ولكل سعيه وعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولا انتقال للثواب والعقاب ولا تَحوّل، (كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) [الطور:21].

والناظر لحياة الناس اليوم يجد المؤاخذة بذنوب الآخرين، وهذا مناف للعدل الذي أقره رب العزة، وفيه اتباع لشريعة الجاهلية، وإعراض عن شرع الله تعالى. فمثلاً في قضية الثأر والانتقام، يحرص أهل القتيل على الثأر من أفضل أبناء عائلة القاتل، وهذا من باب اتباع خطوات الشيطان وهوى النفس، ومخالفة كتاب الله تعالى الذي جاء فيه: (مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا) [النساء: 123]. ومخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول:" ألا يجني جان إلا على نفسه، ألا يجني جان على ولده، ولا مولود عن والده"[1]. فالرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد على مبدأ المسؤولية الشخصية عن الأعمال، وأن الإنسان يتحمل نتائج أفعاله وأقواله ومعتقداته، ولا يحمل أحد عنه وزره، هذا ليحذر الإنسان من الانجرار وراء الأهواء والشياطين.

[1] الترمذي. **سنن الترمذي**. كتاب الفتن- باب دماؤكم وأموالكم عليكم حرام. رقم الحديث: 2159. ج4-ص461. قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح". وصححه الألباني. انظر: الألباني. **إرواء الغليل**.ج7-ص333.

ويزعم النصارى – حسب معتقداتهم– أن المسيح عليه السلام حمل خطايا الآخرين وكفّر عنها بدمه، فجاء القرآن العظيم نافياً لهذا الاعتقاد الخاطئ، حيث قال الله تعالى: (وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ) [النساء:111]، وقال سبحانه:(وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا) [الأنعام: 164]. يقول محمد الغزالي: "وهذا التوضيح لمبدأ المسؤولية الشخصية يستبعد أن يكون المسيح رباً أو فادياً أو حاملاً خطايا الآخرين، أو مكفراً عنها بدمه"[1].

إن المسلم متى قام بمسؤولياته، وملأ ثغرة الإسلام التي هو عليها، ونصح للأمة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فإنه لا يضره معصية غيره ولا ضلاله، يقول الله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ) [المائدة: 105]. يقول الجزائري:"أي أن ضلال غيركم غير ضار بكم إن كنتم مهتدين إذ لا تزر وازرة وزر أخرى، كل نفس تجزى بما كسبت لا بما كسب غيرها، ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه"[2]. هذا ينبه كل ذي لب حكيم للعمل الذي ينجيه من عذاب الله تعالى، وأنه لا يملك أحد له نفعاً ولا ضراً، فله ما كسب ولهم ما كسبوا، ولا يُسأل عن إجرامهم، ولا يُسألون عن إجرامه، يقول سبحانه: (قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [سبأ: 25].

إن القرآن الكريم يعرض للناس أجمعين نماذج تقرر وتؤكد مبدأ المسؤولية الفردية، والتبعية الشخصية لما تقدمه اليدان، ولا يشترك اثنان في ذنب أحدهما، وكل الناس يغدو، فإما أن يبيع نفسه لله تعالى فيعتقها من النار، وإما أن يوبقها ويبيعها للشيطان والهوى ولتجار السوء من أصحاب الضلالة فيهلكها. هذه النماذج كانت على مستويات عدة، فعلى مستوى الأبوة كانت براءة إبراهيم عليه السلام من أبيه الكافر ولم يحمل عنه من آثامه شيئاً، وعلى مستوى البنوة كان نوح عليه السلام مع ولده، وعلى مستوى الزوجية كان نوح ولوط عليهما السلام مع زوجتيهما، وعلى مستوى القرابة كان النبي صلى الله عليه وسلم مع أقربائه من الكفار.

---

[1] الغزالي، محمد. **هموم داعية**. ط1. مصر: دار النهضة. ص70.

[2] الجزائري. **أيسر التفاسير**. ج2–ص22.

أما إبراهيم عليه السلام خليل الله فقد خاطب أباه أنه لا يملك له من الله شيئاً، فقال سبحانه: (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ) [الممتحنة: 4]. فإبراهيم عليه السلام لا يستطيع أن يمنع أدنى شيء عن أبيه، إذ كان التعبير القرآني (من شيء) مظهراً للمسؤولية الفردية عن الأعمال، فلا يحمل الابن عن أبيه أي شيء مهما كان صغيراً. والتعبير في الآية عن الملك (وما أملك) ليظهر أن الكل ملك لله تعالى، والمرء لا يملك نفسه التي بين جنبيه، فكيف يملك غيرها ليرد عنها العذاب، فالمالك هو الله تعالى، وهو الذي يتصرف في خلقه كيفما يشاء، فلا يستطيع أحد أن يملك أحداً؛ وبالتالي لا يملك دفع العذاب عنه، وهذا فيه تحذير للمغرورين في الدنيا وتبعية أهلها ألا تعملوا إلا وفق ما أراد المالك سبحانه، لأن مخالفته تعني تحمل النتيجة من العذاب. يقول البقاعي: "ولما وعده بالاستغفار ترغيباً له، رهبه لئلا يترك السعي في النجاة"[1].

أما بالنسبة لمبدأ المسؤولية على مستوى البنوة، فقد قدم القرآن الكريم صورة نوح عليه السلام مع ولده الكافر الذي ناده للنجاة من الغرق كما أخبر القرآن الكريم: (يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ) [هود:42]. إن نوحاً عليه السلام أمر ولده أن يتبع سبيله، وألا يتبع سبيل الكافرين، إلا أن الابن كان مطيعاً للكافرين لا لأبيه، فكانت النتيجة أن هلك مع الذين كثّر سوادهم، واتبع سبيلهم، وأطاع أمرهم من الكافرين، ولم تنفع قرابة الأبوة شيئاً، حتى بمجرد المناجاة التي كانت من نوح عليه السلام التي ذكرها القرآن العظيم: (وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ) [هود:45-46]. فكان التسليم بعدها مباشرة لأمر الله من نوح عليه

[1] البقاعي. **نظم الدرر**. ج7-ص555.

السلام والإنابة إليه من ندائه هذا، فقال سبحانه: (قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ) [هود: 47].

نوح هذا الذي هو من أولي العزم لم يستطع أن يرفع العذاب عن ابنه الذي هو من صلبه، ولم يُستجب دعاؤه في أكثر الناس قرباً له، فكانت الثمرة أن تحمّل الولد وزر نفسه، ونتيجة اختياره، وكان والده من الذين رضي الله عنهم، بينما ولده من الذين غضب الله عليهم فأهلكه معهم.

أكد القرآن الكريم هذا النموذج في المسؤولية الفردية بين الابن إبراهيم عليه السلام وأبيه الكافر، وبين الأب نوح عليه السلام وبين ابنه الكافر، حينما جعله عاماً بين كل ابن وأب، وبين كل أب وابن، فقال سبحانه:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ) [لقمان: 33].

كذلك كانت المسؤولية الفردية على مستوى الزوجية، ولم يغن الزوج النبي عن زوجته الكافرة شيئاً، فقال سبحانه عن الزوجتين الكافرتين لنوح ولوط عليهما السلام: (ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ) [التحريم:10].

إن الصلة بين الزوجين صلة متينة قوية، والعلاقة بينهما علاقة حميمة، علاقة الجسد بالجسد، وأن كلاً منهما لباس الآخر، يسترها وتستره، هذه المودة لم تكن لتجدي نفعاً عند الله تعالى حتى في ظل النبوة والرسالة، ورغم أن الزوج نبي مرسل من عند الله تعالى إلا إنه لم يستطع أن يدفع عمن عاش معها حيناً من الدهر شيئاً من عذاب الله تعالى، حينما اختارت الكفر على الإيمان، ورضيت لنفسها طريق الكافرين على طريق المؤمنين، واتبعت خطوات الشيطان، وكفرت بخالقها وعصت زوجها إذ دعاها إلى الإيمان، فالنتيجة لم يحمل من آثامها وأثقالها شيئاً،

وحصدت هي وحدها- ووحدها فقط- ثمرة غراسها السيء (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) بينما هو النبي كانت له ثمرة غراسه رضوان الله تعالى والفوز بالجنة لطاعته لربه، ومخالفة الهوى والشياطين والكافرين. يقول سبحانه: (ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ) [غافر: 17]. ويقول سبحانه: (لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ) [طه: 15].

كذلك الأمر كان بالنسبة لسيد الخلق وأحبهم إلى الله تعالى، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حينما جمع أهل مكة وحذرهم وبين لهم حقيقة المسؤولية الفردية للأعمال، وأنه لا يغني عنهم من الله شيئاً، وأن الجميع (ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ فَرۡدًا) [مريم: 95] وأن (لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ) [عبس: 37]، فقال صلى الله عليه وسلم مؤكداً هذا المبدأ: "يا معشر قريش- أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً"[1]. فالنبي صلى الله عليه وسلم على قدر كرامته عند الله تعالى، وهو أحب الخلق إليه، ومع كل ما له من قدر عند ربه؛ إلا إنه لا يغني عن أقرب الناس إليه شيئاً، فكيف بالأباعد عنه نسباً ممن يدّعون أنهم من أمته، ولا يهتدون بهديه، ويتبعون غيره مستبدلين شرعه بشرع غيره، هؤلاء يؤتى بهم يوم القيامة ولا يَرِدون الحوض، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إني لكم فرط على الحوض فإياي لا يأتين أحدكم فيُذَبّ عني كما يُذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً"[2].

ولو أن أحداً يملك لأحد شيئاً، لكان هذا الأمر من سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب الذي دافع عنه في أيام الدعوة الإسلامية الأولى دفاع المستميت، إلا إنه صلى الله عليه وسلم نُهي عن الاستغفار لعمه أبي طالب حينما مات على الكفر وعلى ملة الآباء والأجداد،

---

[1] البخاري. **صحيح البخاري**. كتاب الوصايا- باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب. ج3- ص190-191.

[2] مسلم. **صحيح مسلم**. كتاب الفضائل- باب إثبات حوض نبينا وصفاته. رقم الحديث: 6114. ج7- ص66.

قال سبحانه: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ) [التوبة: 113]. وسبب النزول أنه: " لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال: أي عم قل معي لا اله إلا الله أحاج لك به عند الله. فقال أبو جهل وابن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنه، فنزلت: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم)"[1].

فالنهي كان للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين أن يستغفروا للمشركين، حتى ولو كان ذا قربى، لأنه فضل دين الآباء على دين الله تعالى. هذا النهي كان قد توجه للنبيين من أولي العزم هما نوح وإبراهيم عليهما السلام، فنوح نهاه ربه أن يدعو لابنه الكافر، وإبراهيم نهاه ربه أن يستغفر لأبيه المشرك، فكان الموقف مماثلاً مع النبي صلى الله عليه وسلم. وكان النهي كذلك للمؤمنين في كل زمان أن يشفعوا للكافر ولو كان ذا قربى، أو يستغفروا له، لأنه حادّ الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

هذا الأمر وجدنا الصحابة رضوان الله عليهم يطبقونه أفضل التطبيق، فقال سبحانه: (لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ) [المجادلة: 22]. "نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز ... وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وفي علي وحمزة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر، وذلك قوله: (ولو كانوا آبائه أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)"[2].

---

[1] الواحدي. **أسباب النزول**. ج1–ص177.

[2] المصدر السابق. ج1–ص278.

هكذا تكون المفاصلة، وهكذا تكون النتيجة، صفان: صف إيمان لا كفر فيه، وصف كفر لا إيمان فيه، يحمل كل منهما تبعة اختياره، وثمرة زراعته، ولا يحمل أحد وزر أحد ولو كان ذا قربى، قربى أبوة أو بنوة أو إخوة أو عمومة أو عشيرة. ليحذر المرء ولينتبه من غفلته وغروره، وأنه لن يحمل أحد عنه من أوزاره شيئاً؛ كي يبقى طائعاً لله وحده، مخالفاً لكل ذي هوى.

لقد ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون في إيمانها وصبرها أمام أعتى جبابرة الأرض، وأشد المعتدين على ألوهية وربوبية رب العالمين ، فقال سبحانه: (وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ) [التحريم:11]. هذه المرأة الصابرة، رغم ضعفها الجسدي إلا إنها قوية بإيمانها بربها، صبرت على أذى زوجها وتعذيبه، لأنها علمت أن ليس لها إلا ما سعت، وأن زوجها الكافر لن يغني عنها من الله شيئاً، ولن يدفع عنها ضراً، وأيقنت أن كل إنسان ليس له إلا ما قدم، ولا يؤاخذ بجريرة غيره، فكان قرارها الراسخ أن لا عودة إلى الكفر بعد إذ هداني الله إلى الإيمان، وفي هذا عبرة للمؤمنين.

هذه النماذج، ما ذكرها القرآن على هذى المستوى– مستوى النبوة– إلا لتؤكد مبدأ المسؤولية الفردية، وأن المرء مهما علت مكانته عند ربه، ومهما كان قريباً من الله تعالى، فإنه لن يستطيع أن يحمل عن أحد وزراً ولو كان من أولي قربى.

فإذا كانت الأنبياء مع آبائها وأبنائها وأزواجها على هذا النحو، فكيف بمن هم أبعد من ذلك، كيف بمن اجتمعوا من أنساب شتى على الكفر والصد عن سبيل الله، والتآمر على دينه ويوم القيامة لا نسب ولا سؤال يقول سبحانه: (فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ) [المؤمنين:101]. وفي هذا بيان للناس أجمعين– في كل زمان أن يستشعروا خطورة الموقف، وتبعة المسؤولية الشخصية حينما يتبعون غير أمر الله، ويطيعون العصاة في معصية الله، ويحادّون الله ورسوله تبعاً لكبرائهم، أو لأهوائهم ومصالحهم الذاتية، حيث تنقطع الصلات ومصالح الدنيا، فقال سبحانه: (إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ) [البقرة: 166].

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته ومِنّته هدانا سواء السبيل، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

فقد جاءت هذه الدراسة لتجيب عن أسئلة طرحها الباحث، ولتحقق أهدافاً كان قد وضعها في المقدمة، فكانت النتائج على النحو الآتي:

1- التقليد هو الأخذ بقول الغير، دون نظر في دليل المقلَّد. أما الأخذ بالكتاب والسنة والإجماع وأقوال الفقهاء، فلا يسمى تقليداً، إنما هو اتباع.

2- القرآن الكريم أولى مسألة التقليد والتبعية أهمية كبرى، لما لها من دور كبير في الحياة، إما سلباً أو إيجاباً. فآياته تكاد تكون في غالبها الأعم تتحدث عن هذا الموضوع. فحينما يتحدث عن أهل الكفر، فهو يحذر من سلوك سبلهم، ومن التشبه بأفعالهم، وحينما يتحدث عن النار وعذابها، فإنه يحض على اجتناب الأعمال التي أوصلت إلى هذا العذاب. وحينما يبين صفات المؤمنين ويمدحها، فإنه يوصي باتباعها.

3- القرآن الكريم بيّن التقليد والتبعية بشقيهما الإيجابي والسلبي. إلا أن الدراسة ركزت على التقليد السلبي.

4- العدو الأكبر بعد إبليس الجهل؛ وذلك لأن الجاهل بالشيء عدو له، وإذا جهل المرء عدوه فإنه يتبعه مقلداً إياه في أفعاله، خاصة إذا زينها له.

5- الإيمان والكفر خطان متضادان، لكل منهما عقيدته وتشريعاته وأخلاقه الخاصة به. وعلى المسلم اتباع دينه والاعتزاز به.

6- القرآن شاهد على كل عصر، يُشخّص أحداثه وأمراضه، ويقدم سبل الوقاية منها، والعلاج القاطع لها. وقد وصف حال زماننا- كما وصف الماضي- من تبعيتنا وتقليدنا لغيرنا. وما أصابنا من علل في هذا الزمان، ما هو إلا نتيجة لاتباعنا سبل الكافرين، وطاعتهم في أوامرهم، وتنكب صراط الله المستقيم.

7- التقليد والتبعية مسألة لا ينجو منها أحد، حتى الأنبياء والرسل عليهم السلام، إذ إنهم يتبعون أوامر الله تعالى. لكن شتان بين من يتبع الخير وأهله، وبين من يتبع الشر وأهله.

8- أجيال البشرية نسخة مكرورة، يتبع اللاحق فيها السابق في الأفعال والأقوال. إلا أن أكثر هذه الأجيال تكون تبعيتها لمن سبقوهم في الفساد والضلال والسوء والشر.

9- الترف والكِبْر والعناد والحسد والعصبية من أكبر الأمراض التي تصد عن اتباع الحق، وبها يكون اتباع الباطل، وتقليد أهله، والتصميم على المدافعة عنه.

10- الأسوة في الأفعال أبلغ من الأسوة في الأقوال، إذ الأفعال أشد تأثيراً في نفوس الناس من الأقوال؛ لذا لابد من وجود قدوات حسنة تصنع الحق واقعاً ملموساً ليتبعها الناس، وتزداد ثقتهم بالإسلام، فيتبعونه ويمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه.

الفهارس

ويتضمن الآتي:

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
1	﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾	الفاتحة	6	125
2	﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ ... ﴾	=	7	125
3	﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ... ﴾	البقرة	38	14
4	﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ ... ﴾	=	55	26
5	﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ ... ﴾	=	87	39-15
6	﴿ وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ ... ﴾	=	93	60
8	﴿ ... لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ...﴾	=	104	101
9	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ... ﴾	=	118	47-26
10	﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ ... ﴾	=	120	126
11	﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ ... ﴾	=	144	83
12	﴿ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ ... ﴾	=	150	83
13	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ ... ﴾	=	165	139-61

14	﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ ... ﴾	=	166	139
15	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ ...	=	167	139
16	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ ... ﴾	=	170	1-14-27-89
17	﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾	=	171	28
18	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ... ﴾	=	174	41
19	﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٍ... ﴾	=	198	85
20	﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ ... ﴾	=	222	88
23	﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴾	=	270	128
24	﴿ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾	=	275	30
25	﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ ... ﴾	=	279	30
26	﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ ... ﴾	آل عمران	13	158
27	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ... ﴾	=	14	38

28	﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ ... ﴾	=	28	133
29	﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴾	=	83	15
30	﴿ ... إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا ... ﴾	=	100	113–117 135
31	﴿ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ... ﴾	=	101	113
32	﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ ... ﴾	=	105	104
	﴿ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾	=	113	18
33	﴿ ... لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ ... ﴾	=	118	131
34	﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ... ﴾	=	133	45
35	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ... ﴾	=	144	58
36	﴿...إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾	=	149	1–134
37	﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ ... ﴾	=	154	108
38	﴿ ... لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾	=	156	107
39	﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾	=	192	128

40	﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا ... ﴾	النساء	44	41
41	﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ ... ﴾	=	46	101
42	﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ ﴾	=	81	15
43	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ... ﴾	=	82	124
44	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ... ﴾	=	97	49
45	﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ... ﴾	=	140	110
46	﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ ... ﴾	=	171	54
47	﴿ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ... ﴾	المائدة	2	12
48	﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾	=	13	41
49	﴿ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ ...﴾	=	41	95
50	﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... ﴾	=	48	36
51	﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... ﴾	=	49	29–36–96
52	﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ ... ﴾	=	50	29–30–96

				97
53	﴿ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ ... ﴾	=	51	132
54	﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ ... ﴾	=	52	133–44
55	﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ... ﴾	=	53	136
56	﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ... ﴾	=	72	56
57	﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ... ﴾	=	73	56
58	﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ ... ﴾	=	77	54–33
59	﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾	=	78	156
60	﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُ ... ﴾	=	79	156
61	﴿ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ ... ﴾	=	80	136
62	﴿ ... لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ...﴾	=	87	92
63	﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا...	=	97	12

64	﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ ... ﴾	=	103	91
65	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ... ﴾	=	104	91–27
66	﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ ... ﴾	الأنعام	10	159
67	﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ... ﴾	=	11	151–159
68	﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا ... ﴾	=	29	75
69	﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ... ﴾	=	52	27
70	﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا	=	68	110
71	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ... ﴾	=	90	160
72	﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴾	=	90	166
73	﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ... ﴾	=	91	66
74	﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡ ... ﴾	=	100	24
75	﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ ... ﴾	=	119	35
76	﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ ... ﴾	=	121	92
77	﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ... ﴾	=	148	81–78

78	﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ	=	153	122
79	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ... ﴾	=	159	106
80	﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ... ﴾	الأعراف	16	80
81	﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً قَالُواْ ... ﴾	=	28	79
82	﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ ... ﴾	=	38	138–146
83	﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ ... ﴾	=	39	138
84	﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ	=	63	66
85	﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ ... ﴾	=	88	70
86	﴿ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ ... ﴾	=	138	20
87	﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ... ﴾	=	163	98
88	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ ... ﴾	=	172	81
89	﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ	=	173	81
90	﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا	=	175	40
91	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا ... ﴾	=	176	40

92	﴿ ...أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ	الأنفال	20	109
93	﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا	=	21	109–111
94	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ ... ﴾	=	24	1
95	﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ ... ﴾	=	25	155
96	﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ ... ﴾	=	26	155
97	﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾	=	30	43
98	﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ ... ﴾	=	47	111–113
99	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً	=	53	153
100	﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ... ﴾	=	54	152
101	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ	=	72	129
102	﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ ...	=	73	129
103	﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ... ﴾	التوبة	30	53
104	﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا ...	=	31	93

105	﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلۡكُفۡرِ ... ﴾	=	37	35
106	﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٌ تَسُؤۡهُمۡ ... ﴾	=	50	108
107	﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ... ﴾	=	65	111–70
108	﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم ... ﴾	=	66	111–70
109	﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ... ﴾	=	69	32
110	﴿ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ...	=	70	151
111	﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ... ﴾	يونس	2	65
112	﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ ... ﴾	=	62	58
113	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ	=	63	58
114	﴿ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِى... ﴾	=	108	17
115	﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلۡأَرۡضِ ... ﴾	هود	6	82
	﴿ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٌ مِّنۡهُ ﴾	=	17	17
116	﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ ﴾	=	26	65
117	﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ ﴾	=	27	69–65

118	﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ ...	=	29	26
119	﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ ...﴾	=	49	157
120	﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا ...﴾	=	82	150
121	﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ ... ﴾	=	83	150
122	﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ ... ﴾	=	88	166
123	﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ... ﴾	=	113	127
124	﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ ...	=	117	149
125	﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٌ قَوۡلُهُمۡ... ﴾	الرعد	5	75
126	﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗا... ﴾	=	37	126
127	﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ ... ﴾	إبراهيم	10	65
128	﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ ... ﴾	=	11	65
129	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ ... ﴾	=	13	70
130	﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ .. ﴾	=	21	48

131	﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ... ﴾	=	22	140–50
132	﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ ... ﴾	الحجر	10	67
133	﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ ... ﴾	=	11	67
134	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ... ﴾	=	39	80
135	﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ .. ﴾	=	40	80
136	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ ... ﴾	النحل	14	39
137	﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ... ﴾	=	33	68
138	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ... ﴾	=	35	78
139	﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبًا ...﴾	=	56	42
140	﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً... ﴾	الإسراء	16	153
141	﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ... ﴾	=	17	153
142	﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ ... ﴾	=	36	15–1
143	﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا ... ﴾	=	49	75
144	﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ ... ﴾	=	76	71

145	﴿ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي ... ﴾	=	93	58
146	﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ... ﴾	الكهف	36	77
147	﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ... ﴾	=	49	128
148	﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ... ﴾	=	59	150
149	﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ... ﴾	=	110	82
150	﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ... ﴾	مريم	66	74–75
151	﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا... ﴾	=	77	78
152	﴿ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ ﴾	=	78	81
153	﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ... ﴾	طه	15	73–74
154	﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن ... ﴾	=	16	73–34
155	﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ... ﴾	=	90	60
156	﴿ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ... ﴾	=	91	60
157	﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ... ﴾	الأنبياء	23	82
158	﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ... ﴾	=	52	60

159	﴿ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾	=	53	60
160	﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾	الحج	71	128
161	﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ... ﴾	المؤمنون	24	65
162	﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ ﴾	=	25	68
163	﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦ... ﴾	=	33	77
164	﴿ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ... ﴾	=	34	77
165	﴿ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ... ﴾	=	35	77
166	﴿ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾	=	36	77
167	﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا... ﴾	=	37	77
168	﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا... ﴾	=	47	65
169	﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ... ﴾	=	71	132
170	﴿ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾	=	81	73–72
م	﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا... ﴾	=	82	73–72
171	﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا... ﴾	=	83	73–72

172	﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ. ﴾	النور	47	97
173	﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ... ﴾	=	48	97
174	﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ ... ﴾	=	49	97
175	﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ... ﴾	=	50	97
176	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا... ﴾	الفرقان	21	26
177	﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ... ﴾	=	27	141
178	﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلاً ﴾	=	28	141
179	﴿ لَّقَد أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِي﴾	=	29	141
180	﴿ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾	=	74	164
181	﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ... ﴾	الشعراء	6	152
182	﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ... ﴾	=	27	68
184	﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾	=	70	59
185	﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾	=	71	59

186	﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴾	=	72	59
187	أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴾.	=	73	59
188	﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا ... ﴾	=	74	59
189	﴿ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾	=	123	73
190	﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ.. ﴾	=	136	73
191	﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	=	137	73
192	﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾	=	138	73
193	﴿ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾	=	176	65
194	﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾	=	186	65
195	﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ﴾	النمل	14	47
196	﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ... ﴾	=	51	157
197	﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ	=	52	157
198	﴿ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾	=	53	157
199	﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ ... ﴾	=	56	70

200	﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ ... ﴾	القصص	39	39
201	﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ ... ﴾	=	50	35
202	﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ ... ﴾	=	57	46–44
203	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ ... ﴾	=	58	154
204	﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ﴾	=	62	142
205	﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ... ﴾	=	63	142
206	﴿ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ ... ﴾	=	64	143
207	﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا	العنكبوت	25	138
208	﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ... ﴾	=	40	149
209	﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ... ﴾	الروم	31	105
210	﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ... ﴾	=	32	105
211	﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ ... ﴾	الأحزاب	21	163–14
212	﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾	=	33	117–30
213	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ... ﴾	=	57	103

214	﴿ ... لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ ... ﴾	=	69	102
215	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ ... ﴾	سبأ	8	68
216	﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ ﴾	=	9	68
217	﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ ... ﴾	=	31	145
218	﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ ... ﴾	=	32	145
	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ ...﴾	=	33	49–50 141–145
219	﴿ وَمَا أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ ... ﴾	=	34	75–76
220	﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا ... ﴾	=	35	75–76
221	﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾	يس	15	65
222	﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ ... ﴾	=	30	67
223	﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴾	الصافات	27	144
224	﴿ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴾	=	28	144
225	﴿ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾	=	29	144

226	﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ ... ﴾	=	30	144
227	﴿ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا ... ﴾	=	31	144
228	﴿ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴾	=	32	144
229	﴿ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴾	=	33	144
230	﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾	=	34	144
231	﴿ إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ﴾	=	69	47
232	﴿ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ﴾	=	70	47
233	﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴾	ص	55	142
234	﴿ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾	=	56	142
235	﴿ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴾	=	57	142
236	﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴾	=	58	142
237	﴿ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ ... ﴾	=	59	142
238	﴿ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ ... ﴾	=	60	142
239	﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾	الزمر	63	13–12

240	﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ ... ﴾	=	64	22
241	﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ... ﴾	=	71	73
242	﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ... ﴾	غافر	21	154
243	﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ... ﴾	=	29	42
244	﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا ﴾	فصلت	11	15
245	﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ . ﴾	=	13	65
246	﴿ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ...	=	14	65
247	﴿ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ ...	=	50	50
248	﴿ وَٱلظَّٰلِمُون مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾	الشورى	8	128
249	﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ... ﴾	=	12	12
250	﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ ﴾	=	13	89–106
252	﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴾	الزخرف	9	28
253	﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ﴾	=	22	16–64
254	﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ... ﴾	=	23	17

255	﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ ... ﴾	=	54	24
256	﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ ﴾	=	87	28
257	﴿ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴾	الدخان	14	69
258	﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ... ﴾	الجاثية	16	37
259	﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ ... ﴾	=	17	37
260	﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ ... ﴾	=	18	37–125
261	﴿ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ ﴾	=	19	125
262	﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ... ﴾	=	23	39–41
263	﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا ... ﴾	=	24	74–75
264	﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ ﴾	=	25	74
265	﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	محمد	19	166
266	﴿ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ ﴾	=	21	15
267	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمُ ... ﴾	=	25	134

268	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ ... ﴾	=	26	134
269	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ ﴾	=	28	135
270	﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	الذاريات	35	158
271	﴿ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ ... ﴾	=	36	158
272	﴿ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ ... ﴾	=	37	158
273	﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم ... ﴾	=	52	67
274	﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ ... ﴾	=	53	67
275	﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	=	56	82
276	﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴾	النجم	19	33
276	﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾	=	20	33
277	﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴾	=	21	33
278	﴿ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴾	=	22	33
279	﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ ... ﴾	=	23	33

280	﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾	الواقعة	41	77
281	﴿ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴾	=	42	77
182	﴿ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴾	=	43	77
283	﴿ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٖ ﴾	=	44	77
284	﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴾	=	45	77
285	﴿ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾	=	46	77
286	﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا ... ﴾	=	47	77
287	﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾	=	48	77
288	﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ... ﴾	الحديد	16	100
289	﴿ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا ﴾	=	27	16
290	﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ ... ﴾	المجادلة	11	41
291	﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾	الحشر	2	158
292	﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ... ﴾	=	11	103
293	﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ... ﴾	=	16	141

294	﴿ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ ... ﴾	=	17	141
295	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾	الممتحنة	4	161–162
296	﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾	=	5	162
297	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾	=	6	162
298	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ... ﴾	الصف	5	102
299	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم ... ﴾	التغابن	6	65
300	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	الملك	14	27–82
301	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	القلم	4	99–166
302	﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ... ﴾	نوح	23	59
303	﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْأَخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾	النازعات	25	158
304	﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾	=	26	158
305	﴿ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾	الفجر	24	137
306	﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾	الشمس	2	17

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
1	أتشفع فى حد من حدود الله ...	96
2	اشتكى رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم فصلينا وراءه ...	85
3	اصنعوا كل شيء إلا النكاح ...	89
4	إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ...	151
5	إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم ليصلي حتى ترِمَ قدماه ...	165
6	إن موسى كان رجلاً حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء ...	103
7	أو مخرجي هم ...	71
8	تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ...	38
9	تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك **...**	105
10	جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ببردة ...	165
11	رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار ...	94
12	فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع ...	88
13	فلا تفعلوا فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله ...	57
14	قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى ...	21
15	كنا والله إذا احْمَرّ البأس نتقي به ...	165

16	لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب ...	154
17	لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر ...	87
18	لعن الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم ...	99
19	لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ...	57
20	لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ...	61
21	ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ...	29
22	ما بال دعوى أهل الجاهلية ؟ ...	116
23	هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ ...	95
24	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر ...	159
25	ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ...	125
26	ويحك إذا لم أعدل أنا فمن يعدل؟ ...	103
27	يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله ...	34
28	يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن ...	156
29	يسب بنو آدم الدهر، وأنا الدهر ...	76

فهرس الأعلام المترجم لهم

الرقم	العلم المترجم له	الصفحة
1	بطرس البستاني	118
2	البوصيري	56
3	أبو رغال	117
4	غطيف بن عبد الله	22
5	كلب بن وبرة	22
6	لورانس	137
7	مراد بن مذحج	22
8	مزدك بن نامذان	94
9	ناصيف اليازجي	118

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (ت: 606هـ). **جامع الأصول في أحاديث الرسول**. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط. ط1. مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان. 1392 هـ، 1972م.

الأزهري، محمد منير بن عبدة آغا النقلي الدمشقي، (ت: 1367هـ). **الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية**. دمشق– بيروت: دار ابن كثير.

الإسفراييني، طاهر بن محمد، (د.ت). **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. بيروت: عالم الكتب. 1983م.

الأفغاني، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر، (ت: 1420هـ). **جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية**. ط1. دار الصميعي. 1416 هـ – 1996م.

الألباني، محمد ناصر الدين، (ت: 1420هـ). **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي. 1405هـ – 1985م.

الألباني، محمد ناصر الدين. **صحيح الترغيب والترهيب**. ط5. الرياض: مكتبة العارف.

– الألباني، محمد ناصر الدين. **السلسلة الصحيحة**. الرياض: مكتبة العارف.

– الألباني، محمد ناصر الدين. **الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها من سقيمها**. ط5. الأردن–عمان: المكتبة الإسلامية. 1421هـ– 2000م.

– الألباني، محمد ناصر الدين. **ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم**. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي. 1413هـ – 1993م.

- الألباني، محمد ناصر الدين. **صحيح أبي داود**. ط1. الكويت: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع. 1423هـ- 2002م.

- الألباني، محمد ناصر الدين. **صحيح وضعيف سنن الترمذي**. ط1. الرياض: مكتبة العارف للنشر والتوزيع. 1420هـ- 2000م.

الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، (ت: 1270هـ). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

بارقعان، أشرف بن عبد الحميد بن محمد. **مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين**. ط1. السعودية: دار ابن الجوزي. 1426هـ-2005م.

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي، (ت: 256هـ). **صحيح البخاري**. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. 1401هـ- 1981م.

ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك البكري القرطبي، (ت: 449هـ). **شرح صحيح البخاري**. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط2. السعودية- الرياض: مكتبة الرشد. 1423هـ-2003م.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (ت: 516هـ). **معالم التنزيل**. تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون. ط4. دار طيبة للنشر والتوزيع. 1417هـ -1997م.

البغوي، الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد. **معالم التنزيل**. ط1. مصر: مطبعة المنار. 1347هـ.

البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، (ت: 809هـ). **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية. 1415هـ-1995م.

البوصيري، محمد بن سعيد، (د.ت). **ديوان البوصيري**. تحقيق: محمد سيد كيلاني. ط2. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي. 1393هـ-1974م.

البوطي، محمد سعيد رمضان. **فقه السيرة**. ط8. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. 1399هـ-1979م.

البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر الشيرازي، (ت: 791هـ). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. دار الفكر. 1402هـ - 1982م.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، (ت: 458هـ). **السنن الكبرى**. تحقيق : محمد عبد القادر عطا. مكة المكرمة: مكتبة دار الباز. 1414هـ - 1994م.

التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب، (د.ت). **مشكاة المصابيح**. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي. 1405هـ- 1985م.

الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، (ت: 209هـ). **الجامع الصحيح سنن الترمذي**. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

التميمي، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان. **مسائل وفتاوى نجدية**. المملكة العربية السعودية- الرياض. دار العاصمة.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، (ت: 728هـ). **السياسة الشرعية**. ط1. وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: المملكة العربية السعودية. 1418هـ.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس. **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط2. القاهرة: مطبعة السنة المحمدية. 1369هـ.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني. **مجموع الفتاوى**. تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار. ط3. دار الوفاء. 1426 هـ - 2005 م.

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس. **الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية**. تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني. القاهرة: الطبعة السلفية.

- ابن تيمية، أحمد عبد الرحمن الحليم الحراني أبو العباس. **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصي النجدي. ط2. مكتبة ابن تيمية.

الثعالبي، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف، (ت: 876هـ). **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**. تحقيق أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني. ط1. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية. 1416هـ-1996م.

الثعلبي، أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، (د.ت). **الكشف والبيان**. تحقيق: أبو محمد بن عاشور. ط1. بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي. 1422هـ- 2002م.
الجرجاني، علي بن محمد بن علي، (ت: 816هـ). **التعريفات**. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1405هـ.

الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**. ط5. المملكة العربية السعودية- المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. 1424هـ-2003م.

الجصاص، أحمد بن علي الرازي أبو بكر، (ت: 370هـ). **أحكام القرآن**. تحقيق : محمد الصادق قمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.1405هـ.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت: 597هـ). **زاد المسير في علم التفسير**. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي. 1404هـ.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت: 393هـ). **الصحاح**. ط4. بيروت: دار العلم للملايين.1990م.

الحاج، أحمد إبراهيم. **لماذا لعن اليهود في القرآن والسنة**. ط1. بيروت- لبنان: دار ابن حزم. 1415هـ- 1994م.

ابن حبان، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، (ت: 354هـ). **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط2. مؤسسة الرسالة: بيروت. 1414هـ - 1993م.

حتي، فيليب. **العرب تاريخ موجز**. ط4. بيروت: دار العلم للملايين.

ابن حزم، أبو محمد علي أحمد بن سعيد الأندلسي الظاهري، (ت: 456هـ). **المحلى**. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن حزم، أبا محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي. **جمهرة أنساب العرب**. ط3. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. 1424 هـ - 2003 م.

حكمي، حافظ بن أحمد. **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد**. الإسكندرية: مكتبة حميدو.

ابن حنبل، أحمد، (ت: 241هـ). **مسند الإمام أحمد**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط2. مؤسسة الرسالة. 1420هـ -1999م.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، (ت: 754هـ). **البحر المحيط**. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون. ط1. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية. 1422هـ - 2001م.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، (ت: 741هـ). **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل**. بيروت- لبنان: دار الفكر. 1399هـ-1979م.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. **الأتباع والمتبوعون في القرآن**. ط1. عمان: دار المنار للنشر والتوزيع. 1417هـ- 1996م.

الخالدي، صلاح. مقال على النت بعنوان: **لا تتخذوا بطانة من دونكم**. على الموقع الإلكتروني: .http://www.aljazeeratalk. Net/forum/showthread. Php?t=14338

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، (د.ت). **مقدمة ابن خلدون**. ط5. بيروت: دار القلم. 1984م.

أبو داود، سليمان بن الأشعب السجستاني، (ت: 275هـ). **سنن أبي داود**. بيروت: دار الكتب العلمية.

دوكلي، عثمان أحمد. **التدابير الواقية من التشبه بالكفار**. السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. 1417هـ.

الدويش، محمد بن عبد الله. **كيف تواجه الشهوة**. الرياض. 1411هـ.

الدويش. مقال على النت بعنوان: **التشبه والتقليد الأعمى يقتلان الإبداع والابتكار والرجولة.**

- http://www.alhejaz.net/vb/showthread.php?t=1027

الرازي، محمد بن عمر التميمي الشافعي، (ت: 606هـ). **مفاتيح الغيب**. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1421هـ - 2000 م.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسين أبو عبد الله. **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**. تحقيق: علي سامي النشار. بيروت: دار الكتب العلمية. 1402هـ.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت: 502هـ). **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة.

رضا، محمد رشيد، (ت: 1935م). **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار** .بيروت–لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر.

رضا، محمد رشيد بن علي. **تفسير القرآن الحكيم**. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1990م.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (ت: 1205هـ). **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق: مجموعة من المحققين.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. ط2. دمشق. دار الفكر المعاصر –1418هـ.

الزحيلي، وهبة. **الوسيط في أصول الفقه الإسلامي**. ط2. بيروت: دار الفكر. 1388هـ.

الزعتري، علاء الدين. مقال على النت بعنوان: **مكانة الفتوى ومزالقها**. على الموقع الإلكتروني: http://www.dahsha.com/viewarticli.php?id=28323

الزكي، د.جمال محمد. مقال على النت بعنوان: **إعجاز القرآن في تربية العقلية العلمية**. على الموقع الإلكتروني: http://www.yaqin.net/?page=articles/11/11-012

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، (ت: 538هـ). **الكشاف عن الحقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر. **أساس البلاغة**. تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود. لبنان –بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر. 1979م.

أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى، (ت: 1974م). **زهرة التفاسير**. دار الفكر العربي.

زيدان، عبد الكريم. **أصول الدعوة**. ط3. بغداد. 1395هـ–1975م.

سابق، السيد. **العقائد الإسلامية**. بيروت– لبنان: دار الفكر. 1412هـ–1992م.

السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز، (د.ت). **غريب القرآن**. تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران. دار قتيبة. 1416هـ– 1995م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت: 1376هـ). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. مؤسسة الرسالة. 1420هـ –2000م.

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (ت: 982هـ). **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي، (ت: 375هـ). **بحر العلوم**. تحقيق: محمود مطرجي. بيروت: دار الفكر.

السيد، عزمي طه. **الثقافة الإسلامية**. ط2. جامعة القدس المفتوحة. 2007م.

السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، (ت: 911هـ). **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. بيروت: دار الفكر. 1993.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. **لباب النقول في أسباب النزول**. ط2. المملكة العربية السعودية- الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز. 1425هـ- 2004م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد أبو الفضل. **لباب النقول في أسباب النزول**. بيروت: دار إحياء العلوم.

الشاطبي، أبو إسحاق، (د.ت). **الاعتصام**. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

الشربيني، محمد بن أحمد، (ت: 977هـ). **تفسير السراج المنير**. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، (ت: 1393هـ). **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1415هـ 1995م.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، (د.ت). **الملل والنحل**. تحقيق: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة. 1404هـ.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت: 1250هـ). **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. ط2. بيروت-لبنان: دار الكتاب العربي. 1422هـ-2001م.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي، (ت: 235هـ). **المصنف في الأحاديث والآثار**. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. الرياض: مكتبة الرشيد. 1409هـ.

آل شيخ، عبد الرحمن بن حسن. **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**. السعودية: المكتبة التوثيقية .

الصابوني، محمد علي. **روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن**. ط5. دار الصابوني. 1406هـ-198م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (د.ت). **الوافي بالوفيات**. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث. 1420هـ- 2000م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت: 310هـ). **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. ط1. مؤسسة الرسالة. 1420هـ - 2000م.

الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر. **تاريخ الأمم والملوك**. ط12. بيروت: دار الكتب العلمية. 1407هـ.

الطنطاوي، محمد سيد، (ت: 1431هـ). **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**. ط1. القاهرة: دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. 1997م .

ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، (ت: 880هـ). **اللباب في علوم الكتاب**. ط1. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية. 1419 هـ -1998 م.

ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت: 1973م). **التحرير والتنوير**. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

عبد الباقي، محمد فؤاد، (ت: 1388هـ). **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. القاهرة: دار الحديث. 1422هـ- 2001م.

ابن عبد البر، أبا عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي، (ت: 463هـ). **الإنباه على قبائل الرواة**. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط1. تأليف: بيروت – لبنان: دار الكتاب العربي. 1405هـ – 1985م.

عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد. **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.

عبد الوهاب، محمد. **مختصر السيرة**. تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي وآخرون. الرياض: مطابع الرياض.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. **مجموع فتاوى ورسائل العثيمين**. دار الوطن- دار الثريا. 1413هـ.

العثيمين، محمد بن صالح. **شرح رياض الصالحين**. ط1. جمهورية مصر العربية- الإسكندرية: دار البصيرة.

ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، (ت: 1224هـ). **البحر المديد**. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية. 2002 م ـ 1423 هـ.

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، (ت: 543هـ). **أحكام القرآن**. تحقيق: علي محمد البخاري. ط3. لبنان-بيروت: دار المعرفة- دار الجيل.1407هـ_1987م.

أبو العز الحنفي، محمد بن علاء الدين علي بن محمد. **شرح العقيدة الطحاوية**. تحقيق: جماعة من العلماء. ط8. بيروت-دمشق: المكتب الإسلامي. 1404هـ-1984م.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، (ت: 852هـ). **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. بيروت: دار المعرفة .1379هـ.

العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**. ط1. السعودية: دار العاصمة- دار الغيث. 1419هـ.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، (ت: 541هـ). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية. 1413هـ ـ 1993م.

العظم، يوسف. **المنهزمون دراسة للفكر المتخلف والحضارة المنهارة**. ط2. دمشق –بيروت: دار القلم. 1379هـ–1977م.

العظيم آبادي، محمد شمس الحق أبو الطيب، (د.ت). **عون المعبود شرح سنن أبي داود**. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1415هـ.

العقل، ناصر عبد الكريم. **التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية**. السعودية: الرياض. 1393هـ–1394هـ.

العقل، ناصر بن عبد الكريم. **الدين كله لله أو التلازم بين العقيدة والشريعة**. فلسطين: جمعية القرآن والسنة- شركة النور للطباعة والنشر والتوزيع.

العك، خالد عبد الرحمن. **معالم النبوة في الكتاب والسنة**. ط1. لبنان– بيروت. دار النفائس. 1415هـ– 1995م.

علوان، عبد الله ناصح، (ت: 1987م). **الشباب المسلم في مواجهة التحديات**. ط3. دمشق: دار القلم. بيروت :الدار الشامية . 1414هـ–1994م.

العوا، محمد سليم. مقال على النت بعنوان: **حوار الحضارات شروطه ونطاقه**. على الموقع الإلكتروني: http://balagh.com/mosoa/mabade/rg0zgev9.htm

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، (د.ت). **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الغزالي، أبو حامد بن محمد بن محمد بن محمد. **المنقذ من الضلال**. تحقيق: محمد محمد جابر. لبنان– بيروت: المكتبة الثقافية.

الغزالي، محمد. **نحو تفسير موضوعي**. ط1. دار نهضة مصر.

الغصن، سليمان بن صالح. **اتباع الهوى مظاهره خطره علاجه**. دار العاصمة.

ابن الفوزان، صالح بن عبد الله. **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**. ط3. مؤسسة الرسالة. 1423هـ-2001م.

القاسمي، محمد جمال الدين، (ت: 1332هـ). **محاسن التأويل**. ط2. بيروت: دار الفكر. 1398هـ-1978م.

القحطاني، محمد بن سعيد بن سالم. **الولاء والبراء في الإسلام**. دار الرشاد. 1402هـ.

القرضاوي، يوسف. **الحلال والحرام**. ط1. بيروت: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. 1398هـ.

القرضاوي، يوسف. **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتعرف المذموم**. ط1.القاهرة: دار الشروق. 1421هـ 2002م.

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت: 671هـ). **الجامع لأحكام القرآن**. ط5. لبنان -بيروت: دار الكتب العلمية. 1417هـ - 1996م.

القسطنطيني، مصطفى بن عبد الله الرومي الحنفي. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**. بيروت: دار الكتب العلمية. 1413هـ- 1992م.

قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي، (ت: 1966م). **في ظلال القرآن**. ط10. القاهرة -بيروت: دار الشروق. 1401هـ-1981م.

القنوجي، صديق بن حسن بن علي، (د.ت). **يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار**. تحقيق: أحمد حجازي السقا. ط1. القاهرة: مكتبة عاطف - دار الأنصار. 1398هـ -1987م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، (ت: 751هـ). **أحكام أهل الذمة.** تحقيق : يوسف أحمد البكري – شاكر توفيق العاروري. ط1. الدمام – بيروت رمادى للنشر. دار ابن حزم. 1418هـ – 1997م

ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. **زاد المعاد في هدي خير العباد.** تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط. ط14. بيروت – الكويت: مؤسسة الرسالة. مكتبة المنار الإسلامية. 1407 هـ– 1986م

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. **زاد المعاد في هدي خير العباد.** ط27. الكويت: مكتبة المنار الإسلامية– بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**. تحقيق: محمد حامد الفقي. لبنان-بيروت: دار المعرفة. ط2. 1395هـ- 1975م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية.** ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1404هـ– 1984م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. **طريق الهجرتين وباب السعادتين.** تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. ط2. دار ابن القيم. 1414هـ– 1994.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. **روضة المحبين ونزهة المشتاقين.** بيروت: دار الكتب العلمية. 1412هـ– 1992م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. **إعلام الموقعين عن رب العالمين.** تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. بيروت: دار الجيل. 1973م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية. **إعلام الموقعين عن رب العالمين.** تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. مصر– القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. 1388هـ– 1968م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية. **بدائع الفوائد.** لبنان– بيروت: دار الكتاب العربي.

الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد، (ت: 686هـ). **فوات الوفيات**. تحقيق: علي محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2000م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، (ت: 774هـ). **تفسير القرآن العظيم**. ط1. بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي. 1417هـ - 1997م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي. **البداية والنهاية**. ط2. لبنان – بيروت: دار الكتب العلمية. 1418هـ- 1997م.

كحالة، عمر رضا. **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**. ط2. بيروت: دار العلم للملايين. 1388 هـ - 1968م.

الكرباسي، صالح ، مقال بعنوان: **ما معنى التقليد في المصطلح الديني؟** موقع مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية. على الموقع الإلكتروني:

- http://www.islam4u.com\a\mojib-show.php?rid 503 تاريخ النشر 4-1-2000م.

ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، (ت: 273هـ). **سنن ابن ماجة**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار الفكر.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (ت: 450هـ). **النكت والعيون**. تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. لبنان- بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن مبارك، عبد الله بن واضح المروزي أبو عبد الله، (د.ت). **الزهد**. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. بيروت دار الكتب العلمية.

المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن حمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني. **مراعاة المفاتيح بشرح مشكاة المصابيح**. ط3. الهند: إدارة البحوث العلمية والدعوى والإفتاء. 1404هـ-1984م.

المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا، (د.ت). **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**. بيروت: دار الكتب العلمية.

المدري، أمير بن محمد. **غزوة بدر الكبرى دروس وعبر**.ط1. اليمن- صنعاء: عالم الكتب- مكتبة خالد بن الوليد.

مسلم، أبو الحسين بن الحجاج بن القشيري النيسابوري، (ت: 261هـ). **صحيح مسلم**. بيروت: دار الجيل ودار الأفاق الجديدة.

المصري، عبد الرؤوف. **معجم القرآن الكريم**. ط1. القدس: مطبعة بيت المقدس. 1364هـ-1945م.

مصطفى، إبراهيم. **المعجم الوسيط**. دار الفكر.

المناوي، زين الدين عبد الرؤوف، (ت: 1031هـ). **التيسير بشرح الجامع الصغير**. ط3. الرياض: مكتبة الإمام الشافعي. 1408هـ- 1988م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري،(ت: 711هـ). **لسان العرب**. ط3. بيروت: دار صادر. 1414هـ- 1994م.

المقدم، محمد إسماعيل. محاضرة بعنوان: **تفسير قوله تعالى:(أولئك الذين هدى الله فبهدهم اقتده)**. على الموقع الإلكتروني:

http;//72.35.18.22/audio/index.php?page=fullcontent8candioid=168422

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. إشراف د.مانع بن حماد الجهني. ط4. الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع. 1420هـ.

الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة. **العقيدة الإسلامية وأسسها**. ط2. دمشق-بيروت: دار القلم .1399هـ-1979م.

النابلسي، محمد راتب. ندوة بعنوان: **الذنوب أسباب هلاك الأمم، والتوبة حفظ هذه الأمم**.على الموقع الإلكتروني:

http://www

Nabulsi.com/tex

t/10nadwat/manhaj /manhaj-25.

النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود، (ت: 710هـ). **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. بيروت – لبنان: دار الكتاب العربي.

النمر، عبد المنعم. **إسلام لا شيوعية**. القاهرة: دار غريب للطباعة. 1396هـ – 1976م.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، (ت: 676هـ). **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. ط2. دار إحياء التراث العربي: بيروت. 1392هـ.

الهاشمي، هاشم. مقال على النت بعنوان: **الركون إلى الظالمين**. على الموقع الإلكتروني:

- http://www. Mody. Net/vb/t125541.html.

ابن هشام، عبدالملك بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، (ت: 213هـ). **السيرة النبوية**. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. بيروت: دار الجيل. 1411هـ.

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، (ت: 707هـ). **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. بيروت: دار الفكر. 1412هـ.

الواحدي، علي بن أحمد أبو الحسن، (ت: 468هـ). **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط1. دمشق–بيروت: دار القلم، الدار الشامية.1415هـ.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري. **أسباب النزول**. مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع. القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع. 1388هـ –1968م.

ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر، (ت: 749هـ). **تاريخ ابن الوردي**. لبنان – بيروت: دار الكتب العلمية. 1417هـ – 1996م.

ياسين، محمد نعيم. **الإيمان أركانه حقيقته نواقضه**. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية. 1402هـ–1982م.

الجراد، خلف. ***لورانس العرب...أم لورانس الصهيونية؟!***. **صحيفة الثورة**. دمشق– سورية.9.6.2008م.

An-Najah National University
Faculty of Higher Studies

"The phenomenon of Imitation and following in the Holly Qur'an"

Prepared by
Jamal Sa'ad Ahmad Ibraheem

Supervision by
Dr.Odeh Abdullah

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Usol AD-DIN-Religion Fundemantals Department-Faculty of Graduate Studies, at AN-Najah National University, Nablus Palestine.

2010

"The phenomenon of Imitation and following in the Holly Qur'an"

Prepared by
Jamal sa'ad Ahmad Ibrahee
Supervision by
Dr. Odeh Abdullah

Abstract

Similarity, following, emulation, following the right path, compulsion, precedence and succession are all terms that cluster around imitation and harmonize with it. But the nearest to it is similarity and following Imitation as such is the central topic and subject of this study.

Since the universe does not conduct itself in vain and things are not brought about risk folly, and behaviors do not emanate from vaccum, there is a causer for every event and a reason for every result.

As this is the case, imitation could not have been widespread in all epochs, and it could not have preoccupied overwhelmingly hearts had it not been for causative factors that have produced and nurtured it. On top of these factors is ignorance of the reality of divinity and mission of prophets. Second to ignorance in its repulsiveness is the pursuit of whim, particularly when it comes to doubts over creeds or legislation, or when it comes to pursuing personal desires and appeals allured by Satan's or Sultans. Furthermore, there is nothing more equal to ignorance and pursuing whims in their repulsiveness other than timidity and weakness. If one fears someone else, one will think of him as a leader and take him an exemplar to whom he claps, well-pleased and well pleasing. In the same taken, if one is incapable of confronting

and defying, one will be inclined to obedience and submission. Finally, if you like, you imitate whom you like, whether he is dead or a live. The same has been the practice with prophets and righteous people.

Imitation and following occur in numerous domains, the most prominent of which is the creed. Hence, the symphony of desire to send angels rather than human beings has been repeated in addition to speeches ridiculing prophets and calling for expelling and torturing them along with denial of resurrection after death, and perpetually attributing sin and disobedience to fate. Further, imitation is found in ordinances of Islam, ruituals and laws. It also reaches its extremity in morals: morals of the people of the book (Jews and Christians),hypocrites and polytheists. This imitation has been prevalent and widespread that it has become one of the characteristics of our time.

Imitation and following have negative impacts on the nation and individuals. Among these painful impacts are those which we experience while alive, particularly division, seclusion in groups, impatience, loss of support, widespread of corruption in its hideous forms, and alignment with atheist. All of these result in spoiling minds, distorting culture and probably infidelity and apostasy from Islam.

Not only these, for in the Hereafter there will be grief, and contention which ignites blame and repoof between successors and their predecessors in their disgraceful confrontation.

As long as imitation has this ugly face, these dangerous consequences and painful impacts, it becomes imperative to confront and curb it. We can do so by deriving lessons from the punishment inflicted upon previous nations with the aim of guarding ourselves against those nations' profanity. Yet speaking alone about this matter does not render things right unless there is a good example to follow and an approach to take.

The study has concluded that the Glorious Qur'an has paid a lot of attention to the question of imitation and following in view of their grave impacts in this world and in the Hereafter. It has also concluded that one of the most dangerous diseases threatening societies is ignorance, for it results in personal weakness leading to imitation and joining of others.